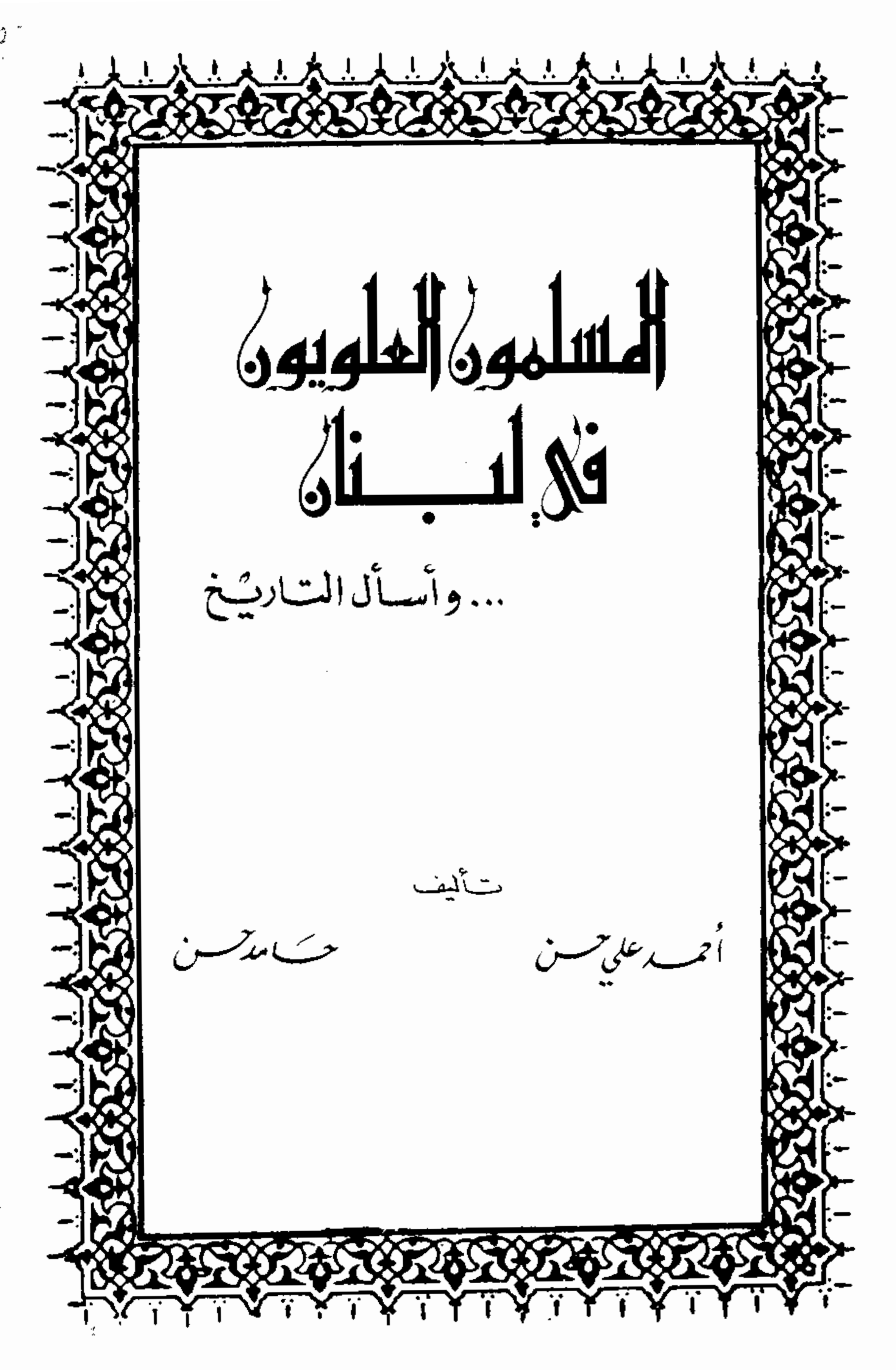

المسلمون العلويون
في لبنان
....وأصالة التاريخ
تأليف
أحمد علي حسن



المسلمون العلويون في لبنان

... وأسأل التاريخ

تأليف

أحمد علي حسن

حامد حسن

الطبعة الأولى

سنة ١٩٨٩

الإهداء

إلى الشعلة التي أضاءت دروب الحيارى

واستحالت بسمة أمل في الشفاه

ووهجاً ظامئاً في العيون ...

وتمرداً هادراً في العزائم ...

وتطلعاً إلى تاريخ أفضل ...

لاسترداد الحقوق النهبى ...

وإراحة النفوس التعبى .



آراء
في التاريخ

التَّاريخ هو سيرة الشعوب كما هو سيرة الأفراد. وهو رصدٌ للزَّمان والمكان وما يحدث فيهما من فعلِ الطَّبيعة والإنسان، فهو ينقل أخبار الماضين لأبناء الأجيال الآتية من خَيْرٍ وشرٍّ وتقدُّمٍ وتخلُّفٍ.

ويتعذَّرُ عَلَى الإنسان معرفةُ ذاتِهِ إلَّا بالرجوع إلَى منطلق ذاته وإنَّ الإنحسارات التَّاريخية هي ابنة المدّ التَّاريخي، وهكذا تمر حياة الشعوب كما تمر حياة الأفراد بين الإنحسار والمدِّ والإقبالِ والإدبار.

والتَّاريخ كما هو معروفٌ الآن ـ قسمان ـ قِسمٌ مكتوبٌ وَهُو ما يحمل الأخبارَ والسِّيَر، وقسمٌ منظور وهو ما يحمل إلينا مَادِيَّة آثار الماضين وبقايا تركاتهم عَلَى الأرض من قِلاَعٍ وحُصُون وأشكال من الفكر الهندسي والجبروت المعماري. .

وهذا القسمُ الأخير صادقٌ بما يعطيه لأنه من الأشياء الملموسة أمَّا التَّاريخ المكتوب، فرائِدٌ يكذِّبُ اهْلَهُ. .

ويلاحظ ان الكثيرين من مؤلِّفِي هذا العصَر يترَدَّدُون في قبول التَّاريخ المكتوب. ويطعنون عليه بدعوى انه كُتِبَ بإرادة غير ارادة الواقع، وبتصوير مخالفٍ لِصوَر الوقائع، وبهذا الشكل المزيَّف كانَ سَبَباً لحوادث لولاَهُ لم تكن. .

ويفتِّشُ عَنِ التَّاريخ من أضَاعَ التَّاريخ، ويبحث عَنْ تاريخه من اضاعَهَ التَّاريخ تجنِّياً وظُلماً، وينشد الحقيقة من لا تفضحه الحقيقة. .

وكثيراً ما يكون التَّاريخ مستَنَداً وثائقيًّا للمطالبة بحقٍّ مضاعٍ، أو قضيَّة مغلوبة، ومن هُنَا تتحرك القوى المستضعفة ضد القوى الغاشمة، ومن هُنَا يتولَّد الصِّراع وتندلع الثورات. .

والَّذِين اعطاهم التَّاريخ عراقة وتأصُّلاً، هم الَّذِين يتشبثون بما لهم من حَقِّ التفوُّق والتعالي على من سواهم بمقتضى هذا العطاء ولو انحدرت بهم الأمور إلى المستويات الدنيا. .

قال مؤلف كتاب (دراسات عن الدور الغوغولي في الأدبِ الرُّوسي: لَن

نقـول: انـه ليس للعـــرقِ أيُّ شـأنٍ عَلَى الإطــلاق، فتقـدم العلوم الــطبيعيـة والتَّاريخية، لم يبلغ بعد درجة كافية من الدقة في التحليل، ليمكننا التأكيد في معظم الحالات ان هذا العنصر مفقودٌ تماماً هُنَا).

وكـأنه ادرك أَنَّ الاعتـراف بما للعرقِ من شأنٍ معنـاه بقاءَ التمييـز الطبقي فأستدرك وقال:

لا تنتبهُـوا إلى عرقِ البشـر، اعتبروهم بشـراً وحسب، وإذا كان شعبٌ من الشعوب يعيش في حالة معيّنة، وليس في غيرها، فقد يكون لعرقِهِ بعضِ الأثر في ذلك، لا يمكنُنَا ان ننفي الأمر بدقة مطلقة، إنّ التحليل التَّـاريخي لم يبلغ حتَّى الآن دقة تامّةً رِيَاضية، وبعد هذا التحليل تبقى فضلة صغيـرة جدًّا تستلزم وَسَائِل أكثر دقة، وسائل ليست متوفرة في حالة العلم الرَّاهن، ولكن هذه البقية عديمة الشأن، ان اثر الظروف المستقلة عن الصفات العرقية الطبيعية في تكوين الحالة الرَّاهنة لكلِّ شعبٍ كبير، لـدرجةِ لا يبقى معهـا لهذه الصفـات الطَّبيعيـة الخاصة في حالِ وجودهَا، إلاَّ مكانٌ صغيرٌ جدًّا مكان طفيفٌ مجهريّ).

هَذَا ما قَالَهُ الأديب الروسي السَّالِف الذكر، ونقول نحنُ: إنَّ هَذَا الإحساس بالعرق ـ العرق المتميّز ـ يبقى له حوافزه في الشعوب، كما يبقى له حوافزه في الأفراد، ومهما تغلبت عليه عوامل الضعف والقهر يبقى رَمَادُهُ يحتفظ بالنَّار ومن هُنَا نشأت فكرة الأبادة الجماعية عند بعض الطغاة..

وليس شعار هتلر في الحرب العالمية الثانية (المانيا فـوق الجميع) إلاَّ من قبيل الإحساس بالعرق المتميز والعمل بما تقتضيه خصـائص هذا العـرق الأمر الَّذي دَعَا إلى تقسيم المـانيا بعـد الحرب العـالمية الأخيـرة إلى دولتين غربيـة وشرقية كل واحدة منهما تشرف عليها قوة من الدولتين العظميَّيْن..

وشعـور الإنسان أو الشعب بـالتفوُّقِ العـرقي يدفعـه إلى ركوب المخـاطِـرِ استجابَةً لنداءِ هذا العرق، ورعياً لمزاياه وتمسكاً بما له من اصالة محرِّضة..

ولو بقي النَّاسُ بشراً غير متميزين بالأعراق لَبَطَل التنافس بينهم وبقي الحال

قائماً على وتيرة واحدة، لا تنافس فيها وَلاَ تَنَازع ولا سباق في سبيل التفوُق المعشوق من أجل العظمة المجنونة. .

إنَّ تفوُّق الإنسان على الإنسان هو الحلم الذهبيّ الَّذي يراود خيَال الإنسان ويسمِّي هذا التفوق مجداً أو تأصُلاً، ولكن لا يمكن الحصول عليه إلاَّ بعاملَين رئيسيين، إمَّا عَامِلُ الغلبة بالقوة المادية وإمَّا عامل الغلبة بالقوة المعنوية والإشراق الذهني وكِلاَ هَذَيْنِ شاقٌ وعسير.

ونستطيع ان نقول: لا يواجه القوة إلاَّ القوة مهما كان شكلها ونوعها والَّذي تبنيه القوة تهدمه القوة كل هذا كائنٌ من أجل بقاءِ التطلُّع نحو الأفضل لأن التغيير لا يكون إلاَّ لنشدان أفضل مِمَّا هو كائن. .

وأمَام التطلُّع نحو الأفضل يأخذ البحث طريقه إلى أذهان النَّاسِ سلباً وإيجاباً، فتارة يكون الإيجاب سلباً، وتارة يكون السلبُ إيجاباً، وغموض الحقائق واستبهامُهَا وكثرة الطرقِ إليها والطرقُ المتعدِّدةُ التي يرسمُهَا لَهَا المتسترون بها يجعل مجالَ الأخذ بالحجج مهما كان نوعها أمراً معقولاً لإستبانة المظاهر المفضية إلى برهنة الحقِّ منطقيّاً.

وَلاَ نذهبُ بعيداً في المثالِ على ذلك فالتَّاريخ الَّذي بين أيدينا يعكس وجهين متناقضين لقضيّة واحدة . .

فمثلاً الحربُ بين عليٍّ ومعاوية لها وجهٌ واحدٌ مِنَ الحقّ ولكنَّ التَّاريخ مَوَّه هذا الوجه، وعندما أقول التَّاريخ أعني الَّذين كتبوهُ، فالَّذين يقرؤون التَّاريخ الَّذِي كتبه أنصارُ عليٍّ يرون الحقَّ معه، وقدَّمُوا الأدلة والحجج على ذلك، والَّذين يقرؤون التَّاريخ الَّذي كتبه أنصار معاوية يرون الحقَّ مَعَهَ وقدَّمُوا الأدلة والحجج على ذلك، ولا يمكن في حادثةٍ واحدة ان يكون الحقّ مع الطرفين.

وتساءَل المتسائلون من أهل البصيرة، هل فعلاً عَدَمُ تسليم قتلة عثمان لمعاوية، وهو خارِجُ شرعية الحكم من قبل علَيّ بن أبي طالب صاحب الشرعية فيه موجبٌ لتمرُّد معاوية على عليٍّ؟ ام هو وسيلةٌ من وسائل الخروج على

الشرعية بمبرِّر هش . .

وارتفعت أصوات الذين يستنكرون هَذَا التَّاريخ فأتهمُوا بالتعاطِف مَعَ عليٍّ، واستنكر عليٌّ بالذَات هذا الإصرار من مخالِفيه واعوانَهم فأعلَنُوا عليه الثورة، فاضطَرَّ (ع) لقتال أهل البغي كما يقول الإمام أحمد بن حنبل . .

وتصدّى كتَبَة تاريخ هذه الواقعة من أنصار عليّ لمهاجميه وحامليّ راية العدوان عليه، ولكن العدوان لا يدفع بالبرهان، ويأبى بعضهم ان يَرَى ان الأخلاق الإسلامية هي التي دَعَا اليها أبو الحسن عندما عارَضَ أبَا يزيد . .

ومن هُنَا ندرك أنَّ التَّاريخ الَّذي كتبه أكثر المؤرخين على الوجه الأخَصّ لم يكتب كما يجب أن يكتب، وربما جاءَ تجاوُباً مع ارادة فوقية تملي وتكتب ما تريد، والذي لم يكتب بإرادة فوقية فقد أملته عصبيات جامحة تنكبت به في المتاهات . .

وأرى أنّ صاحب رواية (الأشجار واغتيال مرزوق) قد استبصَرَ عقله في روايته تلك عندما أشار إلى الكتب الرسمية الموضوعة فقال: الكتب الموضوعة الآن رسميّة كَتَبَها الحكَّام كتبوها من زاوية مصلحتهم لتخدمهم، أمَّا الحقائق فإنها مطوية في صدور النَّاس، ولا يمكن لضوء الشمس ان يصل اليها وستذهبُ مَعَ هؤلاءِ عندمَا يموتون . .

وقال بصدد التَّاريخ :

التَّاريخ القديم، تاريخ الملوك والقادة والفتوحات مَنْ كَتَبهُ؟! ولماذا كتب بهذا الشَّكل ؟! وَهَلْ ما نقرأه وقائع حَصَلَتْ بالفِعل ام مجرد صُور ابتدعها الخيال؟!

وربما استوحى عبد الرحمن منيف هذا الرأي من اوغستين تيري الَّذي كتَب في رسائِله عن تاريخ فرنسا متعرِّضاً للمؤرخين فقال:

إنَّ تعنُّت المؤرخين في حرمَان الجمَاهير البشرية من كلّ عفوية أو بصيرة

لهو أمرٌ يسيرٌ تماماً، فإذا هاجر شعبٌ بأسرِه وأقـام موطِناً جديـداً، فمردٌّ ذلـك حسب قـولِ المؤرخين والشعـراء إلى أنَّ أحـد الأبـطال قـد اعتـزم تـأسيس امبراطورية لإشهار اسمِـه، وإذا قامت عـادات جديـدة فمردُّ ذلـك إلى أنّ أحد المشرِّعين قد تخيّلها وفرضَها، وإذا تأسست مدينة فلأن أحد الأمراء قد أوجَدَها، أمَّا الشعب والمواطنون، فهم دائماً كقطعة قماش يفصِّلها تفكير الرَّجل الفرد.

والَّـذي قالـه عبد الـرحمن منيف عَنِ التَّاريـخ القديم يصـحُّ ان نقولـه عن التَّاريخ الحديث، فليس كل ما ندوِّنه ونقرأهُ وقائع حصلت بالفِعْلِ، وليس كل ما لم نقرأهُ لم يَقَع:

والتَّاريخ كمـا يحدثنـا هو عن المشـاكل والأحـداث، ينقلنا أيضـاً هو إلى المشاكل، لِأنّه ينقل إلينَا صور الأحداث وما يصدر عنها من مَشاكِل في العلاقات السِّيَاسية والإجتماعية، وهَذَا النقل يخلق في نفوسنا تيَّارات غريبة، فَلاَ يسعنا إلاَّ أنْ نتأثر بما يصوّره لنا النقل سلباً أو إيجاباً، حتَّى مَعَ الأحداث القديمـة، لأنَّنا نتصـوَّر أن ما جـرى يمكن أن يجـري في العصـور المقبلة، ومثـل مـا نشجب ونستنكر وقائع مغالية في الإضطهاد والقهر، ننتصـر لوقـائع مبـالغةٍ في العَـدْلِ والرعاية، واحبُّ شيء يصبو اليه الإنسان في حياتِهِ هو العدل الَّذي يرعى حقوق المعذَّبين في الأرض، واكره ما يكرهه الإنسـان ويقاومه هو الظُّلم والقهر والطغيان ولذلك كانت الإنتفاضـات الثورية شيئاً مبـرَّراً إذا كانت لإزاحـة الظُّلم واقـامة العدل، وبسطِ سيادة الإنسان على نفسِه.

يقول الدكتور محمد الطالبي في مَقَالٍ نشرته له مجلة عالم الفكر في عَدَدِهَا الأول من المجلَّد الخامس: إنَّ التَّاريخ هو ذاكرة الجماعات هكذا كانَ قديماً، وهكذا هو اليوم، غير انَّا اليوم توغلنا في متعَرجٍ سوف يُصْبِحُ فيه التَّاريخ عندما يبلغ التطوُّرُ غايته، ذاكرة الجنس البشريِ بدونِ حصرٍ أو بدون تقييد..

هَذَا القول من الدكتور الطَّالبي جَيّد ومفيد، ولكن السؤال المطروحِ هـو، كيف نستفيد من هذه الذّاكرة، فالذاكرة التي تعي إيجابيات التَّاريـخ تعي أيضاً سلبيـاتـه، وبين هَـاتين الحـالتين تعيش ذاكـرة الجنس البشـري حيـاة القلق

والإضطراب . .

ويقول الباحثون في التَّاريخ : إنَّ الفرق بين التَّاريخ القديم والتَّاريخ الحديث . . إنَّ القديم كان يؤرخُ حياة الأفراد الإجتماعية، والحديث يؤرخ حياة الشعوب الإقتصادية،

ولكن التَّاريخ الَّذي ارَّخ حياة الأفراد، هو الَّذي نقل الينا أساليب القهر والإضطهاد التي كان يستعملها قاهرو الشعوب، ومغتصِبُو اراداتهم، ومصادرو حريَّاتهم . .

ولولا هذه الذاكرة التي وَعت هذه الأحداث، لما رأينا حقد الشعوب ينفجرُ ضِدَّ الأفراد، ولما رأينا الضعف ينفجرُ أمَامَ القوَّة، ولما عَرَفْنَا من عمِل صالحاً مِمَّن عَمِلَ سَيِّئاً . .

ولربَّما يقولُ قائلٌ : الإنسان هو صانِعُ التَّاريخ واداةُ تنفيذِ حوادثه، هَذَا القول ـ على بُعْدِ غوره ـ لا يزيدنا علماً بالتَّاريخ، وَلاَ يقدِّمُ شيئاً جديداً في هَذَا الموضوع، لأنَّه من الطبيعي أنْ يكونَ الإنسان صَانِعَ التَّاريخ، وان يكون هو أداة تنفيذ حوادثه، ما دام التَّاريخ هو الذَّاكرة التي يعودُ اليها الإنسان في استذكار ما سلف لمعرفة أساليب الحياة بين النَّاس، وما هو التَّاريخ لولا ان يكون الإنسان مادته وصاحب الفاعلية فيه، ومن التَّاريخ تتعرف على صور التعايش المتعامَلُ بها بين النَّاس، والعلاقات الصحيحة أو المريضة بين الإنسان والإنسان وبين الشَّعب والشعب الآخر .

والدعوة إلَى إعادة بناءَ التَّاريخ ـ بتعبير ادق ـ إعادة النَظَرِ في مفهومِه، أو الاجتهاد في تقويمه أو وضع اسس ثابتة له، حَتَّى يُصبح علماً نافِعاً، يعين الأمَّة على ادراك حقيقة نفسها، وحقائق غيرها من الأمم ـ كما يقول بعض أهل الرأي ـ هو رأيٌ بغايَةِ الأهميَّة لو يُتاح لنا من يعمَلَ بِهِ، ولكنا اصبحنا في زمان كثر به الراؤون وقل العاملون ويختلف الرأيُ في التَّاريخ ، فالتَّاريخ الَّذي يقول عنه بول فاليري : أخطر انتاجٍ انتجته الكيمياء الذهنية، يقول عنه ابن خلدون : هُوَ

في ظَاهِرِه لا يزيد على إخبارٍ عن الأيّامِ والدُّوَل، والسوابق من القرون الأوَل، تنمو فِيها الأقوال، وتضربُ فيها الأمثال، وتطرفُ بها الأنديَةُ إذَا غَصَّها الإحتفال، وتؤدّي الينا شأن الخليقة كيف تقلّبت بِهَا الأحـوال، واتّسع للدوَلِ فيهـا النّطاقَ والمجال، وعمروا الأرض حَتّى نادى بهم الإرتحال، وحان منهم الزَّوال، وفي بَاطِنِه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌ للكائنات ومبـادئها دقيق، وعلمٌ بكيفيّـاتِ الوقـائعِ وأسبابِهَا عَمِيق فهو لهذا أصِيلٌ وعريق..

وإذا كان هذا هو رأي ابن خلدون في التَّاريخ انه اصيل وعَرِيق فتأمل الرأي المعاكِس لِـ (بول فـاليري) حيث يقـول: فهو ـ أي التـاريخ ـ يهيّـجُ الأحلامِ، ويثمل الشعوب، ويولد لهم ذكريات موهومةٍ، ويزيدُ ردود فعلهم حِدَّة، ويغذّي جراحهم القديمة، ويعكّر عليهم صَفْوَ راحتهم، ويقودُهَا إلى الهذيان بالمجد، أو بالاضطهاد، ويجعل الأمم تشعر بالمرارة والعجب، ويصيِّرهَا لا تتحمَّلُ زهو نفسها..

وإذا شئنا ان نقارِنَ بين هذين الرأيين نـرى ـ على بُعد مـا بينهما ـ أنَّ كـلاً منهمَا عبَّر صَادِقاً، ولكن ما الحيلة إذا كان التَّاريخ هو ذاكرة الجنس البشـري، وإذا كان لا بدّ من هذه الذاكرة..

انّنا كما يقولون: لا نستطيع سلبَ جنسنا ذاكرته، والطريق المفتوحَةُ أمَامَنَا هي تطهير هذه الذاكرة وصقلها..

وارنولد توينبي، الَّذِي دَعَا إلَى استنتاج العِبر من الحوادث التـاريخية كـان سليم الـرأي، وهـو لا يخـرجُ عن نـظريـة ابن خلدون ويتـلاقى مَعَـه في هَـذَا المنعطف:

وإذا كـان شمس الدِّين السَّخَـاوِي في كتابـه (الإعلان بـالتـوبيـخ لمن ذَمَّ التَّاريخ) يَرىَ أنَّ التَّاريخ أَحَدُ العلوم المسـاعدة لعلم الحـديث وكأنـه يعتبر انَ تدوين الحديث نوع من التَّاريخ ساعد على تعلمه ونقله وحفظِه ويستفاد من هَذَا انه يهاجم نَاقِدي التَّاريخ ورافضيه من مفكريِّ المسلمينَ الّذين يرون أنَّ التَّاريخ علمٌ لا ينفع، إذ هو يشغِلُ الإنسان بأخبار الماضيين، وأساطير الأولين، عمَّا ينفع

الإنسان في اخراهُ من علوم الدِّين، ثم انّه يعرِّض صاحبه للكذب عن علمٍ أو غير علم فهو لا يدريَ ان كانت الأخبار التي يسوقها صحيحة!! ام غير صحيحة، وهَذَا ما عرضنا له في بداية هذا الحديث. .

ويقول الدكتور حسين مؤنس في مقالِهِ (التَّاريخ والمؤرخون): إنَّ بعض نقَّاد التَّاريخ من المسلمِين يَرَى أنَّه غيبة، لأنّه يتناول الغائبين بالذمِّ والنقد، ويكشف عن عيوبهم، والإسلام ينهى عَنِ الغيبة، ويذكرون من عيوبه أنَّ بِهِ تحامُلاً على أقوام. .

هَذَا الرأي من الدكتور مؤنس لا يتجانس مع رأي السخاوي ويتعارَضُ مَعَهُ تماماً، ويثبت ان التَّاريخ غير منصف وانه يتحامل على اقوام ويتعصَّبُ مَعَ آخرين. .

ويجيءُ رأيٌ آخر: وهو إنَّ من بين كبار المفكرين والفلاسفة من ينكر وجود التَّاريخ أصلاً، ويقولون: إنَّ التَّاريخ يُعنى بمَا مَضَى وانقضى من الأحداث، وما دامت قد مضت، فهي غير ذاتَ وجود حقيقي وهِيَ لا تبعث إلى الحياة إلاَّ في ذهِن المؤرخ.

وعلى كلِّ حالٍ، ومهما تَنَاقضت الأقوال، واختلفتِ الأراء وتضاربت التفسيرات، يبقى التَّاريخ هو التَّاريخ موجوداً ككائن حيّ يتحدث عن الأموات ويجامل الأحيَاء، وسيظل يكتب بصيَغِه المختلفة تحامُلاً ومجاملة، شاءَ مريدوه، ام لم يشاؤا، ومحسوباً على العلوم، يؤمن بِه أقوامٌ، ويكفر به آخرون. .

وإذا كَانَ قومٌ يرونه مهيّجاً للأحلام، ومثيراً للأحقاد فهناك من يراه عظةً وعبرة، يعرف بِهَا الإنسان الحديث كيف يتحاشى اخطاء الإنسان القديم، وهو بحد ذاته يعرفنا كما قال ابن خلدون، أحوال وأخبار الدُّول والأمم والشعوب وينقل إلينا حضارات أصحابِ الحضارات، فنتأثر بها ونستفيد منها، ونتجنَّبُ مَظَاهر التخلف عند أهلِ التخلف، فنحيد عنها ونرفضها. .

فالتَّاريخ على كلِّ الأحوال، علمٌ يربط الحاضر بالماضي بسلسلة محكمة

الحلقات، ونستطيع أنْ نقول مع القائل: التاريخ أمامنا أكثر مما هو خلفنا . .

ونريد بعد كلّ ما تقدم، أن نقول: انّه يهمنا في مساقنا هَذَا التَّاريخ الإسلامي، هَذَا التَّاريخ الَّذي اعتمد في أكثر منطلقاتِه رصد النظريّات الدينية وتخالف اصحابها مع بعضهم، وتكريس الخلافات المذهبية والطرائقية وحصر جُلّ اهتمامه في خلافات الفرق، ومن خرج منها على السنَّة ومن تمشى منها مع السنَّة، ومَنْ هوَ مِنْ اتباع زيد، ومَن هُوَ من اتباع عمرو، ولم يتحاش بعضهم التشهير والتعريض بالأمور المخلة أدباً واخلاقاً ولم يتورَع عن اعلان التكفير والتفسيقِ جزافاً، مِمَّا أدى إلى توسيع الثغرات بين طوائف المسلمين. الأمر الَّذي سَهَّل الإنقضاض للمتربصين بهم والمهدّمين في بنيانهم . .

وكأنّ التَّاريخ الاسلامي لم يكتفِ بتقسيم المسلمين إلى سنَّة وشيعة فتوسَّعَ المؤرخون، وقسَّمُوهم إلى فرق ومَذَاهب، فكتب عبد القاهر البغدادي كتاب (الفَرق بين الفِرق)، وكتب أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي كتاب (فرق الشيعة)،وكتب سعد بن عبد الله الأشعري كتاب (المقالات والفرق) وكلها تَصُبُّ في مَصَبٍّ واحد من تعديد هذه الفرق وبيان انحرافات المنحرفين منها على رأي هؤلاء المؤلفين، وتفنيد عقائد أهلها، فقبلوا من قَبلوُا وَسَفَّهُوا من سفَّهُوا، واحتكروا الجنة لفرقةٍ واحدة واباحُوا النَّار لَمن عداها من الفرق الأخرى . .

وكان من بين تلك الفرق الَّتي سمَّاهَا النوبختي، وعبد القاهر البغدادي وسعد الأشعري القِميّ، الفرقة النميرية، والتي حملت حقبة غير قصيرة من الزّمن اسم (النصيرية)، ثم تحوَّلت تسميتها إلى (علويين) مؤخَّراً.

هذه الفرقة الَّتي نؤرِّخ لها الآن على رقعة الأرض اللبنانية، نؤرِّخ لها لأنهم تجاهَلُوا وجودها على الأرض اللبنانية، ومقاريض المؤرخين عملت بها هناك تشريحاً وتجريحاً، فالمؤرخون الطائفيُّون ـ إذا ذكروا هذه الطائفة ـ شوَهوا سمعتها معتقداً ووطنية وسلوكاً وأخلاقاً وآداباً مما سنشيرُ إليه في مطاوي هذا الكتاب . .

ونحن نرجو ان لا نسيء إلى فرد ولا إلى طائفة كما أساء إلينا البعض ونتمنى أن يكون عملنا عملاً خالِصاً لوجه الحقيقة، فقد طال الجدل في الباطل الذي بِهِ يمترون . .

ومهما حاول المؤرخون بذكائهم ان يغيّروا وجه الحقيقة فسيظل التَّاريخ منظوراً إليه بذكاء وستظل الحقيقة هي موضع تطلع الجميع في هذا الذّكاء.

وأنّنا نتطلع مع المفكرين الصينيين القدماء إلى التَّاريخ الّذي يشكل ينبوعاً مِنَ التَّعاليم الأخلاقية، يكون فِيهِ دائماً للرذيلة عقاب وفيه للفضيلة ثواب . .



العلويون والشيعة

يجمع المؤرخون عَلى اختلافِ مشاربهم ونزعاتهم، وتباين اهوائهم على أن العلويين فرقة من الشيعة لم تختلف مع الشيعة في شيء إلاّ في بعض الأشخاص الشيعية، وهي كغيرهَا في المنظور الشيعي، لأنّ التّاريخ العَام والخاص إذَا تأمله المتأمّل النبيه لم يجد به خلافاً أساسياً على تقديس شخصية إمام المتقين كما يسميه عبد الرحمن الشرقاوي، فكلهم مهما تشعبت بهم الطرق، ومهما بَاعدت بينهم المسافات، ومهما حاول التّاريخ المتحامل ان يضع الفواصل المريبة، يتلاقونَ عَلى غاية واحدة، وهي الإيمان بالوَلاء لهذا الإمام العظيم وإلى تقديس شخصيته الفذة..

وإذا رجعنا إلى تاريخ الشيعة نجده كلّه ينصب في دَلائِلهِ وبراهينه وغاياته واهدافهِ إلى أن هذا الولاء وهذا التقديس لهذا الإمام العظيم هو الصراط المستقيم وان الذين انحرفوا عنه هُمُ المخطئون..

وانصَبَّ تاريخ الشيعة أيضاً بعد غياب هذا الإمام على الأخذ بولاء الشخصية التي تخلفُهُ في حملِ رسالة الإسلام، وتسليم الأمر إليه؛ فاختير لها بعده ولده الحَسَن، ولكنَّ، الحسن اجبرته الظروف السياسية لأن يتخلّى عنها لخصمِهِ، وانتهت حياتُهُ على الشكل المعروف تَاريخيًا، فاختير بعده اخوه الإمام الحسين، وشاءَ هذا أن يتجاوز ظروف أخيه، وان يثبت لمواجهة اخصامه، وآثر ان يسقط امام طغيان المواجهة حتى لا يقال: سكت عن حقّه.. وكَانَ أوّل شهيد آثر الموت على الحياة في سبيل هذا الحق..

واختير بعده ولده. علي بن الحسين، ولكن هذا بقيت امامته مقتصرة على الحياة الروحية، والنُسك والتعبد والورع لأنه نشأ في ظروف لا تساعده على غير ذلك فقد بلغ ظفَرُ اعداء أبيه بأبيه وأهل بيته قمة الشراسَة والبطر والإستهانة بالأخلاق والقيم..

واختلف بعده ولداه زيد ومحمّد، فالأوّل رأى الخروجَ على الظّالمين والثاني رأى المسالمة والمهادنة فانقسمت الشيعة إلى زيدية وباقرية وكان ان سقط الأول صلباً وبقي الثاني ولكن هذا لم يحل دون انقسام الشيعة، فبقيت

الزيدية فرقة مستقلة حتى أيّامنا هذه، وتابع الباقريون محمد الباقر وظَلَّ هذا الإنشطار بينهما قائماً حتى استطال على الكثير من الأمور الشرعية والفقهية.

وهكذا نجد أن الإمامَة ظَلّت تنتقل من امامٍ إلى آخر من صلب هذه السلالة وظلّ الإختلاف على الخلف يرافق اتباع هذه السلالة ومن رَغِبَ بالمزيد من الإطّلاع عَلى ما حصل من خلافات بين أبناء الأئمة فليرجع الى كتاب فرق الشيعة للنوبختي فهناك التفصيلات المفيدة للمستزيد، وَلاَ بد لك من المرور بأكثر من خمسين فرقة من الشيعة التي اختلفت مع بعضها قبل ان تصل إلى الفرقة (النميرية) التي هي آخر الفرق بعد غياب آخر الأئمَّة..

وإذا رجعنا إلى تاريخ هذه الفرقة (النميرية) نجد أنّها نشأت بعد غيبة الإمام الثاني عشر، حيث استقل أبو شعيب محمد بن نصير النميري بالشؤون الدينية بعد غيبة الإمام رغم المعارضة ـ وتميَّز اتباعه بهذه التسمية (نصيرية) (نميرية)..

وأبو شعيب هذا قام بالبابيَّة ـ مقام معروف عند الشيعة ـ لثلاثة ائمَّة ولكن الَّذين لم ترفهم بابيَّتُهُ اختلفُوا مَعَه وزاحموه على مركزه هذا، واثاروا حوله كثيراً من التهم الباطلة، لكي يصرفُوا اتباعه عنه، ولكن رغم هذه التهم ظلت بابية ابي شعيب بابية قائمة وظل اتباعُهَا معها..

ويبدو من عنف المعارضة وشراسة بعض المعَارضين: ان الفريق الأكبر من جماهير الشيعة كَانَ تابعاً لأبي شعيب، ولم يظهر الخلاف عليه إلّا بعد غياب الامام الحادي عشر بالوفاة وغياب الإمام الثاني عشر بالتواري عَنِ الأنظار..

إنَّ غياب الإمام الثاني عشر في سامَّراء ـ غيبته الصغرى ـ كما تقول الإمامية مهَّد السبيل للفريق المعَارض لأبي شعيب أنْ يجد من السفراء الأربعة وما قيل من اتصالات سريّة بينهم وبينه وحمل رسائل وتوصيات رواها ذلك الفريق على عهدته قامت حججًا ضد بابيّة أبي شعيب أدَّت إلى نشوب خلافات علنية بين الطرفين انتصرت لها قوى عديدة من معتدلي الشيعة ومن متطرِّفي السنة ضد الفرقة النميرية، الأمر الَّذي جَعَلَها هَدفاً لعداوة سافرة..

واستعان الفقهاء المعارضون بالفتاوى والنصوص للقضاء على الفكرة الشعبية واتباعها، واثاروا ضِدّها الجماهير، ولكن الجماهير لم تثر ولم تستجب فلجأوا إلى رجال الحكم، وكان ما كان من استخدام الجيوش والعساكر واستعمال السِّلاح مما هو مدوّن ومشهور في كتب التَّاريخ وليت شعري متى كانت الجيوش والعساكر والسلاح لمثل هذه الأمور!!

وصَبَر هؤلاءِ على كل المواجهات وما رافقها من عُنفٍ سواء على مستوى الفقهاء أو على مستوى القادة والعساكر، ولكنّها في هذا الصبر استطاعت هذه الفرقة ان تبقى رغم كلّ عوامل الإفناء..

فقد كانت هذه الفرقة ـ على ما يرويه التَّاريخ ـ منتشرةٍ في اصقاع العراق انتشاراً واسِعاً في الكوفة والحلّة وواسط وجنبلا والبصرة وبغداد والموصل وعانا وان معظم علمائها واساتذة تفكيرها من هناك..

ولما حوصرت هناك ولوحق شيخها الخصيبي بسعاية مغرضة في بغداد حيث كان يقيم فيها بمحلة باب شرقي، فهجر بغداد وانتقل إلى دمشق واجتمع له اتباع فيها ثم لوحق أيضاً هناك وسُجِنَ ثم افرج عنه فانتقل إلى حلب، وفي حلب يقول عنه صاحب (منهج العلم والبيان) وجد أرضاً جزراً فأحياها، وهناك احتضنه امراؤها الحمدانيون واستجاب له شعبها فاستقرَّ هناك واجتمع حوله المريدون من مختلف مناطق حلب كان ابرزهم أبو الحسين محمد بن عليّ الجلّي وهو من قرية الجلّية من أعمال انطاكية.

وسرت فكرة هذا الشيخ ومعارفه الفقهية وامتدت فشملت ريف حلب وشاطىء انطاكية وجبال الاسكندرونة حتى جبال اللاّذقية.

وانتشرت في بانياس الشام وطبرية بلد أبي سعيد ممدوح الخبَّاز الصّوري، وصور وصيدا وطرابلس وجبال الظنية وسهول عكار وكان لها انتشار واسع في وادي التيم ومناطق الدروز الآن..

وهنا تعليقٌ انفرد به اخونا الأستاذ حامد حسن يتعلق بتسمية هذه الفرقة

(نصيرية) وَانتشارها في مناطق سكناهَا في هذه الجبال فقال:

هَذَا الإنتشار كفرقة من الشيعة، أمَّا وجودها في هذه الجبال جبال (النصيرة) فهو يرجع إلى زمنٍ مغرقٍ في التَّاريخ ومنه اتخذت اسمَها (نصيرية).

يقول صاحب ولاية بيروت ـ بعد ان اورد أقوال المؤرخين في سبب تسمية النصيرية، مثل نسبتهم إلى نصير غلام علي بن أبي طالب، أو نسبتهم إلى محمد بن نصير العبيدي البكري النميري:

كان النصيريون في أيَّام الرومَانيين أيْضاً، ويروي (استرابون) المؤرخ اليوناني: ان النصيريين حافظوا على كيانهم واستقلالهم تجاه الفينيقيين في العصر الأول للميلاد، وشذَّ ما امعنت النصرانية في الإنتشار والتعميم بين الوثنيين في سورية، ولكنَّها لم تستطع ولوج تلك الجبال عَلى النَصيرية، فكانُوا في معزل عن تبشيرهَا، ويبرهِنُ على صِدْقِ مدَّعَانَا ما نعثر عليه في انحاء سورية من انقاضِ البيَع والكنائس المبنية على طراز القرن الخامس والسادس للميلاد، والتي لا أثر لها في بلاد النصيرية..

وأغلبُ الظَنَ ان المسلمين لم يتمكنوا من اكتساح جميع هاتيك الشواهق في القرن الميلادي السابع، واسم النصيرية لم يدخل التَّاريخ إلاَّ في القرن الحادي عشر. ثم يعلق الاستاذ حامد قائلاً:

وإذا اردنا التوفيق بين أقوال المؤرخين الَّذين يعتبرون منشأ النُّصيرية منشأ مذهبيًّا، كنسبتهم إلَى نصير غلام عليّ أو إلَى محمد بن نصير وبين نسبتهم إلَى هذه الجبال (جبال النصيرة) فلا نجد صعوبةً، ولا عناءَ، فهناكَ من نُسِبُوا إلَى نصير غلام عليّ أو إلَى محمد بن نصير ثمَّ استقرُّوا همأو ابناءهم أو احفادهم في هذه الجبال مهاجرين اليها تحت ضغوطٍ سياسيةٍ أو اجتماعيةٍ واستقروا بين ابناءَ هذه الجبال والتقى الجميع بالتسمية نحلةً وموطِناً، ولكن المؤرخين أبُوا إلاَّ أنْ ينسبوهم إلى الصفة المذهبية ليسلبوهم القدم التَّاريخي، ويجدون المغامز والمطاعن عليهم انتهى.

ونعود إلى ما كنا في الحديث عنه، وهو تـواجد العلويين (النصيـرية) في مناطق لبنانية جنوبية فنقول:

يؤيد ذَلِكَ ما رواه المؤرخ فيليب حِتّي في كِتابِهِ تاريـخ سوريـة وفلسطين عندما شرع يتحدَّث عن الدروز، قال:

(وعندما حاول الدروز ان يوثّقُوا امرهم، ويثبتُوا اقدامهم في جنوبي لبنان، نشب نِزَاعٌ بينهم وبين جماعةٍ أخرى هناك كانت قد انحرفت عن الإسلام (كذا) هم النصيرية)..

هَـذَا القول يقيم لَنَـا الدَّليـل الواضِـح على الوجـود العلوي في لبنان منـذ القـديم، ويبيح لَنَـا ان نستنتجَ منـه انهم قبل الـدروز كانُـوا في تلك المنـاطق اصحابَ قدمٍ ثابتة، واذا صَحَّ ان النِّزَاع حصل بين الطائفتين فـذلك من أجـل حلول طائفةٍ مكان أخرى، وَمَا من شك ان الطَّائفة التي يراد الحلول محلَّها هي الأقدم. ولكن هناك عبارة، لا نريد ان نمرَّ بهـا صفحاً، وهي قـوله (كـانت قد انحرفت عن الاسلام، هم النصيرية)..

كنا نفضِّلُ ان نتجاوز هذه العبارة وان نغضي عَنْها، ولكن تهمـة الإنحراف عن الإسلام تصدر عن رجـلٍ غير مسلم تبقى صـالحة للطعن والشـك في أمر صاحبها، وتحملنـا على التسـاؤل، مـا هو الـوجه الّـذي يعرف بـه هذا المؤرخ المبادىء الإسلامية ليشير بموجبها إلى هَذَا الإنحراف.

ان تقرير الانحراف عن دينٍ لا يؤمن به المؤرخ نرى به منتهى الخروج عن اصولية التأليف..

اننا نعلم ـ وهم يعلمون ـ لماذا يحرص المؤرخون من اخوانـنا المسيحيين على نقل الصور المنفِرّة عن طائفة العلويين (النصيرية) التي عصمت لسانها عن تناول المسيحية والمسيحيين بأي كلمةٍ لا تليق ذوقاً ولا اخلاقاً، فبعد ان مـررنا بفيليب حتّي وتاريخه، نمرُّ الآن بتاريخ سورية تأليف جرجي يني، هَذَا المؤلّف

اللبناني الجنسية، اليوناني الأصل، نجده يتحدث عن اللاذقية بمختلف ادوارِها التَّاريخية، وشاءَ أنْ يصف جوارها فقال:

ويعلو الـلاَّذقية جبـل النصيريـة، وهم قومٌ كثيـروا العـدد يسكنـون القـرى والمزارع، إلاَّ انهم لا يعرفون التمدُّن، ولا يراعون واجبات الإجتماع الإنساني، حيث يصـرفون معـظم اوقاتهم بقـطع السبيل، ونهب القـرى، والقاء الفتن في البلاد، منضميّن عصبةً واحـدة، لا تقوى الحكـومات المحليـة على ردعها إلاَّ بتجريد السيف، ذلك ما فعله بعض الولاة الكرام، اخصُّ منهم بالذكـر حضرة المرحوم راشد بَاشا، حيث دَوَّخ الساحل وقتل بعضاً منهم إلاَّ أنَّ فتنتهم ابت إلاَّ السكون تحت رَمَادِ الخـوف (ونراهم في كـلِّ حين على اهبة اقـلاق الحكومـة السنِيَّة والقائها في الأرتباك فليس من دواءٍ لقطع تعدياتهم والزامهم حد الانسانية إلاَّ معاملتهم بما يأتي بهم إلى حظيـرة الحضارة، حيث يتعلمـون الانتفاع من السلوك والطاعة وخدمة الدولة والوطن). انتهى..

لقد وصفهم المؤرخ (ينى) بهذا الوصف الذي كان بغنىً عنه لأنه لا يؤرخ لهم في هذا الكتاب، ولكن كما قيل: استضعفهم فوصفهم، وان ذكرهم جـاءَ عَرضَياً مع ذكر الـلاذقية، وكـان عليه ان يكتفي بـالقول: انـه يعلو اللاذقيـة أو يجاورها جبل النصيريـة دون الاسـراف بهـذا الوصف المـزري الذي لا يعـرف مصداقيته لأنه لم يكن يعرف عنهم إلاَّ ما تنقله إليه الأخبار المغرضة، ولم يكن مضطراً للتوسع فيه إلاَّ إذا كان يريد مصانعة السلطة.

فأيَّ طائفة في لبنان حتى في هذا العصر، عصر الحضارة ليس فيهـا قطَّاع طرق وناهبوا أموال وخاطفوا اشخاص، ومخربوا بيوت وقاتلوا رجال..

لقـد حرمُـوا العلويين (النصيريـة) كـل الأسبـاب المؤديـة إلَى الحضـارة، وحاسبوهم على قلةَ الحضارة والتمدّن ومعـرفة الـواجبات الاجتمـاعية، ويتغنى هذا المؤرخ بفعلة راشد بَاشا الذي دوّخ السـاحل بطغيانه وبظلمه.

يـورد (ينى) كـل هـذا على مسؤوليـة قلمـه وضميـره، ولكنـه ينسى ولا

نقول ـ سامحه الله ـ ما كان يفعله اولئك الولاة المتوحشون بأبناء هذه الطّائفة المعذبة المقهورة من أفعال دونها افعال الوحوش بالسوائم المهملة.

وإليك ايها القارىء الكريم هذه الأسطر القليلة من المعلومات التّاريخية التي تتفجر حقداً وغضباً وتأثراً بالغاً من اولئك الظَّلَمَة عثرنا عليها في كتاب مخطوط عند أحد ابناءَ آل حرفوش يعود تاريخها إلى سنة ١١٢٣ هجرية الموافقة سنة ١٧٠٣م وهي معلومات مع الأسف الشديد اغفلها المؤرخون قصداً، وننقلها هنا بنصها الحرفي:

في هَذَا العام ـ أي عام ١١٢٣ هجرية طلع حاكم من ديرة طرابلس يقالُ له بربر. حاكم ظالم جرّد عساكره على ديرة الشمالية ووطق بالجديدة ونهبها من البهلولية إلى حد بلاد بنو علي، وقطع النصب وحرق بلاد كل السواحل وشتت العباد والله المجير، وطلع في بلاد الكلبية ونهب القرداحة، وصار وقعة من العمر ما جرت، وقتل في ذلك الوقعة حسن بن مخلوف وغيره وقدر تسعة عشر /١٩/ . ومن العسكر قتل شيء كثير ما يحصى عددهم، وقبل ذلك التّاريخ بعامين أو ثلاثة مضى الكنج يوسف الله لا يذكره بالخير ولا يعفي عنه) انتهى.

لقد حرصنا على تدوين هذه المعلومات ليعلم النّاس ظلم التّاريخ وعدم انصاف المؤرخين واي معاملة سيّئة كانت تتعرض لها هذه الطائفة.

ونعود لنحاسب فيليب حتي أيضاً على خطأ ارتكبه في فهم أُصول الفروع، فهو يقول عن النصيرية ما يلي:

(والنصيرية فرعٌ آخرٌ من الفروع الاسماعيلية، والرَّاجح ان اسمهم منحدرٌ من محمد بن نصير الكوفي، أواخر القرن التاسع، وهو أحد مشايِعي الحسن العسكري المتوفى سنة ٨٧٤م وقد وردت أقدم اشارة هامّة إلى ابن نصير واتباعِهِ في بعض اثار حمزة وغير حمزة من فقهاء الدروز السابقين، على أن آخر مؤسِّسِي هذه الشيعة على ما في مدوّناتهم هو حسين بن حمدان الخصيبي المتوفى سنة ٩٥٧م. وقد كان قبلًا مولى إسماعيلياً من موالي الحمدانيين

بحلب).

هَذَا ما قاله فيليب حتي دون ان يشير إلى مصدره في هذا القول، وهو قول لم يتعرضَ له غيره، فماذا نقول عنه!! وعن مثل هذه المعلومات التي يتبنّاها هو ويعرض عنها المؤرخون حتى من الإسماعيلية المنسوب اليهم ومن هذه المعلومات قوله: (والنُصيرية فرعٌ آخر من الفروعِ الإسماعيلية).

هذا القول مرسَلٌ على العواهن حيث يتناقض مع التَّاريخ، ومن المعلوم تاريخيًّا: أنَّ الإسماعيلية انفصَلُوا عن رأي الشيعة في الأمامة منذ عهد اسماعيل بن جعفر الأمَام السادس، أمَّا النصيريُون فقد ظَلُّوا على رأي واحد مع الشيعة في الائِمَّةِ الأثني عشر حتَّى الآن، ولو لا بابيَّة أبي شعيب لَمَا وجد خلافاً بينهم، كما أنَّ محمد بن نصير الَّذي يزعم (فيليب حتيّ) أنَّ اسم النصيرية ينحدر منه جاءَ بعد انفصال الأسماعيليين عن الشيعة الأثني عشرية بزمن طويل..

ومن هذه المعلومَات قوله عن الحسين بن حمدان الخصيبي: انه كان اسماعيلياً من موالي الحمدانيين في حلب، والتَّاريخ لا يقول: إنَّ الحمدانيين في حلب كانوا اسماعيليين، حَتَّى ولا التَّاريخ الأسماعيلي يقول ذلك، وانما التَّاريخ يقول: كانوا شيعة لا أكثر، وان أحداً من المؤرخين لم يقل ذلك ولم يشر إليه سواءٌ اكان المؤرِّخ اسماعيليًّا أو غير اسماعيليّ، فمن اين جاءَ فيليب حتيّ بهذه المعلومَات اليتيمة..

هَذَا وان الروايات التي بين ايدينا تناقضُ ذَلك تماماً، فهي تشير إِلَى ان الحسين بن حمدان الخصيبي هو الَّذي أثر في الحلبيين شعباً وأمراءً وليسوا هم الَّذين اثروا فيه..

فقد جاءَ في كتاب مخطوط منسوبٌ إِلَى أحد الأمراء الفاطميين. بمصر يسمَّى هذا الكتاب (منهج العلم والبيان ونزهة السمع والعيان) وذلك في الباب الرَّابع عشر منه ما يلي.

(وحلب دار الهجرة، ومنها نشأ توحيد الله جَلَّ وعَلاَ وان السيد أبَا عبد الله

الحسين بن حمدان الخصيبي جاءَ إِلَى حلب قصداً واتخذها له وَطَناً ومسكناً، أتى إِلَى الأرضِ الجردَ فأحياها وعرَّف اهلَها معرفة الله جَلَّ اسمه وذكر صاحب الكتاب المذكور أيضاً عنه:

(وكلُّ من بالشام واكثر الشيعية الموحّدة الَّذين بالعراق فمِن علِمِه عَلِمُوا وَلَهُ بالفَضْلِ اعترفُوا).

بقي أنْ نشير إلى أنَّ صَاحِبَ هَـذَا الكتاب نشأ في مطلع القرن الخامس الهجري.. واغرب من كـلِّ هَذَا أنَّ فيليب حتّي يضيف إِلَى النصيرية اتباعاً، يسمي بعضهم (التختجية) يعني الحطَّابون، ويسمِّي بعضهم (القزلباشية) يعني ذوو الرؤس الحمر.

ويسمِّي فئة أخرى، (العلي الهية) ولكنه فيما يذكر لا يقدم سَنَداً وَاجداً لهذه التسميات، ولا دليلاً واحداً يؤيد صلة هؤلاءِ بالعلويين، فهو كما يبدو يطرح معلوماتٍ كيفما اتفق وينشيء تاريخاً لا كما هو، بل كما يريد ان يكونَ...

ويزيدُك علماً في عميقِ معرفته فيقول ـ وهو يقصد العلويين ـ لكنَّهُم سُمُّوا في تاريخ الصليبيين (النزري).

وبصدد ما اورد لهم من تسميات خلط بعضها بما هو موجود وبِمَا هو غير موجود، فمن ذلك اسم (التختجية) أو (الحطابون) هذه التسمية انفرد بأيرادِهَا في حين ان النصيرية لا يعلمون عنها شيئاً البتة ولا يوجد بينهم فئة تدعى بهذا الأسم ولم يشر الى هذه التسمية احدٌ من المؤرخين قبله والَّذين ذكروهَا بعدَهُ اخذوهَا عنه بغير تبصر أو تعليل..

ومن ذلك اسم (العلي الهية) فهي موجودة ولكن ليس بين العلويين وهم فئة أو طائفة مستقلة تسكن احد المناطق التركية ولا وجود لها في كلِّ المناطق التي يوجد بها العلويُون على الأطلاق.

ومن ذلك تسمية بعضهم (القزلباشية) (أصحاب الرؤوس الحمر)، فقد اشارت المصادر ان القزلباش مجموعة من الصوفيين حاولت نزع الحكم من

الصفويين حُكّام ايران من الشيعة. فكانُوا سبَباً لاتخاذ الصفويين موقفاً مُناهِضاً من التصوف ومن ورائهم الشيعة، ولم نجد في التّاريخ العام، وَلاَ في التّاريخ الخاص، ان القزلباش نصيرية أو علويين..

ومن ذلك ما أشار اليه انّهم سمُّوا في تاريخ الصليبيين (النزري) وكأنه يجهل ان كلمة (النزري) تعني (النزارية) وهم اتباع (المستعلي) وقد اشار إلى ذلك بتفصيل واضح الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه تاريخ الاسلام، فقال:

(شرع الخليفة المستنصر الفاطمي قبل وفاته سنة ٦٨٧هـ في أخذ البيعة لابنه الأكبر نزار، غير ان الوزير الأفضل ابن امير الجيوش بدر الجمالي اخذ يماطله حتى توفي الخليفة قبل ان تتم البيعة لنزار، وبادر الى تولية ابنه الأصغر ابي القاسم أحمد. ولقبه المستعلي بالله. فكان من اثر ذلك ان قام النزاع بين انصار الفاطميين في مصر)[1]..

ويكفينا ما اوردناه ان نتخذ منه حجّةً تمنع من الأخذ بمعلومات (فيليب حتي) عن العلويين (النصيرية) وتدليلاً على فساد مزاعمه ومقولاته الزّائفة..

ومن تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ننتقل إلى تاريخ لبنان..

قال فيليب حتي في «تاريخ لبنان»: (ان الطائفة النصيرية الّتي كانت تتوطن جنوبي لبنان عند ظهور الدعوة الدرزية، تقيم الآن في منطقة جبال العلويين في سورية إلى الشمال من لبنان، وهم كالدروز فرعٌ مِن الأسماعيلية، ويرجح انهم سمّوا بالنصيرية نسبة إلى رجل اسمه محمد بن نصير الّذِي كان احد اشياع الأمام العلوي الحادي عشر الحسن العسكري المتوفى سنة ٨٧٤م وكان محمد بن نصير من الكوفة، وهو من رجال القرن التاسع، واقدم ذكر للطائفة النصيرية يرد

---

(١) وقد أشار إلى انقسام الإسماعيليين إلى نزارية ومستعلية الاستاذ حامد حسن، وبشكلٍ مفصّل في كتابه صانع العلي ثائراً وشاعراً.

في كتاب حمزة بن علي وغيره من كتَاب الرسائل والمواعظ الدرزية، وهي طائفة تحتفظ بأسرارِ دينها، وتمنعه عن النَّاس، أما نظامهم الديني والاجتماعي، فمن النوع الذي يتميَّزُ بالطبقية وهم من الباطنية أي الجماعة التي تقول بأنَّ للنصوص الدينية معنىً غير المعنى الظَّاهر؛ أو المعنى الحرفي، ولا شكَّ ان هذه الطَّائفة خرجت كثيراً عن حظيرة السنَّة، كانت وستظلّ لغزاً في التَّاريخ الاسلامي)..

التَّاريخ يعيد نفسه، مقولةٌ صحيحة وثابتة ومستمرة، ونقف عند فقرةٍ واحدة من أقوال المؤرخ (حِتّي) لأثباتِ هذه المقولة، قال: (واقدم ذكرٍ للطَّائفة النّصيرية ورد عند حمزة بن علي)..

انه يشير إلى رسالة حمزة بن علي الداعية الدرزي المسماة (الدامغة) في الردّ على النصيري، ولكن من هو هذا النصيري المجرَّد عن النسبة والكنية والمولد والمكان؟؟ انه لقبٌ مستعار ولا وجود لَهُ أصلاً، وكتاب الحقائق وكشف المحجوب المنسوب اليه غير موجود أيضاً، ومتى عرفنا ان هذا النصيري يحلل المحرَّمات. ويدعو للأباحة بين النِّساءِ والرجال، كما تشير اليه رسالة الداعية الدرزي المذكور، ادركنا ان الكتاب المشار اليه مكيدة ودسيسة وتحريض على الفتنة بين الفرقتين الأسلاميتين الدروز والنصيرية، وتشويه هذه الأخيرة عقائديًّا وخلقيًّا في نظر الأخرين..

لقد كتبَ الداعية حمزة بن علي رسالته تلك رَدّاً واستنكاراً على ما جَاء على لسان هذا النصيري المجهول، ونهى اخوانَهُ عن هذه الفواحش الواردة في الكتاب المكيدة[1]، ونشير بهذه المناسبة الى الكتاب الّذي اصدره اخيراً عن العلويين أحد المقربين من رجال الحكم في بغداد بعد قيام الحرب بين العراق وايران ووزعه في سوريًا بواسطة عملائه المعروفين، لتشويه العلويين سياسيًّا

---

(١) اشار الأستاذ حامد حسن في كتابه المكزون السنجاري (ج ٢) كما انه اشار الى انه تدارس أمر هذه التهم مع الأخوة الدروز شيوخاً وشباباً ومثقفين وعقّالاً واجواداً وفضح الغاية من هذه المكايد وعيّن الفئة المستفيدة من هذا الخلاف بين هاتين الطائفتين..

ودينيًا وتاريخيًا ووقعه باسم مستعار يشتم منه ان مؤلفه شيعي تمكينا للمكيدة، ومثل هذا ما اصدره أنصار الزعيم الشيشكلي أيَّام حكمِهِ عن الدروز تبريراً لفعلته معهم . .

إنَّ هــذه التُّهم والأفتــرآءت القــديمــة، الجــديــدة، المستمــرة، من (المستنصري) للغزالي إلى فتاوى ابن تيمية، ونوح الحامدي، إلى عبد الرحمن بـدوي، إلى الحسيني عبد الله، إلى ابي مـوسى الحريـري، الى (الجبهان)، وعمر التدمري، و (فيليب حتي) كلها تلتقي في غاية واحدة، هي خلق الفتنة من جديد، وايقاظ راقدها خوفاً من تأثير جماعة التقريب بعضهم يكتب باسم مستعار امعاناً في المكيدة، وبعضهم بأسـمـاءٍ صريحـة امعانـاً في النَّيل والتشفِّي وتبقى الحقيقة هي الحقيقة والتَّاريخ يعيد نفسه.

ويلاحظ في الفقرة التي اشرنا إليها منذ قليل، أنَّ فيليب حتي يكرر معلوماته الّتي علقنا عليها سابقاً، وقد جاءَت في كتابه تاريخ لبنان على غرار ما جاءَت في كتابه تاريخ سورية ولبنان وفلسطين مع تبدُّلٍ في بعض الألفاظ والعبارات فهنَاك في تاريخ لبنان يقول: (ولا شك ان هذه الطّائفة خرجت كثيراً عن حظيرة السـنَّة) وهنا في تاريخ سورية يقول عن النصيرية: (انها طائفة انحرفت عن الاسلام) ولا بد من الاشارة إلى الفرق بين الخروج عن حظيرة السنّـة، وبين الانحراف عن الاسلام، إلَّا ان قوله (ستظلّ لغزاً في التَّاريخ الأسلامي) فقد سقط لأن الألغاز جميعها خضعت للحلول . .

نحن لا نريد ان نناقش المؤرخ (حتي) عن قوله: (خرجت كثيراً عن حظيرة السنَّة) فهناك طوائف اسلامية كثيرة خرجت عن هذه الحظيرة وكأنه انتبه إلى ذلك فتداركه بقوله: (انحرفت عن الاسلام) ونحن لا نطلب منه كشف غرضه، فهـو واضح، ولكنَّا نتمنى لو أشار إلى مواطن هذا الخروج الّذي ادركه هو، والّذي لـم

---

(٢) ردّ مؤلفا هذا الكتاب على عبد الحسين مهدي العسكري الذي تستر بهذا الاسم في الكتاب الذي اشرنا إليه، وذلك في كتاب (المسلمون العلويون في مواجهة التجني).

ندركه نحنُ والذي نعلمه، ان خروجنا عن حظيرة السنّة واضح ومحصور في موقفٍ معيّن، هذا الموقف يتجلّى في الخلاف على الخلافة، وليس على اركان الاسلام فمن اين له ان يحمل على غير موضوع، وان ينطلق من غير مرتكز؟ ندع هذه المناقشات الآن ولم نكن لنريد ان نقف عندها لولا خشيتنا ان يقال: انهم مرُّوا بهذه التهم وسلَّموا بها، ولم يعترضوا عليها، فتكون حجّة لمن بعدنا من المؤرخين، ان الذي يهمنا في هذا التّاريخ، والّذي يعنينا هو اشارته إلى الوجود العلوي (النصيري) التّاريخي والمستمر على تلك الرقعة من الأرض التي يسمُّونها لبنان في جنوبها وشمالها وسائر مناطقها منذ أقدم العصور وهذا ما تمّت الاشارة إليه بقوله: (تتوطن جنوبي لبنان عند ظهور الدعوة الدرزية) فعرفنا منه أنَّ العلويين كانُوا في الجنوب كما كانُوا في الشمال وان كل اغفال لذكرهم هناك هو مغالطة للحقائق التّاريخية، ولا نستثني المطران الدبس من هذا الأغفال.

ومن تاريخ فيليب حتّي نتنقل إلَى تاريخ عماد الدين اسماعيل ابي الفداء (المختصر في تاريخ البشر) يقول في حوادث سنة ٧٠٥ هجرية: (وفيها سار جمال الدّين اقوش الأفرم بعسكر دمشقي وغيره من عساكر الشام إلَى جبال الظنيين وكانوا عصاةً مارقين من الدّين، فأحاطَتِ العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة، وترجَّلُوا عن خيولهم، وصعدوا في تلك الجبال من كلِّ الجهات، وقتلوا واسروا جميعَ من بها من النصيرية والظِنّيين وغيرهم مِنَ المارقين وطُهِرّت تلك الجبال منهم، وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس). .

هذه الجبال الشاهقة التي اشار اليها عماد الدين بين دمشق وطرابلس هي المعروفة الآن بجبال (الضنيّة) وهي معروفة بجودة مناخها واثمارها وغزارة وعذوبة مائها. .

وبالاستناد إلى هذه اللَّمحة التَّاريخية يتبيَّنُ لَنَا أنَّ العلويين كانوا في لبنان شماليّةِ وجنوبية من السُّكّان الأصليين، وليسُوا منَ الطارئين، وان فئةً أو طائفة تجهِّزُ الدولة لَهَا عسكراً جرّاراً دمشقياً وغير دمشقي من عساكر الشام وتهتم لها

الدولة كلّ هذا الاهتمام، مَعْنَى ذلك انها كانت لا يستهان بكثرتها وعددها، وكانت تشكل قوة ضاربة بين سكان الموطن اللبناني أو الرقعة اللبنانية، ولو كانوا قلّةً فيه لَمَا جُعِلُوا في رأس اهتمامات السلطة هناك دون غيرهم. .

يتبيّن مما سلف آنفاً ومما نقلناه عن (حتّي) وعماد الدين صحة ما نحن بصدده من اثبات الوجود العلوي في لبنان بشتى مناطِقه ما عَدَا بيروت والآن نعرج على الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه تاريخ الاسلام السّيَاسي والديني والثقافي والاجتماعي، فنجده يقول بحديثه فيه عن (النصيرية). .

(كانت طائفة النصيرية تقيم في شمال الشام قبل طائفة الدروز في لبنان، وهم الشيعة الغالية، وموطنهم جبل (النصيرية) أو الأنصارية وهو جزءٌ من جبل لبنان، وتمتد بلادهم شرقاً إلى سهل حماة وحمص وحلب، وشمالاً إلى ما وراء انطاكية على حدود بلاد الأناضول).

هَذَا ما اشار اليه الدكتور حسن ابراهيم حسن في تاريخه المشار اليه ولكن يلاحظ القارىء انه لم يحدّد جبلهم إلاَّ من جهتين الشرقية والشمالية» وبقي الحدَّان الغربي والجنوبي. .

وبما انه اشار إلى ان جبلهم جزءٌ من جبل لبنان فأصبح يتعين على القارىء ان يفهم ان مناطق سكنهم تشمل اجزاءً من لبنان وهي الجنوب والشمال. .

هذه هي الحدود التي رسمها الدكتور حسن ابراهيم حسن لجبال النصيرية في كتابه المشار اليه آنِفاً، وهو مؤرخ حديث. .

أمَّا الحدود التي رسمها المطران الدبس في كتابه «تاريخ سورية» فقد ابتسرَهَا وضغطها حتى صارت كما يقول: تبدأ من سلسلة الجبال الممتدة، جنوباً من جبل الأقرع الى مقربة من دير الحميرا. ولا نعلم لماذا لم يدخل دير الحميرا ضمن هذه الحدود، فقد جعلها على مقربة منه ولم يجعله ضمن حدودهَا خيفة من الأطماع. .

بقي ان نعلم ان المؤرخ الدبس هو أقدم من المؤرخ حسن ابراهيم حسن،

فكيف اختلف الحديث مع القديم، ولماذا لم يأخذ الحديث بمعلومات القديم؟؟

السر في هذا نتركه لأهل التقصّي والنظَر في الأمور التاريخية ونعودُ إلى كتاب تاريخ لبنان (لفيليب حِتّي) وربَّما لوحظ علينا متابعة اخبار التَّاريخ عند هذا المؤرخ، دون اعتبار ما يقتضيه الموضوع. .

جاءَ على لسانِ هذا المؤرّخ الَّذي كرس كتابه الضخم على خدمة طائفة بعينها، وذلك في أثناء حديثه عن الموارنة في لبنان ما يلي.

(وتناولت سياسة المماليك الجديدة، اعادة توحيد الفرق الأسلامية المنشقَّة وضمها الى حظيرة السنّة، وذلك لأن بعض هذه الفرق الأسلامية اعانت العدو وهادنته، وقد قتل المماليك من الاسماعيلية والنصيرية والشيعة عدداً كبيراً، ويبدو انهم كانوا اشدَّاء اقوياء، وان عددهم كان كبيراً في جميع انحاء سورية. .

ويقول فيليب حتي أيضاً:

كانت الحملات العسكرية التي وجَّهها الملك النَّاصر سنة ١٣٠٢ و سنة ١٣٠٦ و سنة ١٣٠٧ ضد كسروان من اعنفِ الحملات التي تعرض لها لبنان، ومن أشدُّها فتكاً وخراباً، وكانت كسروان آنذاك تمتد جنوباً إلى نهر بيروت، والى جبل الكنيسة، والى جبل صنين، وكانت تشمل أيضاً منطقة المتن الشمالي والجنوبي، وكان سكَّانها قليلٌ من الموارنة واليعاقبة والدروز والشيعة والنصيرية، وقد اشترك في هذه الحملة العسكرية جنودٌ من صفد وطرابلس ودمشق، وكان القائد العام جمال الدين الأقوش حاكم دمشق، وقد افتى ابن تيمية، وكان من اعاظم فقهاء عصره في سورية، بأن الدروز والنصيرية ليسوا مسلمين، وانهم دون النَّصارى مرتبة ويجب ابادتهم واشترك ابن تيمية في هذه الحملة.

ولكن اقوش الأفرم هذا الذي قاد الحملة التي ابادت ودمَّرت وفتكت بالنفس والزرع والضرع حقداً وجهلاً تحريضاً من (الفقيه الأكبر).

اقوش الأفرم هذا الَّذي بارك اعماله (شيخ الاسلام) واعتبره التَّاريخ بطلاً

من ابطاله مدافِعاً عن الاسلام والمسلمين . .

اقوش الأفرم هـذا الَّذي تـولى نيابـة دمشق /١٢/ عامـاً ثم نيابـة صرخـد فطرابلس،اقوش الأفرم هَذَا الَّذي فرَّ هـارباً مـع قراسنقـر نائب حلب مَـعَ الأمير الزردكاش سنة ٧١٢ هـ ولجأوا إلَى التتر مع جماعاتهم نكـاية بـالملك النَّاصـر لأنهم ارادوا الاستقلال بمواقفهم . .

وتلقاهم (خربندة) ملك التتر، وَرتَّب لهم الرواتب الكبيرة، وكانُوا يحسِّنون له الأستيلاء على الشام، ويحضُونـه على ذلك، ويضمنـون له استسـلامها بـلا قتال، ثم ان ملك التتر اقطع الأفرم همذان، والزردكاش نهاوند وقراسنقر مدينة مراغة[1].

وهكذا يظهر حرص العناصر الشعوبية على بلاد العرب والاسلام، ولا نجد بين المؤرخين من يصمهم بالخيانة كما يصمون الأخرين . .

وهذا بتجق المنصوري وكان نائباً على دمشق من قبل حسام الدين لاجين وقد هرب مع عشرة امراء، وخمسماية من الجيش إلى غازان ملك التَّتار وحفيد هولاكو، فأقطعه همذان، ثم حسَّن لغازان الاستيلاء على دمشق وبلاد الشام، فقصدهَا وتغلَّب على الجيش المملوكي في موقعة وادي الخزندار قرب سلمية، وانهزم فيها سلطان مصر والشام، ولم يقبِّح التَّاريخ النزيـه والمؤرخون الشـرفاء فعلته، ولم يفتِ علماء الأسـلام . . وفقهاء الشـريعة بتكفيـرهم وابادة رجـالهم وتخريب ديارهم، وحتى قطع اشجارهم . .

وهذا الملك الكامل بن الملك العادِل الأيُوبي يتخلَّى عن القدس لفردريك الثاني ملك صقلية بموجب معاهدة لعشر سنين، ولكن لماذا؟؟ لأجل ان يقدم له المعونة على اعدائه من الأيوبيين، ولم نجد من يصمه بالخيـانة والتعـامل مـع الأجانب الأعداء . .

---

(١) دمشق في عهد المماليك لأحمد دهمان وأبو الفداء ج ٣ ص ١٤٨ وابن الاثير ج ١٢ ص ٥١٣.

هذا ونعود إلى كتاب تاريخ لبنان لفيليب (حتّي) ونلاحظ ان حادثة كسروان هي التي اشار اليها عماد الدين صاحب حماة في تاريخه المختصر في حوادث سنة ٧٠٥ هـ وقد مر معنا الاشارة اليها، وربما يقصد بالظنيين الذين ذكرهم مع النصيرية طائفة الدروز.

وتقتضينا هنا الاشارة الى ان المطران الدبس في تاريخه لا يشير إلى وجود أي طائفة في تلك المناطق غير طائفة الموارنة، فماذا يعني هذا الخلاف مع المؤرخين ويستقل الدكتور سيد عبد العزيز سالم برأي يختلف فيه مع المطران الدبس ومع فيليب حتي فهو يذكر المنطقة المعروفة باسم الضنيّة، ويقول: كان يسكنها جماعة من النصيرية، وقد تعرَّض هؤلاءِ السُّكان في سنة ٧٠٥ هجرية للقتل والأسر عندما اغار عليهم الأمير جمال الدين اقوش الأفرم بعسكر دمشق والأمير اسند مركرجي بعسكر طرابلس، والأمير سنقرجاه المنصوري بعسكر صفد فخربوا ديارهم وقتلوا منهم جملة كثيرة).

وهذا المؤرخ لم يذكر في معرض اخباره عن الضِنّية وسُكَّانها غير طائفة النصيرية في حين ان فيليب حتي قال كان فيها قليلٌ من الموارنة والمطران الدبس اعتبر جميع سكانها موارنة وان التخريب والتدمير وقع عليهم، أما عماد الدين وسيد عبد العزيز سالم فهما يتفقان على ان سكان تلك المنطقة كانوا من النصيرية وان الحوادث والعنف والبطش وقع عليهم دون غيرهم..

ولولا ما اشار اليه المؤرخون من وقع خلافات محلية بين النصيرية والدروز لقلت: ان الدروز استهدفُوا بتلك الحوادث مع جيرانهم النصيرية..

وقد أشار فيليب حتي في معرض حديثه عن الدروز إلى تلك الخلافات المحلية في كتابه تاريخ لبنان فقال:

(ان بهاء الدّين جدّدَ سياسة الطَّائفة الدينية الجديدة أثناء غيبة الحاكم يجب ان لا تفشى أسرار الدين، أو أن تعلن للنَّاس، وَلَا شَكَّ أنَّ الأصرار على ابقاء الدّين أمراً سِرًّا، املته عليهم الظروف السياسية، فإنهم كانُوا فرقة صغيرة العدد،

تحاول البقاء في وسط عدائي، قوامه السنّة والشيعة والنّصيرية.

وقد اعلنَ بهاء الدّين: أنَّ العالم لا يستحق البركات والنّعم التي وعد بها بهاء الدين لاتباعه)..

في هذه اللمحة التّاريخية ـ وكنا اشرنَا إلى مثلها فيما مَرّ نجد اشارة أيضاً إلى اقدمية النصيرية في تلك المناطق وانهم قد استوطنوهَا قبل الدروز وانهم كانوا يشكلون قوة موازية لقوة السنَّة والشيعة..

وفي هذه اللمحة نقطة كنا نودّ ان لا نشير إليها ولكن لا بد من تتبع كل التعابير التي يستراب بها.

هذه النقطة التي نقف عندها هي حصر هذا المؤرخ وجود الدروز في وسط عدائي قوامه السنّة والشيعة والنصيرية، فهل كان ذلك الوسط يا ترى خالياً من الأخوان المسيحيين!! وهل الوسط المسيحي لا يشكل خطراً على أحد فأغفل ذكره، وهل بين الدروز وبين المسيحين قرابة عقيدة أكثر ممّا بينهم وبين الطوائف التي ذكرها واعتبرها وسطاً عدائيًا للدروز؟!

لم يشر الدكتور سامي نسيب مكارم في كتابه (أضواء على مسلك التوحيد الدرزية) الى مخاوف ذلك الوسط العدائي وما يهددهم فيه من عصبيات الطوائف الأخرى، وانما تحدث عن وجود الدروز في تلك المناطق وجوداً اصيلاً حيث قال:

(لا يمكننا القول: ان اكثر المستجيبين لدعوة التوحيد قد رحَلُوا عن مصر من جرّاء الأضطهاد، ذلك ان الدعوة مع ان مركزها مصر كانت قائمة في بلاد الشام أيضاً وتاريخ الدعوة في وادي تيم الله بن ثعلبة وفي جبل السمّاق مشهور لا يحتاج إلى تعريف)..

ورجعنا إلى الجزء الثاني من كتاب «خطط الشام» لمحمد كرد علي واطلعنا على ما تحدَّث به عن الباطنية وداعيتهم بهرام فوجدناه يقول: (عظم امرُ بهرام بالشام وملك عدة حصون بالجبال وقاتل أهل وادي التيم وكان سكانه من

النصيرية والدروز والمجوس وغيرهم واسم اميرهم الضحَّاك بن جندل) . .

هذا الخبر على ما فيه من اقتضاب يشير الى ان الخلاف كان بين الباطنية الَّذين هم الاسماعيليون وبين بقية سكان وادي التيم من نصيرية ودروز ومجوس وغيرهم ولم يشر إلى خلافاتٍ نشأت بين هذه الطوائف المتجاورة بقي ان نشير إلى ان هذه الحوادث التي ذكرها صاحب الخطط كانت سنة ٥٢٢ هجرية والَّتي استمرت إلى سنة ٥٦٩هـ . .

ويشير الى هذه الحوادث صاحب ولاية بيروت قائلاً:

في سنة ٥٢٢ كان وادي التيم «أي البقاع الشرقي من لبنان» موطناً لثلة من النصيرية والدروز ولبعض قبائل تتألف من مختلف المذاهب يرأسها رجل يسمى الضحاك فتحفَّز ابن بهرام الاسماعيلي للتضييق عليهم ولكن الضحاك باغتهم بألف من اصحابه فمزّق شملهم وقتل ابن بهرام وفر أصحابه واعتصموا بقلعة بانياس[1].

وهناك حادثة جبال الضنِّية التي ذكرها المؤرخون السالفون وفي مقدمتهم عماد الدين أبو الفداء في تاريخه المختصر:

لقد اتفق عماد الدين وفيليب حتي على أنَّ النصيرية هم من معظم سكان تلك المناطق التي هاجمها اقوش الأفرم واباحها للإبَادة والدَّمار وهم الفئة التي طهِرَت منها تلك المناطق . .

أمَّا صَاحب خطط الشام فقد اعرض عن ذكر النصيرية في تلك المناطق، فهل كان هَذَا لأنه لا يثق بمن ساقوا هذه الأخبار قبله ام امسك عنها حتى لا يثير حزازات طواها الزمن. وحتى انه لم يشر الى اشتراك النصيرية بالعصيان المنسوب إلى سكان تلك المنطقة. وهذا ما قاله صاحب الخطط بالحرف بعد ان ذكر حوادث سنة ٧٠٣ هجرية.

---

(١) ولاية بيروت ج ٢ ص ٧٧.

قال:

(حتى اذا كانت سنة ٧٠٤ هجرية ارسل اقوش الأفرم نائب دمشق إلى الجبليين والكسروانيين، الشريف زين الدّين عدنان يأمرهم ان يصلحُوا شؤونهم مع التنوخية، ويدخلوا في طاعتهم، ثم ارسل اليهم الأمام ابن تيمية في صحبة بهاء الدين قراقوش فلم يحصلِ اتفاق، فأفتى العلماء حينئذٍ بنهب ديارهم بسبب استمرارهم على العصيان، وابائهم الدخول في الطاعة).

وفي الدر المنظوم أنَّ اقوش فتح كسروان من جهتها الشمالية ولذلك دعيت فتوحاً..

وقال آخر:

إنَّ الأفرم جمع رجال الدروز سنة ٧٠٦ هجرية وكانوا عشرة امراء بعشرة آلاف مقاتل، والتقت الجموع عند عين صوفر، وجرى بينهم قتالٌ عظيم، وكانت الدائرة على الأمراء، فهربُوا بحرمهم واولادهم واموالهم ونحو ثلاثماية نفس من رجالهم واجتمعوا في الغار غربي كسروان المعروف بغارتيبية فوق انطلياس، فدافَعُوا عن انفسهم ولم يقدر الجيش ان ينال منهم، ثمَّ بذلوا لهم الأمَان فلم يخرجُوا فأمر نائب دمشق ان يبنوا على الغار سدًّا من الحجر والكلس، وهالوا عليه تَلاً من التراب وجعلوا قطلوبك حارساً عليهِ مدة اربعين يوماً حتى هلكُوا داخلِ الغار، ثم احاط العسكر بتلك الجبال ووطئوا أرضاً لم يكن أهلها يظنُّون أنَّ أحداً من خلق الله يصل اليها، فخربُوا القرى وقطفُوا الكروم، وهَدَمُوا البيع وقتلُوا واسروا جميع من صادفوا من الدروز والكسروانين وغيرهم، فذلت تلك الجبال المنيعة بعد عزّتها..

ثمَّ قال:

ويقول مؤرخُوا لبنان، إنَ الأفرم في هذه الحملة كان في خمسين ألف فارس وراجل.

ويقول ابو الفداء وابن الوردي: ان هذه الحملة سنة ٧٠٥ هجرية كانت

على بلاد الظنيين، وغيرهم من المارقين عن الطّاعة وكانوا يتخطفون المسلمين ويبيعونهم من اعدائهم ويقطعون الطرق.

وفي تاريخ بيروت، ان سيف الدين اسندمر نائب طرابلس كـان نسِبَ إلى مباطنة الكسروانيين، فأفحش فيهم القتل لينفي عنه هذه التهمَة اللاحقة به، وان الكسروانيين بادُوا وتشتَّتُوا واقطع هذا النَّائب بعضهم املاكاً من حلقـة طرابلس وجارى بعضهم بالرواتب).

هَذَا ما ذكره صاحب الخطط دون ان يذكر النَّصيرية صراحة، وربما كانت كلمة (وغيرهم من المـارقين) المعطوفـة على الظنيين تشمـل النصيريـة. بدون تسمية، لأن التَّاريخ الَّذي يستند اليه ذكرهم صراحة أمَّا هو فلماذا اغفل ذكرهم هُنَـا، ولماذا لم يـذكر كمـا ذكر زميله فيليب حتي وجـود ابن تيميـة على رأس العسكر المهاجم واكتفى بأن يشير إلى ان ابن تيمية جاء الى كسروان ليوفق بين الأطراف المتنازعة ففشل وانتهت الأمور إلى الفتوى المدمرة التي أدَّت بقسوتها إلى ما أدَّت اليه من مذابح بشرية وغير بشرية وتدمير وتخريب لا حدود له..

ولا ندري اذا كان يليق بنا ان نقول: ان حكاية مجيء ابن تيمية على رأس وفد من أجل الأصلاح قد انفرد به صاحب الخطط ليبرر به تدبير ابن تيمية بإباحة الابـادة الكاملة لـطائفة بكـاملها لا أكثـر ونكتفي منه بمـا اشار اليـه عن وجـود (النصيرية) العلويين في وادي التيم لأنه يؤيد ما نحن بصدده، وان اغفلهم في غيره من المناطق.

وبقدر ما اغفل المطران الدبس في تاريخه وجود العلويين في لبنـان، فقد اشارت بعض المصادر التاريخية ومنها صاحب كتاب (لبنان من الفتح العربي، الى الفتح العثماني، السيد محمد علي مكي) إلى قلة عدد الموارنة في لبنان، فقد اشار المؤرخ المذكور الى ذلك بقوله: (أمَّا من النَّاحية الـدينية، فيبـدو ان التسامح الديني الَّذي أوجده الأمويون قداسهم في تكوين الطائفة المارونية في شِمَال لبنان بالرغم من قلة عدد هؤلاء، فقد قدّر وليم الصوري مؤرخ الصليبيين

في القــرن الثاني عشــر، ان عددهم اربعين ألفـاً، وقدَّر الأب (لامنس) قـراهم بحوالي /٣٠/ قرية في الشمال..

أمَّا السواحِل ومدنها فكانت موزعة بين المسلمين واليعاقبة والملكيين (اتباع بيزنطة) واليهود، ويبدو من الأخبار والتقاليد الشيعية ان الشيعة ظهرت في جنوبي لبنان منذ نفى ابي ذو الغفاري الى الجنوب في عهد معاوية) انتهى.



طرابلس والتشيُّع
وإمارة بني عمّار فيها

فيما مَرَّ تقصينا كلَّ الأخبار التَّاريخية التي تشير إلى انتشار العلويين النصيرية في مختلف المناطق اللبنانية وتجاوُرُهم المتعايش مع مجاوريهم من ابناء الطوائف الأخرى، ولولاَ هَذَا التعايش السلمي لما كانوا جميعاً هدفاً لنقمة المماليك.

والآن ننتقل الى طرابلس عاصمة الشمال وإلى ما جاء في اخبارِهَا التَّاريخية عن تشيُّع سكانها وتمركز العلويين النصيرية فيها منذ بداية القرن الرابع الهجري..

يقول عمر عبد السلام التدمري في كتابه تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور:

(وكان على اهلها ـ أي طرابلس ـ ان يتوجَّهُوا نحو دولة تشدُّ من ازرهم، خاصَّةً وانهم طردوا من مدينتهم الأمير الأخشيدي، فكانَ أن انضووا تحت لواء الدولة الفاطمية، هَذَا إذَا اخذنَا في الاعتبار أنَّ طرابلس كانت تضم بين جنباتها عَنَاصِرَ ترجع في اصولها إلَى الفارسية، حيث كان المذهب الشيعي سائداً فيها[1] ولذلك إنتشرت الدعوة الفاطمية الشيعية بصورة جعلت فتحها سهلاً على الفاطميين ان لم يكن سلماً بدون أيّ قتال..

ثم قال عن امارة طرابلس في عهد بني عمَّار، وعرَّف هذه الاسرة بما يلي:

ينحدر بنو عمَّار في الأصل من قبيلة كتامة المغربية الافريقية وقد اعتنقت هذه القبيلة المذهب الشيعي الَّذي انتشر في بلاد المغرب العربي، وعندمَا قامت الدولة الفاطمية تولى شيوخ هذه القبيلة مراكز قيادية في مصر والشام، فكان منهم امين الدولة أبو محمد الحسن بن عمّار بن ابي الحسين الّذي نطالع اسمه للمرة الأولى في جوادث سنة ٣٥١ هجرية أثناء حصار المسلمين لقلعة طبرين في

(١) فهل لا يوجد في غير الفرس المذهب الشيعي؟ ولماذا هو محصور بالفرس؟!

جزيرة صقلّية، إذ كان يقود جيوش المعزّ لدين الله الفـاطمي وحَاصَـرَ رمطة في الجزيرة، وظهر بشكل بارز في عهد الخليفة العزيز بالله فكان من اجَلّ كتّـابه، وهو كبير كتامة وشيخها وسَنَدها ويلقب بأمين الدولة، وهو أول من لقب في دولة المغاربة.

ولمّا افضت الخلافة إلى الحاكم بأمر الله رَدَّ الأمور إليه والتـدبير في سنـة ٣٨٦ هجرية، وقال له: انت اميني على دولتي، ولقبه وكنّاه، وكَانَ النّاسُ على اختلافِ طبقاتهم يترجّلُون له..

وهو الّذي فتح الطريق لابناء قبيلته لينتقلُوا إلَى الشامِ حيث ارسل القَائد أبَا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي إلى دمشق فقام ابو تميم هـذا بوضـع أخيه علي بن جعفر والياً على طرابلس سنة ٣٨٦ هجرية كما مرَّ..

ثمّ قال:

غير أنَّ المصادر التّاريخية الّتي بين ايدينا تعمت عن تاريخ وكيفيـة مجيء بني عمّار إلى طرابلس لأوّل مرة، اذ تنقطع اخبار هذه الأسـرة بعد قتـل جَدِّهـا الحسن بن عمّار سنة ٣٩٠ هجرية، فَلاَ نقف عَلَى اخبارِهَا إلاَّ في الربع الأول من القرن الخامس الهجـري، حيث نطالِـعَ اسـم أحد افـراد هذه الأسـرة الأمير الوزير رئيس الرؤساء خطير الملك ابي الحسن عمّار بن محمد وكان يتولّى ديوان الأنشاء في مِصر، وقُتِلَ سنة ٤١٢ هجرية، وقد وصلتنا قطعة نقدية مضروبة في طرابلس نرجّحُ أنَّها من النصف الأول من القرن الخامس الهجري، ونقش عليها الإمـام محمد بن عمّـار، ولعلها تعـود إلى والد أمين الـدولـة عبـد الله قـاضي طرابلس..

ثم يقول: نطالع ذكراً لاثنين من اسرة بني عمّار في طرابلس هما: أحمد بن محمد بن عمّار المعروف بأبي الكتائب، وعبد الله بن محمد بن عمّار المعروف بالقاضي الجليل ابي طالب.

وقد صنف أبو الفتح الكراجكيّ المتوفي سنة ٤٤٩ لأبي الكتائب كتابين هُمَا

منهج البيان، وعدة البصير في حج يوم الغدير ولأبي طالب كتاب في الفقه يسمى البستان..

ثم يقول: ولدينا رواية بن حجر عن أبي طيء تقول: ان ابن القطّان البَغْدادي. توجّه إلى طرابلس، فأقام عند رئيسها ابي طالب محمَّد بن أحمد واقرأ اولاده،وصنَّف(الشامل في الفقه)من أربع مجلَّدات وكان موجوداً سنة ٤٢٠ هجرية.

ولما كان الكراجكي موجوداً في طرابلس سنة ٤٣٦ هجرية كما يذكر في أحَد مصنَّفاتِهِ، فهذا يعني انه وَضَعَ المصنَّفات لبني عمَّار في الثلاثيناتَ من المئة الخامسة..

ونضيف على ذكر بني عمَّار في طرابلس هذا الخبر الوارد في الباب الثالث من اخبار الصيد من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ لأن فيه تحديد فترة زمنية معينة من فترات حكم بني عمَّار في طرابلس كما فيه تحديد لأحد اصحاب طرابلس من بني عمَّار والخبر هذا نصَّهُ:

(وخرج يوماً ـ يعني والد اسامة ـ رحمه الله إلى الصيد، وخرَجَ معه أميرٌ يقال له الصَّمصام من أصحاب فخر الملك بن عمَّار صاحب طرابلس على سبيل الخدمة وهو رجل قليل الخبرة بالصيد).

حَدد ناشر الكتاب تاريخ هذه الحادثة سنة ١١٠٩ ميلادية (راجع كتاب الاعتبار)، وهذا التَّاريخ يقابله في التَّاريخ الهجري سنة ٥٢٩ وهو يتفق مع الخبر الوارد في خبرالصَّمصام في كتاب الاعتبار.

ثم نعود إلى اخبار التدمري في تاريخه فنتابعها حيث قال:

ورواية ابن طيء تجعل وجود بني عمَّار بطرابلس في الربع الأول من القرن الخامس، فهو يُعرّف أبا طالب برئيس طرابلس، وهذه اشارة الى انه كان قاضيها المتصرفُ في شؤونها وما يليها من الحصون، كما كان عليه الحال لقاضي

طرابلس السابق ابن حيدرة الذي سبق الحديث عن دوره حيث كان يتمتع بسلطة تفوق سلطة الوالي قائد الجيش.

ولقد كان من الطبيعي في الدولة الفاطمية ان يكون للقاضي صلاحيّات أوسَعَ من صلاحيَّات الوالي، أو قائد الجيش، إذ كان القاضي بمثابة الداعية إلى نشر المذهب الشيعي الَّذي تقوم على أساسه الدولة الفاطمية..

ثم قال:

إنَّ الباحث المدقق يواجهُ عملاً مضنياً عند تتبع اسماء افراد اسرة بني عمَّار حسب ترتيبهم، لاضطرابِ تلك الأسماء واختلافها الواضح في المصادر بحيث أنَّ أيّة دراسة حول تسلسل اسمائهم ستظل يحيط بها الغموض أو الشك ومن أمثلة الخلاف في الأسماء حول القاضي امين الدولة المتوفي سنة ٤٦٤ هجرية والذي استقلَّ بحكم طرابلس، لدينا نصّ ابن شدّاد الحلبي وابن الفرات حيث يسميانه (الحسن بن عمَّار) بينما يسميه ابو الفتح الكراجكّي المتوفي سنة ٤٤٩ القاضي الجليل (أبو طالب عبد الله بن محمّد بن عمَّار) عندما صنّف له كتاباً في الفقه ويسمِّيه سبط بن الجوزي (عبد الله بن محمد بن عثمان بن الحسين بن قيدس، أبو طالب القاضي أمين الدولة).

وفي اتعاظ الحنفاء للمقريزي (عبد الله بن محمَّد بن عمَّار بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن ادريس ابن أبي يوسف الطائي).

وفي موضع آخر منه (أبو طالب عبد الله بن عمَّار بن الحسين بإسقاط محمد بن عبد الله وعمَّار..

ومثل ذلك حول اسم القاضي جلال الملك، فهو عند ابن شدّاد أبو الحسن، علي بن محمد بن أحمد بن عمَّار.

وعند سبط بن الجوزي (أبو الحسن بن أحمد).

وفي ديوان ابن الخيَّاط (أبو الحسن. علي بن محمد بن عمَّار).

وهكذا جاءَ اسمه منقوشاً على اللوحة التذكارية لبناء مسجـده في طرابلس وبذلك يتضح ان بعضهم يسقط (أحمد) بين محمَّد وعمَّار.

وهكـذا في اسم (فخر الملك) وهـو شقيق (جلال الملك) إذ تكـاد تجمع المصادر على تسميته بـ (عمَّار بن محمد بن عمَّار. أبو علي) بإسقاط أحمد بين محمَّد وعمَّار.

وبنتيجة المقارنة يتبيَّن لَنَا: أنَّ أمين الدولة هو الحسن، ويعرف بعبد الله أو هـو عبد الله، ويعـرفُ بالحسن، بمعنى ان الحسن وعبـد الله اسمٌ واحدٌ لأمين الدولة، وهو أيضاً (أبو علي: الحسن بن احمد بن عمَّار) الّذي أخـذ الحديث عن الخطيب البغدادي في صور سنة ٤٥٩ هجرية.

ثم قال:

استطاع أمين الدولة ان يحمي طرابلـس من (الغز) والناوكية) التركمان حتى تـوفي في شهـر رجب سنـة ٤٦٤هـ واثني عليـه المؤرخـون، فقـال سبط بن الجوزي: القاضي امين الـدولة الحـاكم على طرابلس، والمتـولي عليها كـان عظيم الصدقة كثر المراعاة (للعلويين) تَفرّدَ بذلك في زمانه ولـم يدان احـدٌ من اقرانه..

وقال ابن شدّاد: (إنَّه من اعقل النَّاس واسدهم رأياً)..

وقال ابن الفرات: (وكان ابن عمَّار هَذَا رجلاً عاقلاً فقيهاً سدِيدَ الرأي).

ثم قال التدمري عن عهد بني عمار في طرابلس:

كانت طرابلس في القرن الخامس الهجـري ـ الحادي عشـر ميلادي ـ من أهمِّ مدنِ الشام الساحلية وقواعده البحرية، وكانت مبانيها متعددة الطبقات فتصل إلى أربع أو خمس، ومنها ما هو ست طبقات...

وعندما زارها ناصر خسرو سنـة ٤٣٨ هـ الموافق ١٠٤٧/م قـال: ان عدد

سُكَّانها يبلغ عشرين ألف رجل كلُّهم من الشيعة[1]..

ومن مطالعتنا لكتب التَّاريخ والتراجم ورجال الحديث ودواوين الشعراء الَتي تتناول العهد الفاطمي، وقفنا على ان طرابلس كانت تضمُّ بين جنباتها من مختلف الأجناس والأديان والمذاهب، وان كان اكثرية سُكَّانها من الشيعة بطبيعة الحال، وقد شيدوا فيها مساجد جميلة، وبيوتاً على مثالِ الأربطة تسمَّى مشاهد..

وكان يوجد خارج المدينة مشهَدَان أو ثلاثة.

ويتبع طرابلس كثيرٌ من السَّوَاد والقرى، ومساحة المدينة تساوي مساحة صور، وهي الف ذراع مربَّع..

ثم تحدث التدمري عن المستوى الحضاري فقال:

أمَّا المستوى الحضاري الثقافي فقد بلغ أوجَهُ في طرابلس على عهد اسرة بني عمَّار التي فاقت شهرتها في العلم، وكان امين الدولة بن عمَّار قد أقام دار علم جَمَع في مكتبتها ما يزيد على مئة الف كتاب، وكان هو فقيهاً من فقهاء الشيعة. وكاتباً مجيداً، ألَّف كثيراً من الكتب النفيسة وصلنا اسمُ واحدٍ منها بعنوان (ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح).

هذا ما اقتطفناه من تاريخ طرابلس للتدمري مِمَّا له علاقة بموضوع كتابنا هذا، وكانت حاجتنا الى معرفة عهد بني عمار في طرابلس تقتضي ان نتوسع في جوانب معرفة هذا العهد ومعرفة اسماء الأمراء العمَّاريين وما لهم هناك من اثر

---

(١) يقول محمد علي مكي في كتابه (لبنان): واستقدم مُعَاوية إلى السواحل جماعة من اليهود ومن الفرس واسكنهم في طرابلس وغيرها لمنع الروم من النزول في السواحل، ثم بدأ الامويون يشجعون العرب على الانتقال الى السواحل.

شريف في التَّاريخ وكان المؤرخ التدمري قد بذل في هذا السبيل جهداً مشكوراً فأكثرنا من الأخذ عن كتابه وان كان لنا ملاحظات عليه سنبديها في محلها من هذا الكتاب، أمَّا الَّذي ثبت لدينا من خلال هذا التَّاريخ ان اسرة بني عمَّار، اسرة شيعية من قبيلة كتامة الافريقية. .

كما ثبت لدينا من خلال هذا التَّاريخ، أنَّ المذهب الشيعي كان سائداً في طرابلس ولهذا تقبلت الحكم الفاطمي بارتياحٍ وسهولة. .

وايَّد ذلك ما جاءَ على لسان ناصر خسرو الَّذي زار طرابلس سنة ٤٣٨ هجرية وكان عدد سُكَانِها يبلغ العشرين الفاً كلهم من الشيعة. .

ومن ملاحظاتنا التي وعدنا بها في كلامنا عما نقلناه عن السيد التدمري هو انه لم يجد من المرضي لنفسه ان يعتمد على أقوال ناصر خسرو في حصر سكان مدينة طرابلس بالشيعة ولا أدري لماذا ساورته الريبة بهذا المؤرخ فطفق يبحث في المصادر الأخرى على نفيه وابطال الأخذ به، وكأنه يرضيه سامحه الله ان تكون طرابلس يتألف سكانها من سائر الأديان والمذاهب ولا يرضيه ان يكونوا من دين ومذهب واحد، ولكنه رغم كل ذلك لم يستطع إلاَّ القول: ان غالبية سكانها كانوا من الشيعة، ولم يستطع ان ينكر على الشيعة إبَّان حكمِها الأثر الَّذِي تركته في طرابلس من علم وحضارة وصبر على الجهاد. .

ولم يستطع ان ينكر ان امين الدولة ابن عمَّار قد اقام في طرابلس دار علم جمع في مكتبتها ما يزيد على مئة الف كتاب وهذا رقم ضخم على مدينة لا يبلغ عدد سكانها اكثر من عشرين الفاً. .

وقد جاءت الإشارة إلى دار العلم هذه في الباب الثالث من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ وهو ينقل اخبار الصيد في ذلك الباب قال:

وحضر معنا الشيخ العالم ابو عبد الله الطليطلي النحوي رحمه الله وكان في النحو سيبوية زَمَانه قرأت عليه النحو نحواً من عشر سنين، وكان متولّي دار العلم بطرابلس فلمَّا اخذ الافرنج طرابلس، نفذ الوالد ـ يعني والد اسامة ـ والعم يعني

عم اسامة ـ رحمهما الله استخلصا الشيخ ابا عبد الله هذا ويانس الناسخ وكان قريب الطبقة في الخط من طريقة ابن البواب، اقام عندنا مدة ونسخ للوالد رحمه الله ختمتين ثم انتقل الى مصر ومات فيها.

التَّاريخ كما دونه محقق كتاب الإعتبار هو ١٢ تموز سنة ١١٠٩ ميلادية يقابلها سنة ٥٠٩ هجرية. أي بعد نهاية حكم بني عمار بست سنوات لأن حكم بني عمَّار انتهى سنة ٥٠٣ هجرية في طرابلس كما اثبته المؤرخ التدمري.

قلنا فيما سبق ان السيد التدمري بذل جهداً مشكوراً وقلنا ان لنا عليه ملاحظات نبدي كل واحدة منها في محلّها. .

ومن ملاحظاتنا أيضاً انه اغفل أيّ ذكرٍ للنصيرية أو العلويين بين سكّان المدينة ولعله في ذلك الوقت لم يفصل النصيرية عن الشيعة كما فصلها في هذا الوقت ولعل قوله ـ بالاستناد إلَى ما ذكر من المصادر ـ يتألف سكانها من سائر الأجناس والأديان والمذاهب، لعل كلمة (المذاهب) تشمل فيما شملت هذه الطائفة الآن وهذا يتفق مع ما ورد في تاريخ لبنان لمحمد علي مكي وقد سبقت الاشارة اليه.

ومن ملاحظاتنا عليه انه انكر من بين امراء بني عمَّار (بدر بن عمَّار) ممدوح المتنبي، ولم يقرَّ ولايته عَلَى طرابلس، واعتبر ان رواية صاحب الوافي بالوفيات جاءت محرفة من طبرية الى طرابلس، ويقول ان بدر بن عمَّار توفي سنة ٣٣٠ هجرية فكيف ينصب على طرابلس سنة ٣٣٣ هجرية.

ليس من شك ان اعتراض التدمري على تحديد هذا التَّاريخ هو في محله ولكن التَّاريخ الصحيح لولاية بدر بن عمَّار على طبرية وطرابلس هو سنة ٣٢٨ هجرية.

ويعترضنا خلافٌ على صحة اسم بدر بن عمَّار، فالمتنبي يذكره باسمه الثلاثي (بدر بن عمَّار بن اسماعيل) ولم يرد بين اسماء بني عمَّار من يحمل هذا الاسم الثلاثي ولعلّ اسمه طرأ عليه ما طرأ على غيره من تصحيف أو اسقاط

فمثلاً جاء على لسان سبط بن الجوزي ان القاضي امين الدولة اسمه عبد الله بن محمد بن عثمان بن الحسين. . الخ، ولا يستبعد ان يكون (عثمان) مصحَّفًا عن (عمَّار) بسبب سوء النسخ. .

وإذا لم يكن بدر بن عمَّار ممدوح المتنبي هو الذي اسندت اليه ولاية طرابلس فمن هو اذن ممدوح المتنبي ومن أين هو اذا لم يكن من اسرة بني عمَّار امراء طرابلس ومن هو محمد بن رائق الذي ولاه طبرية والساحل؟؟

بحثنا عنه في ديوان المتنبي فوجدنا هذا الشرح: (وخرج بدر بن عمَّار إلَى أسَدٍ فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرةٍ افترسها بعد أن شبعَ وثقل، فوثب الى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال أبو الطيب واصِفاً هذا الحدث:

امعفَّر الليثِ الهِزَبْرِ بَسَوْطِهِ لِمَنِ ادّخرتَ الصَّارِمَ المصقُولَا

وكان اشار إلَى اسم الممدوح بقوله:

حَذَق يُذِمُّ من القواتِلِ غيرها بدرُ بن عمَّار بن اسماعِيلَا

وبحثنا في شرح هذا البيت لعبد الرحمن اليرقوقي، فلم نجده يتعرض لِهَذا الأسم مطلقاً واكتفى بشرح معاني الألفاظ ولغتها. .

واستعرضنا اسماءَ بني عمَّار من حُكَّامِ طرابلس فلم نعثر على هذا الأسم بين الاسماء التي استعرضها الدكتور التدمري. .

بقيت هناك ثغرة وردت واشار اليها الدكتور تدمري في تاريخ طرابلس، وهي قوله:

(إنَّ المصادر التَّاريخية الَّتي بين ايدينا تصمت عن تاريخ وكيفية مجيء بني

عمَّار إلَى طرابلس لأوّل مرة، اذ تنقطع اخبار هذه الأسرة بعد قتل جَدّها الحسن بن عمَّار سنة ٣٩٠ هجرية). .

ونجد ثغرة اخرى في قوله:

(ومِمَّا هو جديرٌ بالذكر أنَّ الباحث المدقق يواجه عملاً مضنياً عند تتبع اسماء أفراد اسرة بني عمَّار حسب ترتيبهم لاضطراب تلك الاسماء واختلافها الواضح في المصادر).

في هَاتين الثغرتين فتح لنَا الدكتور التدمري باباً للدخول في البحث بحيث يُمكنُنَا القول: ان الفترة التي صمتت فيها المصادر التَّاريخية عن تاريخ بني عمَّار، هي الفترة التي ضاع فيها اسم بدر بن عمَّار بين ولاة طرابلس في فترة من الزمن فأغفل ذكره. .

وكذلك اضطراب الأسماء واختلافها الواضح في المصَادر التَّاريخية أيضاً ساعد على هذا الإغفال. .

وبإمكاننا ان نقول: ان الظروف التي عملت على طمس اسماء اشخاصٍ كثيرين مثله هي التي عملت على طمس تاريخه وكم في بطن الأرض من رجال اغفلهم المؤرخون كانوا منارة عصورهم عَلَى ظهرِهَا. .

ولا يقتصر الأمر على الأشخاص، فهناك مجموعات بكاملها ابعدهَا خصومها عن التَّاريخ، ومنها هذه الفرقة التي قالوا عنها انَّها خرجت على الاعتدال فاستبعدهَا اخواها المتسنّن والمتشيع والقيا بها خارِجَ الحظيرة الإسلامية. .

وكما تفعل العقائد تفعل السياسة، فالسيّاسة التي جاءَت بعد الفاطميين بمصر كادت ان تذهب بمعالم الفاطميين فيها وكذلك السياسة التي جاءَت بعد بني عمَّار في طرابلس لو استطاعت لقضت على معالمهم فيها، وهكذا كل من يأتي يبني على انقاض من مضىٰ والدهر يلهو بعبثية في الجميع.

نعود إلى بدر بن عمَّار فنقول: ان لدينا مصدراً آخر غير المتنبي، يشير الى هذه الشخصية بوضوح ويعطينا دليلاً على انه مرَّ على طرابلس والياً وانه كان من (النصيرية) العلويين فقد جاءَ في كتاب هداية المسترشد لأبي صالح الديلمي وهو كتاب مخطوط غير مطبوع ما يلي:

(ومن العارفين الأمير الكبير العارف العامل زين الموحدين من فخر العلماء والعارفين، ابو الحسن رائق بن الخضر الغسَّاني كان مِمَّن ملك طرابلس وما يلي من تلك الجهات والنواحِي..

ثم ملكها بعده ولده محمد فعيَّنَ والياً عليها من قبله بدر بن عمَّار وكان ابو اسحاق التنوخي يومئذٍ اميراً على اللاذقية، وهو الذي مدحه المتنبي أيضاً بقصيدةٍ مطلعها:

هـو البين حتى ما تـأنّى الحـزائق ويـا قلبُ حتى أنت ممن افارق

ورثاه المتنبي أيضاً برثاء بليغة مطلعها:

إنّـي لأعـلمُ، والـلبيـب خـبيـرُ ان الحيـاة وان حـرصتَ غـرورَ

واشار الى انه كان من الموحِدين بقوله:

حتى اتَوْا جـدثـاً كـأن ضـريحَـهُ في قلب كـلِّ مـوحِّـدٍ محفـورُ

ونلاحظ ان بدر بن عمَّـار كانت صلته بالمتنبي اشبه بصِلَةِ سيف الدولة الحمداني به، وكان بينه وبينه مباسطات لم تكن بينه وبين سيف الدولة، فمن ذلك ما يرويه لَنَا الديوان: ان بدر بن عمَّار عرض على المتنبي الصحبة للشرب فقال ارتجالاً:

رأيــت الــمــدامــة غــلاَّبــة ... تــهــيــج لــلــقــلــب أشــواقَــهُ
تــسـيء مــن الــمــرءِ تــأديــبــه ... ولــكِــن تــحــسِّــنُ أخْــلاَقَــهُ
وانــفس مــا لــلــفــتــى لُــبُّــه ... وذو الــلّبِّ يــكــره انــفــاقَــهُ
وقــد مُــتُّ أمسِ بــهــا مــوتــة ... ولا يــشتــهي الــمــوت من ذاقــهُ

كما ان المتنبي قال في وصف لعبة عند بدر بن عمَّار:

وذات غــدائــرٍ لا عــيبَ فــيــهــا ... سِــوَى ان ليس تصلح للعِنَــاق

ومِمَّا يؤيِّد روايـة هدايـة المسترشـد ما ورد في ديـوان المتنبي بسبب نظم احدى قصائده في بدر بن عمَّار قوله:

(وورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمَّار بإضافة الساحل إلى عمله)، فما العمل الذي أضاف إليه الساحل؟ وما هو الساحل الذي اضيف إلى عمله ان لم تكن طرابلس وما يتبعها من البلاد.

وان المتنبيِ لم يغفل هذا التقدير لصديقه بدر بن عمَّار فقال:

وَمَا صَغُر الأردُنُّ والسَّـاحِلُ الَّـذي ... حبيت بــه إلاَّ إلَى جَنْب قَــدْرِكَ
تحـاسـدت البلدان حتى لـو انَّهـا ... نفوسٌ، لسار الشرق والغربُ نحوكَ
واصبــح مصــرٌ لا تكــون اميــره ... ولــو انــه ذو مقـلة وفـمٍ بَـكـى

وإذا شئت الإستزادة من ذلك فما عليك إلاَّ ان تقلب صفحات ديوان المتنبِّي لنقف عَلَى عَدد القصائد التي لها علاقة ببدر بن عمَّار في مناسبات مختلفة، وقد احصيناهَا فبلغت اربعاً وعشرين قصيدة وقصائد بهذا العدد تكاد تشكل ديواناً لوحدهَا . .

إنَّ شخصية كبدر بن عمَّارلَهَا هذا الأثر الضخم عند اكبر شعراء العرب،

عجبتُ كيف اغفله كثيرٌ من المؤرخين، واغفلوا ولايته على طرابلس، وغيرهَا من مدن الساحِل السوري واللبناني.. فقد بحثنا عنه في خطط الشام لكرد علي، وفي تاريخ لبنان لفيليب حِتّي وفي تاريخ طرابلس للتدمري، فلم نجد عند هؤلاء من يريد البحث عن صحة ولايته على طرابلس أو يتعاطف مع صاحب الوافي في الوفيات..

وفيما يتعلق بتواجد العلويين (النصيرية) في طرابلس في عهد بني عمَّار، فقد جاء في كتاب (راحة الأرواح) وهو مخطوط أيضاً لمؤلفه أبي سعيد ميمون بن القاسم الطبراني ما يلي، قال:

(حدثني ابو الحسن، أحمد بن محمد بن اسحاق الجهميدي بمدينة طرابلس الشام يوم الأحد لِليلتينِ بقيتا من ذي الحجة سنة ٣٩٨ هجرية، قال:

حدثني أبو عبد الله، الحسين بن حمدان الخصيبي نضّر الله وجهه، قال:

حدثنا **أبو الحسن، علي بن القاسم الأهوازي**[٣١].. إلى اخر الحديث).

إنَّ هذا التاريخ، وهذا الخبر المعنعن بأشخاصِهِ ومكان روايته يثبت تواجد العلويين في طرابلس في ذلك الحين، وهو التَّاريخ الذي كان به حكم بني عمَّار قائماً على طرابلس والساحل، خاصَةً وان التَّاريخ يروي ان مقتل الحسن بن عمَّار جد عائلة بني عمَّار كان سنة ٣٩٠ هجرية وانَّ هذا كان أحد قوَّاد جيش المعزّ لدين الله الفاطمي.

وإذا عدنا الى تاريخ حديث الجهميدي لأبي سعيد الذي هو سنة ٣٩٨ هجرية. وعدنا إلى تاريخ مقتل الحسن بن عمَّار سنة ٣٩٠ فيكون حديث الجهميدي لأبي سعيد بعد مقتل الحسن بن عمَّار بثماني سنوات.

واطلعنَا عَلَى مخطوطة ليس لها عنوان، مؤلُفها يدعى أبو الخير سلامة بن أحمد الحُدا وكان هذا المؤلّفِ معاصِراً لبني محرز أصحاب قلعة القدموس، وهؤلاء كانُوا مُعَاصرين لبني منقذ في قلعة شيزر من العلويين (النصيرية)، وقد ذكر في هذه المخطوطة الشيوخ الَّذين لقيهم واجتمع اليهم وتحدَّث معهم

بالعلوم الروحية ومن جملة اولئك شيوخٌ من لبنان. قال:

(ولقيت من الشيوخ الطرابلسيين: أبو القاسم الشيبي وكان يعرفُ بالناسخ، وابَا محمد هارون العاني رحمه الله، وأبَا اليقظان عمَّار الخراط)..

لوحظ ان عائلة بيت الخرّاط قديمة في طرابلس وقد عُيّنَ منها موظفون كبار، امثَال عبد الرحمن بن محمد الخراط، فقد عُيّنَ كاتباً للسر بطرابلس في القرن الثامن الهجري نقل ذلك التدمري عن ابن حجة الحموي.

ومما تجدر الإشارة اليه أيضاً انه يوجد ضريح يُزَار اختلفت عليه طائفتا العلويين والسنّيين، وكل واحدة منهما تدعيه، هَذَا الضريح يقوم على رفات شخص قديم، السنّيون يسمونه الشيخ عمر والعلويون يسمونه الشيخ عمران[1] وقد حدث طوفان منذ سنوات في طرابلس فجرف كل ما حول هذا الضريح وبقي هو - كما روي لنا - وبعد حادث الطوفان قام رجَالٌ من العلويين سكان طرابلس ببناء غرفة على الضريح وغرف تحيط به وذلك بعهد حكومة السيد رشيد كرامي الَّذي كان بدوره مسؤولاً عن الأوقاف فلم يعترض على ذلك ولم يمانِع والَّذي ارجحه أنَّ هذا الضريح للشيخ (عمَّار الخراط) الذي اشار اليه الحدَّا في مخطوطته سالفة الذكر بين الشيوخ الطرابلسيين والتصحيف بين عمر وعمَّار قريبٌ جدّاً ووارد..

وممن ذكرهم الحدَّا في مخطوطته أيضاً من الشيوخ الطرابلسيين أبَا عبد الله، محمَّد بن سلامة الطبري القلانسي، وأبَا القاسم الرهاوي، وأبَا عبد الله. جعفر، وَأبَا المطاع. علي الرهاوي. وأبَا طاهر، ابراهيم بن أبي يعلي، وأبا المُرجَّى.. وأبَا محمد عبد الله القطان الطرابلسي وقد توفي في بعلبك.

وذكر من شيوخ صور، أبَا الحسن. علي الدُّكَّاني الجبلي رحمه الله وأبَا

---

(١) الشيخ عياش في عكار ابن الشيخ عمران الطرابلسي بن الشيخ محمد البداوي جاء هذا في شجرة نسب مخطوطة ومحققة.

الحسن الحاج. وتمام الصوريين، كما اشتهر بصور من علمـاء العلويين الفقيه محمد المشاط الصوري وقد قتل بعسقلان ودفن بالقدس حوالي ٤٠٠ للهجرة، كما ذكر الأمير أبو الفتح محمد بن ابراهيم النعماني في بعض كتبه المخطوطة: انه كتبه (بقيسارية) وانه جاءه بعض الأخوان من مدينة صور وذكر ان بعض من يقتدي بهم وجد كتاباً كتبه صاحبه في صور فأنفذ إليه للرد عليه.

وذكر من شيوخ صيدا أبَا الحسن. عَلِي الحدًّا (هل هو من قرابته يا ترى!!) بذات البواب، وأبَا الحسن، علي الجنان وأبَا الحسن. بن عطاء الله.

وتبين ان الحدًّا ذكر أيضاً مَعَ الذين لقيهم في دمشق من الشيوخ أبَا يَاسر، عمَّار الجهميدي الجبلي، ويقول: كان مقيماً في دمشق..

ان كلمة (الجبلي) وعبارة (كان مقيماً في دمشق) تستدعيا للتأمل فيما يُقصِد فيهما، (فالجبلي) معناه انه من أبناء الجبال، وكان في ذلك الحين يسمَّى سكان منطقة كسروان (جبليين)، (وكان مقيماً في دمشق) يعني انه كانت اقامته طارئة وليس هو من سكان دمشق الأصليين وهذا يعطينا الدليل، ان عائلة الجهميـدي في لبنان كانت ذات شأن في العلم والفقه..

لا نستطيع ان نستريب بهذه المعلومات، فصاحب المخطوط كان معاصراً ومن ابناءَ ذلك الزمن وهو ينقل بأمَانة تاريخية.

كلُّ هذا يشير بوضـوح إلَى انتشار العلويين على الأرض اللبنـانية بمختلف مدنها وانحائها وجهاتها. ويثبت ان طرابلس كانت من المـراكز المرموقـة التي يتلاقى فيها علماء العلويين في عهد بني عمَّار.

يقول صاحب كتاب ولاية بيروت:

في قرية عين يعقوب التي تبعد ثلاث ساعات عن حلبا يوجد مقام يعقوب «ع».

وفي قرية عياش وهي على نفس البعد يوجد مقام الخضر.

وفي عكار القديمة التي تبعد خمس ساعات يوجد ضريح الشيخ جنيد.

وفي منيارة يوجد ضريح الشيخ بدر.

ثم يعقب على هذا قائلاً: هذه الأسماء معروفة عند العلويين[1].

ويقول أيضاً: ان سكان هذا القضاء «عكار» المؤلف من ١٦٨ قرية فيهم المسلمون والنصارى وثالثهم النصيريون، فالنصيريون يسكنون قرى: مصلى، عين السيف، الزينة، عين تنتا، خربة الرمان[2].

هذا ولا ننسى انه يؤرخ ولاية بيروت ـ لبنان ـ وانَّ العلويين قديمُوا العهد في لبنان وانهم سَاهَمُوا في العطاءات الخيِّرة فيه وبذلوا لأجل اخصاب ارضِهِ جهداً وعرقاً وزيَّنوا جباله بالبساتين والكروم وارضه بالأشجار المثمرة، وتشبَّثوا به حتى الموت ودافعوا عنه، وما كانت الفتوى بتخريب الدور وقطع الأشجار وذبح الرجال إلاَّ لقهر هذا التشبث وهذا الدفاع المستميت. وبعد كلِّ هذا نجدُهم الآن لا يستحقون شرف المواطنية الأصيلة في نظر أهل الحلِّ والعقد في لبنان. سامحهم الله.

ونعود إلى مناقشة اغفال الفترة التي صمتت عنها المصادر التَّاريخية التي جاءَ بها العمَّاريون إلَى طرابلس، وكيفية هذا المجيء!

وبعد ان استندنا عَلَى مصدرٍ تاريخي من كتاب مخطوط هو كتاب ابي صالح الديلمي الَّذي سبقت مِنَّا الاشارة اليه، والَّذي يستفاد منه، أنَّ تولية بدر بن عمَّار على طرابلس كانت من قبل محمد بن رائق الذي تولى على ملكِ أبيه بعد وفاته ومنه طرابلس والسَاحل، وتأيد ذلك بما نُوِّه به في ديوان المتنبّي وثبت بالقصائد التي استدعتها المناسبة والتي حملها الينا الديوان.

---

(١) ولاية بيروت ص ٢٤٠.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣٥.

بعد كُل هذا اصبحنا نستطيع الاعتماد على ان فترة الصمت التَّاريخي يراد بها القفز فوق فترة الحكم حتى لا يظلُّ له شأنٌ يتناقله النَّاس أو يذكرونه بالخير، وحتى لا يكون مقياساً يقارن به الحكم الذي يخلفه اذا قصَّرَ عنه.

ونستطيع ان نؤكد اعتماداً على تاريخ التدمري بالذات ان طرابلس لم تشهد عهداً ازهى وانضر واكثر تحضُّراً من عهد بني عمار وهو العهد الذي كان به العلويون من أبرز سكان المدينة..

بقي علينا ان نتساءل لماذا اغفل المؤرخون: كيفية مجيء بني عمَّار إلى طرابلس!! فهل كان مجيئهم على غير ارادة الشعب مفروضاً من الفاطميين والشعب لا حول له ولا طول!! ام جاؤا تلبية لرغبة الشعب الذي كان يشكو من حكامِهِ السابقين..

هناك في المصادر التَّاريخية ما يجعلنا نستبعد القول بالفرض لإنَّ بني عمَّار معروفون بتشيعهم العريق، ولإن الفاطميين هم الَّذين يرعون مصالح الشيعة والتشيع وقد قام حكمهم على هذا الأساس.

وناصر خسرو هذا الَّذي زار طرابلس بالذات سنة ٤٣٨هـ ووصف مبانيها وموقعها وما يلحق بها ويتبعها هو الَّذي حدَّد سكانها بعشرين ألف قال: انهم جميعهم من الشيعة، فَلاَ يعقل والأمر كذلك ان يكون مجيئهم مخالِفاً لرغبة الشعب الَّذي هم منه واليه..

ونستطيع ان نقول، والتَّاريخ يقول ان الحسن بن عمَّار جد عائلة بني عمَّار كان أحد قوَّاد جيش المعزّ لدين الله الفاطمي ـ نستطيع ان نقول: ان الفاطميين، قد اختاروهم الى هذه المهمة بطرابلس ليطمئنَّ الشعب اليهم ويطمئنُّوا هم إلَى الشعب، وعلى هذا الأساس كان مجيء بني عمَّار وكان الأختيار موفقاً حيث ـ كما قلنا ـ شهدت طرابلس على عهدهم منتهى الأزدهار والتقدم والرخاء..

ونتساءل أيضاً، لماذا اغفل المؤرخون: رائق وابنه محمد وصمتت مصادرهم عن ولاية هذين الرجلين وحكمهم في السواحِلِ اللبنانية كما صمتت

تلك المصادر عن علاقة بدر بن عمَّار بهما . .

إنَّ ديوان المتنبّي يشير بوضوح إلى تلك العلاقة الحميمة بين بدر بن عمَّار وبين محمَّد بن رائق، حيث جاء في بيان أسباب نظم بعض قصائد المتنبّي في مدح بدر بن عمَّار ما يلي :

(وقال يمدح بدر بن عمَّار **الأسدي الطبرستاني** ، وهو يومئذ يتولَّى حرب طبرية من قبل ابي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨ هجرية. وها نَحنُ نورد القصيدة بما فيها:

احلماً نرى؟ ام زَمَاناً جديداً ام الخلقُ في شَخْصٍ حيٍّ اعيدا

تجلَّى لَنَا، فأضأنَا به كأنَّا نجومٌ لقَينَا سعودَا

رأينا ببَدْرٍ وآيَامَهُ لبدرٍ ولوداً وبدراً وليدا

طلبنا رِضاه بتركِ الَّذي رضينا لَهُ، فتركْنَا السجودا

أميرٌ اميرٌ عليه النَدى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

يحدِّثُ عن فضِله مكرهاً كأن له منه قلباً حَسُودَا

ويُقدِمُ إلاَّ على أنْ يفر ويقدرُ إلاَّ على أنْ يزيدا

كأن نوالك بعضَ القضاء فما تَعْطِ منهُ نجدْهُ جدودَا

ورُبَّمَا حملةً في الوغى رددت بها الذُّبَّلَ السمرَ سودا

وهولٍ كشفتَ ونصلٍ قصفْت ورمح تركت مُبَاداً مُبيدَا

ومَالٍ وهَبْتَ بلاَ مَوْعِدٍ وقرنٍ سبقتَ اليهِ الوَعيدا

بهجر سيوفك اغمادها تمنَّى الطُّلَى أنْ تكونَ الغمُودا

إلَى الهَامِ تصدرُ عن مثلِهِ تَرَى صَدَراً عن وُرُودٍ وُرُودَا

قتلت نفوس الوَرَى بالحديد حتى قتلت بِهِنَّ الحديدا

فأنفذْت من عيشهنَّ البقاءَ وابقيت مما ملكت النفوذا

كأنك بالفَقْرِ تبغي الغِنَا وبالموتِ في الحَرْب تبغي الخلودا

خَلاَئق تهدي إلَى رَبِّها واية مجدٍ أراها العبيدا

مـهـذّبـةٌ حـلوَةٌ مُـرّةٌ حقـرنـا البحـار بهـا والأسـودا
بـعيـدٌ عَـلَى قـربِهَـا وصـفـهـا تغـول الـظنُـون وتنضِي القصِيـدا
فـأنـت وحـيـدُ بـنـي آذم ولـستَ لـفقِـد نـظيـر وحيَـدا

فإذا استعرضنا هَذَا القصيد وسببه، واذا استعرضنا اسم هذا الممدوح (بدر بن عمَّار الأسدي الطبرستاني) لا بُدَّ لَنَا من مواجهة امرين اثنين إمَّا يكون بدر بن عمَّار هذا غير بدر بن عمَّار ذاك، فهذا ممدوح المتنبّي ساقنا تعريفه الوارد في الديوان الى معرفة نسبته الى قبيلة (أسد) مغيظة ابي نَواس، وبدر بن عمَّار المبحوث بشأنه من قبيلة (كتامة) كما يقول التَّاريخ. وذاك قبيلته عربية شرقية وهذا عربية افريقية. فمن هو بدر بن عمَّار اذن؟!.

إنَّ المؤرخ التدمري يقول: إنَّ بني عمَّار من قبيلة كتامة المغربية وهُنَا في ديوان المتنبّي يشار اليهم انهم من (بني اسد) القبيلة العربية الشرقية ويشار الى بدر بن عمار الَّذي هو أحد ابطالهم إلى انه (طبرستاني) (وربما كانت النسبة «الطبراني» نسبةً الى طبرية التي حارب بها وولي عليها؟ ثم جاءت غلطاً الطبرستاني)، أي ان منشأه وموطنه طبرستان الفارسية.

وهُنَا لا بُدَّ ان نواجه اختلافاً بين المؤرخين، واختلافاً في تعريف هذه الشخصية، وان الشيء المضني الَّذي شكا منه التدمري في معرفة اسماء امراء بني عمَّار يواجهنا الآن في التأكد من معرفة هذا الشخص (بدر بن عمَّار) فهل يصح ان نقول قبيلة كتامة المغربية التي نسبه اليها التدمري قبيلة عربية من اسد نازحة من المشرق العربي؟ ام قبيلة مستقلة لذاتها من قبائل البربر في المغرب العربي اصيلة الاستيطان هناك..

إنَّ نزوح القبائل العربية من المشرق إلى المغرب ثابتٌ تاريخياً وإنَّ (تغريبة بني هلال) القبيلة العربية مشهورة وقد الفت بشأنها الأساطير واشار اليها ابن خلدون في مقدمته.

ان صمت المصادر العربية التَّاريخية عن بعض أمور لا يعني عدم حدوثها،

وان نطقها في امورٍ اخرى لا يعني انها حدثت بالفعل والتَّاريخ كما قلنا في مقدمةِ هذا الكتاب لا يكون دليلاً مرشداً على وجه الدقة في كل الأمور فمنه ما يكتب بإرادة معينة ومنه ما يهمل بإرادة معينـة وعواطف المؤرخين أو تحـاملهم أحيانـاً كثيراً ما يُوقع الباحثين في الارتباك، وكثيراً ما يتـرك اشكالاَت غيـر سهلة الحل ومنها مثل هذه المشكلة، مشكلة بدر بن عمَّار (الكتامي) المغـربي (أو بدر بن عمَّار) (الأسدي) الطبرستاني، مع أن بدر بن عمَّار الذي حكم طرابلس هو واحد وحكمه إلَى طرابلس ثابت بمقولة الديلمي المخطوطة التي ليس فيها ما يـدعو للإشتباه ومؤيد بما جاء في ديوان المتنبي، ولم يحمل الينا الإشكال في امره إلاَّ سكـوت المصـادر التـاريخيـة وتعيين نسبــه في ديـوان المتنبّي انــه (أسـدي طبرستاني).

والعمل المضني أيضاً الَّذي شكا منه المؤرخ التدمري في تتبع اسماء اسرة بني عمَّار يدخل في معميّات الحلقة الضائعة من تاريخ هذه الاسرة وهو الَّـذي نشكو منه الآن في معرفة مكان بدر بن عمَّار من هذه الاسرة بعد ان عرفنا زمانه اذا كان هو ممدوح المتنبّي، حيث ثبت انه كان في عام ٣٢٨ هجرية في طبرية عند محمَّد بن رائق، وفي ذلك، التَّاريخ اسند اليه محمَّد بن رائق حرب طبرية، وبسبب ما ابلى في هذه الحرب اضاف اليه ولاية السواحل، ولم يثبت ان هُنَاك اسرةُ غير بني عمَّار وهي بهذا الاسم حكمت طرابلس.

وإذا شئنا أن نستضيء في دجنَّةِ هذا البحث بما ورد في مخطوطة الديلمي وبما ورد في (الوافي في الوفيات) للمقريزي واجرينا مقارنة بين هذه المعلومات وبين ما ورد في ديوان المتنبي نكاد نتحقق ان الحقبة المنسية من تاريخ بني عمَّار ـ على ما لهؤلاء من تاريخ مجيد ـ وكيفية مجيئهم لأول مرة، كان على يد ابي بكر محمد بن رائق الـذي اختار بـدر بن عمَّار واليـاً على طبريـة وطرابلس ثم اضاف إلى عمله الساحل من طرابلس الى طرطوس[1].

---

(١) جاء في كتاب (لبنان من الفتح العربي إلى الفتح الاسلامي) لمحمد علي مكي، ان الاخشيـد اسَّسَ في مصر دولة مستقلة منفصلة عن بغداد على غرار ما كان عمله أحمد بن طولون، وساعده ◄

ويقول التدمري في تاريخ طرابلس: ان جبلة دخلت في حوزة بني عمَّار وكان في آخر امارتهم في الشمال، واستولى عليها الصليبيون بعد سقوط طرابلس سنة ٥١٣ هجرية..

وإذا كان صَحَّ ما اورد المؤرخ التدمري: ان اخبار بني عمَّار لم تبدأ إلَّا في الربع الأوّل من القرن الخامس أي بعد عام ٤٢٥ هجرية أي اعتباراً من فترة خطير الملك ابي الحسن عمَّار بن محمد. فتكون كما تصوَّرنا سابقاً فترة بدر بن عمَّار كانت خلال المدة المغفلة التي صمت عنها التَّاريخ ولم يشأ ان يتكلم عنها. لأنّ أول ذكر له في ديوان المتنبّي هو سنة ٣٢٨ ، واذا كانت اخبار بني عمَّار بدأت اعتباراً من الربع الأول من القرن الخامس الهجري، فإنَ هناك مئة سنة من تاريخ هذه الأسرة عفَّى عليها الإغفال، وهي فعلاً الفترة التي صمتت عنها المصادر التَّاريخية لأسباب نجهلها، ومن ضمنها فترة ولاية بدر بن عمَّار على طرابلس، وإذ صح ان وفاته كانت سنة ٣٣٠ هجرية فتكون فترة ولايته على طرابلس سنتين فقط. أي من ٣٢٨ إلى ٣٣٠ هجرية.

انه لمن المريب فعلاً ان يكون مجيء بني عمَّار الى ولاية طرابلس مجهول التَّاريخ والمصدر والسبب، ونستطيع ان نقول، انه لولا أنّ هناك مصنّفات وضعت لبني عمَّار بطرابلس في الربع الأول من القرن الخامس الهجري، واضطرار المؤرخين إلى ذكرها لصمت المؤرخون عن دور بني عمَّار في طرابلس بجملته..

ولولا (ابو الفتح الكراجكّي) المتوفى سنة ٤٤٩ هجرية وكتاباه (نهج البيان) و (عدة البصير) لحذف المؤرخون هذه الفترة من تاريخ طرابلس.. وقناعتنا في ذلك ان امر هؤلاء كعلويين (نصيرية) وخاصة بدر بن عمَّار هو الَّذي جعل المؤرخين يعرضون عنهم هذا الإعراض المفضوح

▶في الاستيلاء على البلاد قيام محمد بن رائق في بلاد الشام بحركته الانفصالية عن بغداد، ولكن الأخشيد قضى على حركة بن رائق وضم بلاد الشام اليه.

التـــاريخ
صـديق الأقـويـــاء

ثبت ان التَّاريخ مسخَّرٌ لخدمة القوة وانه دائماً مع الغالب، وليس هو مع المغلوب إلَّا اذا كان سَبَباً لامتداح الغالب.

ولا يعدو ان يكون خادِماً لثلاثة رجال بطل أو مشرّع أو أمير امَّا عامل أو كادح أو مزارع أو فَلَّاح، فلا نصيب لهؤلاء عند المؤرخين وهؤلاء ادوات لمصادر القوَّة في الأفراد..

لقد رنحني طرباً ابن بَسَّام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة عندما قال بمنتهى الجرأة: (لحىَ الله قولهم: الفضل للمتقدّم) فكم دفن من احسان واخمل من فلان، ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين لَضَاع علمٌ كثيرٌ وذَهَبَ أدَبٌ غزير).

فنحن في هذا العصر المتأخر الَّذي عمت اكتشافاته الفضاء واستعمل بتفكير ابنائه الأرض والسماء، والَّذي اصبح متاحاً به لكِلّ من يكتب ان يعرف الحقائق وان يجعل الايمان بها مثَلَهُ الأعلى في معرفة الأحوال الخاصَّة والعَامَّة في كل منحًى من مناحِي الحياة الأدبية والتَّاريخية والإجتماعية في كل النَّاس.

في هَـذَا العصر بـالذَّات الَّـذي اصبحت فيه الأمـور كلّ الأمـور واضحة، وازيلت كُلَّ الحجب والأستار التي كانت تغلِّفُ كل شعب وكل ملة وكل فئة من النَّاس وتحجبهم عن أعين النَّاظرين..

في هـذا العصر بـالـذات بقي شعـار (الفضـل للمتقـدم مـطروحـاً) وبقي المؤرخون يعتمدون عَلَى من تقـدمهم، وبدلاً من ان يتـأثروا بـابن خلدون في التنـويه بـاخطاءَ المؤرخين، وبـدلاً من أن يقومُـوا بإصـلاح الأغلاط والأخـطاءَ التَّاريخية، ظلّوا يستندون عليها كوثائق لا تقبل الجدل، وكحقائق ثابتة يجب ان تُتَابَعَ فالّذي قال به الشهـر ستاني وابن حـزم والنوبختي وسعـد الأشعري يـردده ويتبنَاه ويقول به الآن محمد أبو زهرة، وحسن ابراهيم حسن، وسعد جمعة وعمر عبد السلام التـدمري، وعبـد الرحمن بـدوي، ومصطفى الشكعـة، وغيرهم، وغيرهم، من مؤرخينا المعاصرين.

ورأيت ـ وكنت اتمنّى أن لا أرى ـ أنَّ غضب هؤلاء المؤرخين ينصَبُّ دون ما سبب واضح، عَلَى طائفةٍ معينة من الطوائِف الاسلامية هي طائفة العلويين أو (النصيرية) كما يسمونهم، كأن ليس في هَذَا الشرق العربي طائفة تشكل خطراً عليه إلاَّ هذه الطائفة، فلم أجد مؤرخاً انصفها أو تعاطف معها على الأقل، أو بَرَّر لها موقِفاً مُعَارضاً للسياسة، فالإتّهام الباطل يحيط بها من كل جهة..

وبما انَّنا نحن الآن بصدَدِ التأريخ للعلويين في بَلَد مجاور هو لبنان، وبمدينةٍ مجاورة عزيزة على قلوبنا، هي طرابلس، فسنقتصُر الآن على معلومات وردت بكتاب لأحد ابنائها المفكرين جعل كل ما فيه راصِداً لكلّ ما مرت به هذه المدينة من ظروف واحداث واحوال اجتماعية وثقافية وسياسية هو الدكتور عبد السلام التدمري وسَمَّى هذا الكتاب (تاريخ طرابلس).

ونقتصر على هذا الكتاب لأنه جمع الكثير مما نحن بحاجة الى جمعه من بطون الأوراق. وهو ذو علاقة وشيجة بموضوعِنا..

نحن لا ننكر على هذا المؤرخ جهده المبذول، ولا اخلاصه لهذا العمل في سبيل بلده، ولكنّنا نقول: إنه كان ينبغي عليه ان يكون اكثر الماماً بأحوال مواطِنيه من العلويين.

وكان عليه ان لا يقتصر على معلومات مشبوهة كتبت في عصور يسيطر عليها نوع من الضغط السياسي والاجتماعي، لأنه كان باستطاعته أنْ يفهم الأمور بوسائله الخاصَّة وان يعتمد عَلَى معلومَاتِهِ أكثر من معلومات غيره، وان يتثبت بنفسِه لا بواسطة غيرِهِ، فهو يكتب في زمَن لم يعد بِهِ العلويُّون لغزاً غير قابل الحل ولو قال ذلك فيليب حتّي أو غيره.

فالعلويون جيرانه ومواطنوه في طرابلس الآن، وفي عكّار، وجيرانه دولياً في جبلهم، ويعرف عن رجالهم وشعرائهم وادَبائهم ومثقفيهم وأهل الوجَاهة فيهم الشيء الكثير..

وهو يعلم ان للعلويين في طرابلس بالذات مسجداً جامِعًا لا يختلف عن

مساجد وجوامع المدينة إلَّا بإقامة الصَّلاةَ عَلَى المذهب الجعفري . .

وهو يعلم انهم يصومون مع المسلمين ويُفطرون معهم، وانهم يحجون في حالِ الاستطاعة، ويزكُّون ويجاهدون ككلٍّ طائفة من طوائف المسلمين . .

ولولاَ خوف الإطالة لأوردت له أسماء الحجَّاج الذين أدَّوْا فريضة الحج من علويِ طرابلس بالذات اكثر من مرة . .

فمِنْ اين له ان يقول على ذمة غيره : (وهم يتظاهرون عند جُهَّال المسلمين بالتشيُّع وموالاةِ أهل البيت، ولكنهم في الحقيقة لا يُؤمنونَ بالله ولا برسوله، وَلاَ بكتابه، وَلاَ بأمرٍ ولا بنهي، ولا بثواب، ولا عقاب، وَلاَ بجنَّة ولا بنار، وَلاَ بأحد من المرسلين قبل محمَّد (ص) ولا بملةٍ من الملَلِ السابقة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند المسلمين بالتأويل، فيتأولونَها عَلَى امورٍ يقرُّونَها، ويدعون بأنها علم الباطن، ومن هُنَا عرفُوا (بالمتأوَلة) وعرفُوا بالباطنية كَسَائر أصناف القرامطة الباطنية، وفي المنطقة القريبة من طرابلس، عرفُوا بالظنيين (من أهل الظن بالباطن) والتأويل) ولِذَا اطلق على جبالهم جِبَال الظنِّيين ولكن حرف الظاء قلبَ (ضادا) على مرور الزمن حسب نطق اهل المنطقة فأصبحت جِبَال (الضنيين) أو (الضنِّية).

إلَّا أنَّ هذه النِّسبة وجدت صيغة لا نقبلها، وردت في طبقات الشافعية للأسنوي، وهو يترجم لنجم الدِّين، أحمد بن محسن بن مكّي الأنصاري البعلبكّي المولود في بعلبك والمتوفى سنة ٦٩٩ هجرية بقرية (بخعون) فذكرها باسم قرية (نخعون) بـ (ن) بدل (ب)، ثم قال: انها من جبال (الظنيبيني) بباء النسب بعد (الظن) وبعد البَاء ياء ونون الجمع وهو جبل بين طرابلس وبعلبك اهلُهُ (رافضة) ووجدت هذه النسبة صحتها في (العبر في خبر من عبر) (وشذرات الذهب في اخبار من ذهب) . .

وتابع التدمري يفيض بمعلوماتِهِ فقال عن المعتقدات :

ومن الاطِّلاَع على معتقدات النصيرية ـ المتاولة ـ الظنِّية ـ يتبين اغراقُهم في

التـطرُّف والمغالاَة بتـأليـه عليّ (رض) وهَـذا لا يتفق بـأي حـال ٍ من الأحـوال مَعَ الشيعة الأمامية في لبنان[1] ويجب ان نَضَعَ خَطًّا عموديّـاً يَفْصِلُ بين هَـاتين الـطَّائفتين، فالشيعـة الأماميـة في لبنان، لا يختلفـون عن المسلمين السنَّة في العقيدة[2]، إنَّما يدور الخلاف عَلى قضـايا فقهيـة فرعيـة ليست هِيَ من صلب الدّين والعقيدة، بعكس الطَّائفة النصيرية الَّتي تختلف مَعَ الشيعة الأمَامية اختلافاً أساسيّاً في العقيدة، ويبدو أنَّ مؤرخي الاسلام في العصر الوسيط، لم يفرِّقُوا بين الفرق الشيعية (المحافظة) و (المتطرفة) فأطلقوا على الجميع صفة الروافض، وهـو اطلاقٌ وتعميمٌ فيـه كثيـرٌ من التجنّي سبَّبَ ولا يَـزال اشكـالات كثيـرة في محـاولات التصدِّي لكتـابة تـاريخ لبنـان والمنـطقـة المجـاورة لَـدَى البَـاحثين والمؤرخين المحدثين، ويظهر أنَّ اختلاط النَّصيرية بالشيعة الإمَـامية في جِبَـال كسروان جعل لفظ (الروافض) يعم الفرق الشيعية دون تمييز، وهذا يكاد يشبه من جهةٍ أخرى ما يعتقده البعض خطأً من إنّ النصيريـة يتفقون في العقيـدة مع النَّصَارى، إذ يستشهدون لدعم وجهة نـظرهم هذه بـالأعياد الشعبيـة الَّتي لدى النصيرية، وهي في الواقع اعيـادٌ مسيحية خـالصة، مثـل عيد الغـطَّاس، وعيد السُّعف، وعيد العنصرة وعيد القديسة بربارة، وحقيقة الأمر أن احتفال النصيرية بهذه الأعياد ذات الطَّابع المسيحي لا تدل على شيء من عقيدتهم، إنَّمـا يعود ذلك إلى التجاور مع النَّصَارى، ومشـاركتهم في اعيادهم تمـاماً كمـا هو حَـالُ المسلمين في مصر الآن، حيث يحتفلون شعبيّاً بأعياد الأقبـاط النَّصَارَى، دون أي تأثير عقائدي، أو ديني، فالاحتفالات تلك ليست إلاَّ مشاركة زالت منها كلّ مَعَانيها الدينية الأصل.

كما أنَّ اختلاط النصيـرية بـالدروز في جبـال لبنان جعـل مؤرّخاً ثقـة مثل

---

(١) لماذا يركز على حصر الفارق بين العلويين وبين الشيعة في لبنان فقط، فهل الشيعة في لبنان غير الشيعة في غيره!!

(٢) لو قرأ التدمري (احياء علوم الدين للغزالي) لعرف عمق الاختلاف إلاَّ إذا كان الشيعة في لبنان غير الشيعة في العالم الاسلامي وقد اعتبرهم أهل بدعة.

المقـريزي البعلبكي الأصـل، والمصري المـولد والـوفاة يُخـطِيء في تحديـد الطائفة الَّتي تعرَّضـت لحملة المماليك في مطلع القرن الثامن الهجري فيدعوها بالطَّائفة الدرزية.

وكذلك فإن شيخ الاسـلام بن تيمية خَلَطَ بين (النصيرية) و (الاسمـاعيلية) في فتواه الَّتي وضَعَها جـواباً عَنْ سؤالٍ وُجّـه اليه[1] حـول معتقدات النصيـرية بالذَّات، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى انَّهُ وغيرَهُ من علماء المسلمين ومؤرِّخيهم في تلك الفترة كَانُوا غير مِطَّلِعِين اطِّلاَعاً دقيقاً عَلَى حقيقة عقيدة النصيرية.

ومن هُنَا تأتي صعُوبة تحديد الفئة الَّتي استهدفتهـا الحملات الممـاليكية، ويـزيد في تعقيـد هذه المسـألة: ان جميـع كتب مؤرخي النَّصَارى، وجميعهـا مصادر متأخرة وحديثـة، تعتبر أنَّ حمـلات المماليـك تلك كانت مـوجَّهة ضِـدَّ المسيحيين، بـل ضد المـوارنة بـالذَّات، وفي المقـابل، فـإن جميع المصـادر الأسلامية المعاصرة لتلك الحملات والقريبة من تلك الفترة لا تـذكر شيئـاً عن النَّصَـارى عمومـاً، ولا الموارنـة خُصُوصـاً، بل هي تشيـر الى المستهدفين في حملات المماليك تحت اسم الجبلية، أو أهـل جبل الكسـروان والدرزيـة وقد عرَّف المؤرخ (بيبرس المنصوري) جبال كسروان بأنها جبال الظنيين وهو بهـذا يُعـطَي جِبَال (الضنِّيـة) المعروفـة الآن بُعْـداً جغـرافيـاً أوسـع من الشِّمـال إلَى الجنوب، بحيث يشمل سلسلة الجبال الواقعـة بين طرابلس وبيـروت من جهة الساحل وطرابلس وبعلبك من جهـة الداخـل، ويصف اهلها بـأنهم من اعظمِ غلاة الروافض الزنادقة) انتهى.

---

(١) الســؤال لم يوجه إلى ابن تيمية كما يقول التدمري وانما هو موجه إلى علماء المسلمين ولكن ابن تيمية هو الذي تبرَّع بالجواب دون سائر العلماء.

مناقشة

هذه الآراء والمعلومات

إلَى هُنَا ونبدأ بمناقشة هذه الآراء وهذه المعلومات الَّتي تبَنَّاها الدكتور التدمري في كتابه في هذا المقطع الَّذي اخذناه من كتابة تاريخ طرابلس ونحن نرجو ان لا يضيق بهذه المناقشة وان يكون قلبه كقلب محي الدين ابن عربي قابلًا كل صورة.

نبدأ أوَّلًا بحديثه عن التَّظَاهر بالتشيّع عند جُهَّال المسلِمين، وموالاة أهل البيت، فهل علم التدمري انار الله قلبه انه بهذه العبارة شنَّعَ بالشيعة من حيث لا يدري أو انه يدري لأن الاتهام بالتظاهر وقع على العلويين والاتِّهام بالجهل وقع على الشيعة الّذين صَدَّقوا هذا الَّذِي يسميه تظاهراً مع أن الشيعة تعلم انه موالاة حقيقية لا تظاهراً واذا كان الشيعة يأخذون شيئاً على العلويين فهو الافراط في هذه الموالاة..

وإذا شئنا ان نتوسَّع في هذه المناقشة، نقول: إذَا رجعنا إلَى الظروف التي املَتْ هذه المعلومات نعتبرهَا مرفوضة جملةً وتفصِيلاً لأسباب أهمُّها..

١ - إنَّ العلويين وُجِدُوا في مناطق الشيعة ومع الشيعة في لبنان وهذا التَّاريخ الَّذي يكتبه سيادته يقرُّ ذلك بدأً من فَنَاخسرو ونجم الدين بن أحمد البعلبكّي، وسيد عبد العزيز سالم، وانتهاءً به..

٢ - إنَّ من ينكر موالاتهم لأهل البيت يكون جاهِلاً حقائق الأمور وكُنَّا نربأ بدكتور كالتدمري يعمل استاذاً للتَّاريخ الاسلامي، ورئيساً لقسم الآثار في الجامعة اللبنانية طرابلس ان يجنح به الفهم والدراية وسعة الاطلاع وتقصِّي حقائق الأمور الى الأخذ بهذه المعلومات وتبنيها وطرحها على طُلَّابه في الجامعة ونشرهَا بين قرائه في العَالم الاسلامي، فربما خرج منهم من يجد في هذه المعلومات تضلِيلاً وانحرافاً عن الصواب.

٣ - كان عليه - إذا كَانَ ناقِلاً لا متبنّياً - ان يدرس الفترة الزمنية الَّتي قضت بأن يقال هَذا، فربَّما احرج الانسان في بعض الأحيان الى ان يقول خلاف ما يعتقد واجدني أذهب الى أنَ هذه المعلومَات المضلِّلة لم تكن إلَّا لتبرير الايقاع

بهذه الطّائفة تطبيقاً للفتاوى المشهورة التي أباحت الـدّماءَ والأمـوال والأعراض وقضـت بإبادة طائفة برمتها من المسلمين.

وعلى مقـولَةِ التَّـظَاهر بـالتشيُّع كمـا يقول سيـادة الدكتـور استاذ التَّـاريـخ الاسلامي بجامعة طرابلس، عَرَضَ لَنَا ان نسأله؟ كيف يفهم هو التشيّع؟! ومَـا هِيَ دَلاَلاَتُهُ عنده؟! وكيف يسمَّى المرء شيعياً إذا لم يكن التشيـع ولاية (عليّ) (ع) وأهل بيته الطاهرين من الذرِّية المطهرة، واذا كان هَذَا القول ـ قول التظاهر بالتشيع ـ سرى في وقتٍ من أوقات الجهل، فهل يعتقد سيادة الدكتور انه يبقى سارياً حتى في عصرِ التنوير؟؟

على كلِّ حال، إذا كان قد استطاعَ ان يدخل المفهوم البَاطل إلَى اذهانِ قرَّاء تـاريخه، فلم يستـطع ان ينكر وجـود هذه الـطّائفة على الأرض اللبنـانيـة وفي المناطق الشيعية شمالاً وجنوباً.

واغرب من كلِّ ما سَلَف انّه لم يعترض عَلَى تسميتهم (متاولة) أي (متأولة) حتَّى في هذا العصر الَّذِي يعيش به جيرانه (المتاولة) على مقربة منه في لبنان، وهم من طـوائف الشيعة الصميميـة، ولا ينكرهم الشيعـة، ولا يخرجـونهم من حظيرة الاسلام والتشيّع كما اخرجهم هـو على اعتبارهم غـلاة علويين، وحتى المتاولة انفسهم لا يـريدون ان يقـال عنهم (نصيريـة) لأنهم طائفـة مستقلة من طوائف الشيعة العديدة..

ولا علينا إذَا قلنا: اننا نأخذ عليه، وعلى كلِّ من قال هذا القول قبله، ومن يقول هــذا القول بعده، إن كلمـة (متاولـة) أو تسميـة (متــاولــة) مشتقة من كلمة (متأوِّلة)، فإذا كان التأويل سَبَبَ هذه التسمية فقد سبق لَنَا ان قلنا في كتابنا (المسلمـون العلويون في مـواجهة التجني) أنَّ التـأويـل اخـذ بـه أكبـر علمـاء المسلمين، حتى من اخواننا السنّة الذين هم أكثر تمسكاً بـظاهِرِ اللفظ، وَعَلَى رأسهم ابي حامِد الغزالي حجة الأسلام في عصره، وابن عربي شيخ المتصوفين الأكبر، فلماذا لم ينسب هؤلاء إلى طائفة المتاولة ـ إذَا صح هذا الزَّعم!!

ثم ننتقل إلى مناقشتِهِ في كلامٍ آخر:

قال الدكتور التدمري، وليته لم يقل نتمنى ذلك عليه حرصاً على صدق المقولة: (ومن الأطِّلاَع على معتقدات النصيرية ـ المتأولة ـ الظنّية ـ يتبين اغراقهم في التطرُّف والمغالاة بتأليه (عليّ) (ع) وهذا لا يتفق بأي حَالٍ من الأحوال مع الشيعة الأمامية في لبنان (وحصرها في لبنان).

ويقترح الدكتور التدمري الفصل بين النصيرية والشيعة بخط عمودي ليكون حائلاً دون العودة إلى الاختلاط، ويرى ان الأخوان السنَّة اقرب الى الشيعة من العلويين فاسمعه يقول:

(ويجب ان نضع خطّاً عموديّاً يفصِلُ بين هَاتِين الطَّائفتين، فالشيعة الأمامية في لبنان لا يختلفون عن المسلمين السنَّة في العقيدة، إنَّما يدور الخلاف على قضايا فقهية فرعية ليست هِي من صلب الدين والعقيدة[1] بعكس الطَّائفة النصيرية التي تختلف مَعَ الطَّائفة الشيعية اختلافاً أسَاسيّاً في العقيدة). .

هَذَا ما يقترحه ويعلل فيه اقتراحَهَ هَذَا المؤرخ الذكي الفَاهم الَّذِي يعرف كيف يكون الاختلاف فرعيّاً، وكيف يكون اساسيّاً، وعرف بألمعيته التي لا شبيه لها في كلّ الالمعيات ان الشيعة في لبنان لا يختلفون عن المسلمين السنّة في العقيدة.

(تأمل، ذكر الشيعة دون ان يسمّيهم (مسلمين) وذكر السنّة بعد ان سمَّاهم مسلمين، فهل في رأيه لا يجمع الأسلام بينهم كما تجمع العقيدة) وهو يرى بكلّ بساطة ان الخلاف يدور عَلَى قضايَا فقهية فرعية ليست هي من صلب الدين والعقيدة[2].

---

(١) راجع نص الرسالة التي ارسلها ابن تيمية للملك الناصر بعد تخريب كسروان والمدونة على الصفحة /١٢٣/ من هذا الكتاب يتضح لك بهتان الدكتور التدمري في هذا القول.

(٢) الشيخ محمد جواد مغنية وهو من علماء الشيعة الكبار يقول في كتابه (الوصايا والمواريث) (ان منهاج الشيعة الإمامية يختلف كل المخالفة عن منهاج السنة) ولم ير الأمر بسيطاً كما يراه التدمري.

يقول هذا ولا يعطينا مثلاً من الأمثلة على قضية من هذه القضايا الفرعية الفقهية، ولا يشير ولو إلى سَبَبٍ بسيط من هذه الخلافات.

إنَّ تهوين الأمور على هذه الشاكلة لا يغيّر شيئاً من مجرى التَّاريخ وان فصل العلويين عن الشيعة لا يزيل الفواصل القائمة بين السنّة والشيعة، فلماذا يبذل صاحبنا كل هذا الجهد في سبيل وضع هذا الخط العمودي بين طائفتين هما في الأصل طائفة واحدة في الدين والمعتقد، انه لو عكس الأمر لكان اصحّ واصوب.

لماذا يحمل الطبري على الشيعة ومن جاءَ بعده من مؤرخي السنّة إذَا كان هذا الخلاف فرعيّاً وليس اساسياً ولماذا يحمل مؤرخُوا الشيعة على أحمد أمين وابراهيم سليمان الجبهان اذا كان هذا الخلاف فرعيّاً..

وهل كان محسن الأمين صاحب الأعيان والأميني صاحب الغدير لا يعرفون القضايا الفرعية من القضايا الأساسية عندما تصديَا للرد على مؤرخي السنّة على مَا صدر عنهما من معلومات غير مرضية عند الشيعة.

ونعود لنسأل هذا المؤرخ العالم بأسرار الخلافات وخفاياها والمدرك الحصيف للقضايا الفرعية من القضايا الأساسية بين طوائف المسلمين: اين الخلاف الأساسي بين العلويين والشيعة في العقيدة وَمَا هو مفهوم العقيدة في نظره؟!

فهل في موالاة امام المتقين عليّ (ع) خِلَافٌ بين العلويين والشيعة؟

وهل في موالاة الأئمة المعصومين خلاف بين العلويين والشيعة؟!

وهل في القول بأحقِّيَّة عليّ بالخلافة الأولى خلافٌ بين العلويين والشيعة؟!

وبربك قُلْ بغير تمويه، ألاَّ تجدْ الغلو أنت وسائر المؤرخين يرتسم في كلِّ ملامح التَّاريخ الشيعي وعلى السنّة فقهائِه..

وإذا رجعت الى مصادر الفقه عند الشيعة فكم تجد بها من الغلو المكبوت

قبل ان تكون فرقة النصيرية إذا كان الغلو ـ كما يقولون ـ هو حد جناياتها. .

يا دكتور، يا مدرّس التَّاريخ الاسلامي، تَروَّ قليلاً وصحح معلومـاتك فـاذا تجاهلت مشاعر القراء وحملك الزهوُ على استغبائها، فإن عليك مسؤولية جيل اخذت على عاتقك نصحه وتفريغ المعلومات الصحيحة في ذهنه. .

إذا كنت تحسَبُ مستيقناً: إنَّ الخلافات فرعية وقاصـرة على بعض الأقوال الفقهية، فهذا شيءٌ أقلُّ ما يقال به انه غلط ولا يقرك عليه احدٌ من طـرفي هذا الخلاف، وكأنك تقول مع المعري. .

افيقُـوا افيقُـوا يـا غـواة فـإنّمـا　　　دِيَـانـتكـم وهمٌ مـن الـقـدمَـاء

إنَّ الخط العمودي ينبغي عليك ان تعرف اين تضَعَهُ بصراحة. .

الشيعة ـ وبإجماع المؤرخين ـ يقولون بولاية الائمَّة وعصمتهم بدأً من ابيهم امام المتقين، وحتى الأمام الثـاني عشر محمـد بن الحسن، فهل يقـول علماء السنة بذلك، وهل هذا من الفقه المفرَّع أم هو شيءٌ أسـاسي بالنسبـة للطرفين وهل يختلف العلويون مع الشيعة بشيءٍ من هذا!!

وتقول الشيعة بحق الخلافة انها لعليّ (ع) وليست لأبي بكر وعمر فهل يقول علماء السنَّة بذلك، وهل هذا شيء من فرعيَّات الفقه؟ ام من اساسيات التَّاريخ، وهل يختلف العلويون مع الشيعة في هَذَا القول. .

وان الشيعة تقول بعودَةِ الأمام الثاني عشر بعد غيبته الكبرى وانَه لا يزال حيًّا وسيظهر على حين غفلة فيطهرُ الأرضَ من المـارِقين والفاسقين ويملؤُها قسطاً وعدلاً، فهل يقول علماء السنّة ومؤرخوهم بهذا، وهل في هذا شيءٌ من تفاريع الفقه، ام هو شيءٌ أساسيٌ بالنسبة للخلاف الَّذي هوّنت من شأنه وهل يختلف العلويُّون مع الشيعة على هذا القول:

ووالله لو اطّلع صاحب كتاب(تبديد الظلام وتنبيه النيَام) عَلَى مقولتك هـذه

لاعتدّك بين الزنادقة والملحدين . .

ليس الخلاف الّذي تهوّن من شأنه بين السنة والشيعة هو ابن هذا الزّمان، وان الخلاف على شخصية ابي تراب قديمٌ قدم التّاريخ . .

هَذا شاعِرٌ عاش في القرن الأوّل للهجرة وتوفي قبل منتصف القرن الثاني أي توفي سنة ١٣٦ هجرية هو أبو الأحمر السائب بن فروخ يهجو احد الصحابيين من الشيعة هو أبو الطفيل عامر بن واثلة بهذين البيتين لأنه يحبُّ أبّا تراب:

لعمركَ إنّني وأبا طُفَيلٍ	لمختلفانِ والله الشهيد
لقد ضَلُّوا بحب أبي تراب	كما ضلت عن الحقِّ اليهود

فهل يفعل مثل هذا شاعِرٌ علوي بحقّ أيّ رجل شيعي فأين هو الخلاف الأساسي بين العلويين وبين الشيعة يا أخا الأسلام . .

ايكون الغلو ـ على فرض وجوده ـ في عليٍّ (ع). فاصِلاً بينهم وبين الطرف الآخر.

لقد رَوى صحيح البخاري من الأحاديث المنسوبة الى عائشة ما لا يقبله العقل فهل يتفق الشيعة على تصديقها؟!

إنّ دراسة التّاريخ ينبغي ان تبنى على أُسُسٍ صحيحة وان تعطى من الأهمية والتجرد ما يجعَلُها مقبولة عند الجميع على أساس من الصدق وليس على التحامل حيناً والمجاملة أحيَاناً . .

فالمجاملة ليست في دراسة التّاريخ ولا يجب ان تكون على حساب الطوائف الأخرى، وانّما هي في حسن الجوار وحسن المعَاملة واذا اردت ان تكون مصلِحاً، فكن صادقاً مع نَفْسك أوّلاً، ومع النّاسِ ثانياً. فليس في التهويش المبطّن ولا في التعليلات العليلة ما يعطي زخماً ادبيّاً ولا اجتماعيّاً، وبضاعة النفاق عند أصحاب العقول السليمة غير نافقة . .

وينعي الدكتور التدمري عَلَى المؤرخين الثقاة الخطأ الذي ارتكبوه في تحديد الطوائف والخلط في معرفتها فيقول:

(إنَّ اختلاط النُصيرية بالدروز في جبَال لبنان جَعَلَ مؤرّخاً ثقة مثل (المقريزي) البعلبَكّي الأصل والمصريِ المولد والوفاة يخطىء في تحديد الطَّائفة التي تعرضت لحملة المماليك في مطلع القرن الثامن الهجري فيدعوها بالطَّائفة الدرزية، وكذلك فإن شيخ الأسلام ابن تيمية خلط بين النصيرية والأسماعيلية في فتواه التي وضَعَها جواباً عن سؤالٍ وُجّهَ اليه[1] حول معتقدات النصيرية بالذَّات، مِمَّا يَدل على انه وغيره من علماء المسلِمين ومؤرخيهم في تلك الفترة كَانُوا غير مطّلعين اطِّلاعاً دقيقاً على حقيقة عقيدة النصيرية، ومن هُنَا تأتي صعوبة تحديد الفئة التي استهدفتها الحملات المماليكية).

تعقيباً على هذه الملحوظات من قبل التدمري على المؤرِّخين (المقريزي) و (ابن تيمية) نتساءل ماذا يريد من وراء ذلك؟

لا اعتقد انه يريد من وراء ذلك التنبيه والتصحيح وانما يريد ان يقول إنّ هذا الخلط بين طائفة واخرى جعل إحداهن مظلومة وطبعاً فهو يعتبر الدروز والأسماعيلية مظلومين من الّذِين ارخُوا ولم يكونُوا على اطِّلاعٍ دقيق أو معرفة واثقة، وكأنه في هذا يتهم المقريزي وابن تيمية بالجهل، ومع كل هَذَا فسيبقى جهل المقريزي وابن تيمية لعقائد النصيرية العلويين خير من معرفته. ويتذكر القارىء الكريم اننا ناقشنا معرفته للعلويين وعقائدهم، وفندنا مزاعمه المريبة التي ان كانت لا تدلُّ على الاطِّلاَع الدقيق فهي تدل على معرفةِ غير معروفةِ إلاَّ عنده.

وَمَاذا يقول هو عن نفسه إذا قلنا له ـ وبرغم المعاصرة والمخالطة والأطلاع

---

(١) أشرنا سابقاً، ونشير الآن ان السؤال وجه لعلماء المسلمين بدون تحديد شخص معين ولكن ابن تيمية هو الذي أجاب وحده، وسيجد القارىء معالجة هذه الناحية في غير مكان من هذا الكتاب.

الشَّخصي ـ انت خلطت أيضاً بين النَّصيرية والمتاولة وسبب ذلك أيضاً عدم الأطِّلاَع الدقيق على اصول العقائد. .

وإذا كان يبرِّر لأولئك العلماء والمؤرخين ذلك الخلط بين طائفة وأخرى، عَدَمُ الاطِّلاَع على اصول العقائد لعدم توفر المصادر أو ميَسِّرات الأطِّلاَع، فأي عذرٍ الآن لمن يخلط بين طائفة وطائفة، مع توفر المصادر ووفرة الكتب وسهولة المعرفة والأطلاع الذَّاتي.

وكيف نبرر له معلوماته الخاطئة عن الفروق الأساسية بين العلويين والشيعة في لبنان والخلافات الفقهية الفرعية بين السنّة والشيعة والأتفاق على ما عداهَا.

ونذكر القارىء اننا ناقشنا تلك المعلومات في محلِّها من هذا الكتاب.

وتَناول فيما تناول ناقِداً ومجرِّحاً مؤرِّخي العصر الوسيط بعدم التفريق بين الشيعة (المحافظة)، والشيعة (المتطرفة) ولا أدري ماذا يعني بكلمة (محافظة) و (متطرفة) مع اعتبار الكل شيعة، وكأنه يريد الشيعة كما يحلو له لا كما يريد المبدأ التشيعي ويقتصر على طائفة منهم سمَّاهَا (محافظة) فتصدّق عليها وصادقها، ورفض بقية طوائفها فعز لَهَا ونَحَّاهَا، ورغم كلٍّ **تفارُضه وتعارُضه** يبقى الكلُّ في نظر المؤرخين شيعة روافض، ولكنه يعتبر هذا الاطلاق وهذا التعميم من المؤرخين فيه الكثير من التجنّي على الشيعة، فهو يستمر ويصر على وجوب وضع الخط العمودي بين من يحبُّ من محبّي عليّ (ع) وبين من لا يُحبُّ فهو لا يجد من المفيد ان يدعُو إلى تقارب الشيعة أو وصل ما انقطع بفعل امثاله، وهنيئاً للشيعة المحافظة بهذا المؤرخ الصديق الّذي انكرَهَا في طرابلس تكذيباً للمؤرخ فناخسرو سنة ٤٣٨ هجرية وارتضى وجودهَا الآن بعد ألف عام تقريباً لكن بتعريفٍ معين هو (الشيعة المحافظة) ويخرج من بينها (الشيعة المتطرفة) وله هو وليس للتَّاريخ الشيعي حتى تقدير من هو (محافظ) ومن هو (متطرف) وينبغي فصل هذا عن هَذَا حتى لا تتم عملية اللحمة والانسجام، وتبقى لعبة التمزيق والتفكيك ناجحة بين اللاعبين. .

وبعد ان انهى ملاحظاته على مؤرخي العصر الوسيط واعتبر ذلك انتصاراً له في كشف اخطاء تاريخية لم يكشف عنها سَواه، وليسترضي من لا تروقه هذه الملاحظات من انصار مؤرخي ذلك العصر، استدرك تجهيله لأولئك فبرَّر لهم ذلك الجهل بسبب اختلاط (النصيرية) بالشيعة الأمامية في جبال الكسروان، هَذَا الأختلاط الَّذِي جعل لفظ (الروافض) يعم الجميع دون تمييز . .

ونحن نسأل سيادة الدكتور، كيف حصل هذا الأختلاط بين الشيعة والنصيرية في جهة معينة من لبنان، إذا كان كما يقول: الخلاف بينهم في العقيدة كان خلافاً اساسيّاً!!

ونسأله أيضاً ـ وعلى مقتضى منطقه هو ـ لماذا لم يتواجدوا في مناطق أهل السنّة مثلاً، فهو لم يذكر أنَّ خلافاً اساسِيّاً بين النصيريين والسنّيين ولم يتعرض لشيءٍ من هذا في تاريخه، حتى ولم يذكر تواجد النصيريين في مَناطق اهل السنّة، فماذا يعني هذا!! ولماذا اطمأن النصيريون إلى مجاورة الشيعة اكثر من غيرهم مع عدم وجود مبادىء أساسية تربطهم ببعضهم البعض كما يزعم سيادته . .

وعلى ذكر (الرَّافِضة)، وأسباب هذه التسمية ومن هي الفرقة التي دعيت بها نورد ما جاءَ على لسان ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) . . قال النوبختي:

فلمَّا تُوفِّيَ أبو جعفر (يعني الباقر) افترقت فرقته فرقتين . . فرقَةٌ منها قالَت بأمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالبِ الخَارِج بالمدينة بها، وزعَمُوا انَّه القائم، وانه الأمام المهدي، وانَّه قُتِل:

وقالوا: انه حيٌّ لم يمت، مقيمٌ بجبل يُقَالُ له (العلمية) وهو الجبل الَّذي في طريق مكة ونجد، الحاجز عن يسار الطريق وانت ذاهبٌ الى مكة، وهو الجبل الكبير، وهو عندهم مقيمٌ فيه حتى يخرج، لأن رسول الله (ص) قال: القائم المهدي، اسمه اسمي، واسم ابيه اسم أبي.

وكان اخوه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن خرج بالبصرة، وَدَعَا إِلى إمَامِة أخيه، محمد بن عبد الله، واشتدَّت شوكته، فبعث اليه المنصور بالحَيل، فقُتِلَ بعد حروب كانت بينَهم . .

وكان المغيرة بن سعيد. قال بهذا القول لمَّا توفّي ابو جعفر محمد بن علي واظهر المقالة بذلك، فبرئت منه الشيعة أصحاب ابي جعفر بن محمد (ع) ورفضُوه فزعم أنّهم (رافضة) وانه هو الّذي سمَّاهم (رافضة) . .

مما تقدم يتبيّن ان (الرافضة) اسمٌ اطلقَ على الشيعة من قبل المغيرة بن سعيد، لأن الشيعة برئت منه ورفضت مقالته . .

وإذا كان الأمر عَلَى هذا النحو فإن علماء المسلمين ومؤرخيهم باركوا هذه التسمية واعتمدوها صفة معينة للشيعة الّتي رفضت مقالة المغيرة بن سعيد ولم يخلطوا بين طائفة وأخرى . .

وإذا كان أصحاب أبي جعفر، محمد بن علي هم الَّذِين رفضوا مقالة المغيرة بن سعيد فما كان النصيريون من غير اصحاب هَذَا الأمام . .

وليس من الغرابة ان يكون موضِعاً للتساؤل أفراد هذا التدمري ثلاث عشرة صفحة في تاريخه عن النصيرية وعن كلِّ ما يلحق بهم من أقوال المؤرخين، مع موافقِته ايَّاهم، واخذِهِ بالفاسد العلِيلِ من أقوالهم والتعريض البشع بطائفة مسلمة مؤمنة، لا مصلحة له في اسقاطها، في حين اننا نجده يقتصر في حديثه عن الأسماعيلية على عشرة أسطر فقط من صفحات هذا الكتاب مع أهمية هذه الطائفة وما لَهَا من شأنٍ مثير في التَّاريخ، ومع انها هِي أولى الطوائف الباطنية المغالية والّتي لا تزال تسلسل غلوّها في السلالة حتى يومِنا هذا، ولم يعترض على هذا ولم يقترح وضع خط عمودي بينها وبين الشيعة . .

ونجدَهَ يصانع الدروز مصانعة صريحة، يدركونَهاهم، فلَمْ يتعرض لعقائدهم بما يثير مشاعرهم، كما تعرض للطّائفة (النصيرية) كما يُسَمّيَها، ولم يطعن بعقائدها كما طعن بالعلويين، ولم يجردهم من ايمانهم بالله وبالرسل

والأنبياء قبل محمَّد، كما جردهم، فهل في هذا التركيز على طائفة معينة انصاف للتَّاريخ وتحقيق للحقائق..

نحن لا نذكر هذه الطوائف التي ذكرناهَا غيرة أو حَسَداً أو اننا نكنُّ لأية منها شيئاً غير الاحترام لجماهيرهَا وعقائدها، ولكنا ذكرناهَا للمقارنة وللدلالة على ما في نفسه مِمَّا لا نريد ان نسمِّيه ولكن لنترك للقارىء ان يسمّيه تعقُباً لا يجدر بمن يكتب للتَّاريخ..

بيبرس المنصوري والبعد الجغرافي

في هَذَا المساق لابُدَّ لَنَا من الأشارة إلى حديث المؤرِّخ (بيبرس المنصوري وتعريفه القائل بأن جِبَال كسروان هي جبال الضنِّية التي يزعم الدكتور التدمري: ان هَذَا التعريف اعطاهَا بعداً جغرافياً اوسع من الشمال إلَى الجنوب، بحيث تشمل سلسلة الجبال الواقعة بين طرابلس وبيروت من جهة الساحل، وطرابلس وبعلبك من جهة الداخل، ويصف اهلها بأنهم من اعظم غلاة الروافض والزنادقة . .

فما هو البعد التفسيري لهذه المعلومَات التَّاريخية يفضي بها المؤرخ المنصوري والحدود الجغرافية الَّتي رسمها على الأرض اللبنانية، والسُّكَان الَّذِين وصفهم فيها بأنَّهم من أعظم غلاة الروافض والزنادقة . .

يستوقفني في هذا الكلام عبارة (من اعظم غلاة الروافض والزَّنادقة) هذه العبارة تحمل وصفاً طبقيّاً، يعني بين الغلاة والروافض طوائف عادية أمَّا هؤلاء سكان جبال الضنية وسلسلة الجبال التي تتصل بها فهي من الطبقة فوق العادية في الغلو والزندقة.

كما اعطى المؤرخ المنصوري في تعريفه لجبال كسروان بعداً تاريخياً وجغرافياً لحدود تلك المناطق كذلك اعطى ايضاً ولكن على غير رغبة من السيد التدمري بعداً تعريفياً يحدد هوية تلك السكان، فالذين يطلق عليهم غلاة زنادقة عند التدمري واصحابه هم العلويون وليس غيرهم، وفي هذا يكون اعطانَا مفهوماً اوسع ومعلومات اشمل عن التواجد العلوي النصيري في لبنان منذ القديم واوحى لَنَا بتصوُّر عَدَدٍ ضخم من هذه الطائفة كان يشغل تلك المناطق سكناً واخصاباً . .

وإذا سايرنا هذا المفهوم، خلافاً للمؤرخ الدبس، واعتبرنَا أنَ سكان تلك المناطق من اعظم الغلاة والزنادقة وهذه صفات يَصِمُون بها العلويين باطِلاً، فيكون هؤلاء هم الَّذين تصدُّوا للغزاة وهؤلاء هم تعرضُوا للحملات الأنتقامية الَّتي حدثنا عنها المؤرخون ولهذا استفتي الفقهاء بإبادتهم على ذمّةِ الشريعة،

لأن مجـرّد التعريف عنهم بـأنهم غلاة زنـادقة يكفي لأن يكـون محرّضـاً عنيفـاً ضِدّهم . .

ومن المؤسف ان التّاريخ يظلّ يساير القوة ، فالقوة التي عملت على ابادتهم عن الأرض ، لا تزال تسايرها الى الآن القوة التي عملت على إبَادتهم من التّاريخ ، ولكن رغم كل هذا بقيت للتّاريخ معهم رحم غير مرعية ، ورغم كل هذا الأنكار والتنكر بقي للعلويين في لبنان حتى الآن (مرقد العنزة) وعلى صغر مساحة هذا المـرقد فـإنّ فحول السيـاسة والتّـاريخ كلُّهـا تتجه نحـوه وتعمل على اغتصـابه منهم . .

ومَضَى الـزمن الَّذِي كـان تشويـه العقيدة والـدين آخذاً مفعـولـه فيـه عنـد الجماهير الأسلامية بحق هذه الطّائفة المغلوبة ، وانتهى زمن التقاطع واصبح كلُّ شيء معروفاً وواضحاً ، وخاصّةً في هذه الطّائفة التي لم تعد لغزاً كما كان يقول عنها المؤرخون ، واصبحت الشعارات العقائـدية تنـطلق من اعلا المـآذن ، ولا يستطيع الدكتور التدمري ولا غيره من سكان طرابلس ان ينكروا انهم لم يسمَعُوا (حيَّ على خير العمل) ترتفع من اعلى مأذنة جامع الأمام علي (ع) في طرابلس الذي شيده العلويون بإرادتهم الخاصة وبدافع من ايمانهم واسلامهم دون اكراه ولا إجبار ولا لجوء إلى قوم يحفظونهم من امر النّاس الطغاة ، فقد أكثر المؤرخون من ذكر اجبارهم على بناءَ المساجد مرةً في عهد الظّاهر (بيبرس) في بحر القرن السابع الهجري ، ومرة في عهـد الوالي التـركي (ضيا بـاشا) الـذي كان رؤوفـاً بالعلويين اكثر من غيره . .

أمَّا الآن وفي لبنان بالذّات نجد الاهتمام ببناءَ المساجد اصبح واضحاً عند هذه الطائفـة المسلمة في امـاكن تجمعاتهم الجمـاهيريـة فما هي حجـة الذين ينكرون عليهم ذلك ويجردونهم من العقائد الاسلامية عدواناً وظلماً .

انّنا نجد بناءَ المساجد يتوالى في قرى لبنان بعد المدينة قرية بعد قـرية ،

ففي قرية العبودية اللبنانية اقيم بأموال علوية جامع فخم على هضبة عالية يـطلّ بمأذنته المشرفة على سهول عكار تسمع من اعلى مأذنته (حي على خير العمل) خمس مرّات كل يوم. . وقد اقيم مثله في قرية (تلبيرة) وآخر في قرية (البربارة) وهناك جوامع اخرى في طريق البناء. كلّها جاءت معبّـرة عن صدق تـدين هذه الطّائفة وايمانها واسلامها وعروبتها. فهل بعد هذه الظّواهـر الصريحـة المزيلة لكل شبهة يتذرّع بها المورخون. يعتبر المغرضون، واصحاب الغايات المريبة، ذلك تواريًا خلف اغراض، أو تملُّقاً لأحد، أو استجداءً لعطف ملةٍ أخرى.

ولقد دأب المؤرخون على اتّهام هذه الطائفة، تارة بعقيدتها، وطوراً بممالأة المغيرين، من صليبيين وتتار وانهم مـع الغاصب ضـد ابناء البـلاد، عدا عمـا يتهُمون به من اخلال بالأمن ومن صفات غير حضارية[1].

وحتّى في هذا العصر، نسمع هذه النغمـة على افواه بعضهم، متجـاهلين المواقف الوطنيـة التي وقفها العلويُّـون في جبالهم ضـد الافرنسيين، ومـواجهة الدولة الغاصبة بثورة لاهبة تحت قيادة الشيخ صالح العلي، ومقاومة فكرة فصل الجبل عن الأم سورية سنة ١٩٣٧ م بتشجيع من الافرنسيين. .

هَذَا في جبالهم ومناطقهم الخاصة المعروفة بأسمهم. . أمّا في لبنان. هذا البلد الصغير في رقعته، وان كان يدعى لبنان الكبير، فإننا اذا شئنا ان نصارِحَ في الأمور نجد اكثر الطوائف اللبنانية، اتّهم كثيرٌ من ابنائها بمِمالأة اسرائيل والتعامل معَهَا، والتمهيد لاحتلالها لبنان، امّا العلويُّون في لبنان فلم تشر اصبع الأتّهـام على أي فردٍ من رجالهم انه تعامل مَعَ الأسـرائليين، او انه صـادقهم، أو عمل لمصلحتهم أو صَـادَقَ اصدقـاءهم فهم أوفياء للبنـان يـربـطهم بـه الايمـان بـه

(١) لقد مر معنا فيما مضى من صفحات هذا الكتاب ذكر من مالأ الأعداء والغـاصبين ومنهم اقوش الافرم الذي تآمر على الملك الناصر لمصلحـة التتار والملك الكـامل بن الملك العـادل الذي تخلى عن القدس لملك صقلية لأجل ان يقدم له المعونة ضـد الأيوبيين.

وبمصلحته والحفاظ على كرامته واستقلاله: رغم ان هذه الطائفة في لبنان محجوبة عن كل عمل مسؤول، ولم يؤخذ منها حتى الآن أي شخص للوظائف في الدولة كبيراً كانَ ام صغيراً الأمر الذي نأسف لَهُ، ونعتبرهُ تكريساً للتَعَصُّب التَّاريخي والأجتماعي والعقائدي وهي حالٌ لا مثيل لها في كلِّ أنظمة الدُّول. .

ورُغم كلَّ هَذا لم نجد من يقول: إنَّ التَّاريخ لم يكن منصِفاً مع هؤلاء النَّاس وان المجتمع لم يكن منصِفاً لهؤلاء النَّاس، وكأنهم لم يكونوا من الفصائل البشرية التي يحق لها ما يحقُّ لسواها في هذا البلد. .



إنسان ، وقلم وضمير

تعوّد المؤرخون والكتاب ان يُقَادَ جميعهم بِسَلاَسل الماضي، وتعود الجميع ان لا يروا بعيونهم، وانما بعيون من سبقهم، فثقتهم بعيونهم مرفوضة فإذا كان هَذَا موقفهم من عيونهم، فكيف يكون موقفهم من عقولهم..

لم يحرص المؤرخون المعاصرون ان يستفيدوا من أشياء يتحققونها بأبصارهم، ولا ان يستبصروا ببصائرهم، فلا نزال جميعاً نرى بعيون غير عيوننا ونتعامل مع عقول غير عقولنا..

رَجلٌ واحد في هذا العصر خرج على المألوف وخالف أهل النعيق فغَنَّى بصوت من حنجرته لامن حناجر غيره..

هَذَا الرَّجل هو الدكتور مصطفى الرافعي صاحب كتاب (اسلاَمُنا) وهو من الأسرة (الرافعية) بطرابلس الذين قال فيهم أمير الشعراء:

اعرني النجمَ أو هَبْ لي يَرَاعَا ... يزيد الرافعيين ارتفاعَا

هَذَا الرجل لم يلتفت في عملِهِ يميناً ولا شمالاً وانّما اتجه حيث يقضي ان يتجه ضميره، فأملى عليه ان يقول الحق، وان يتحدَّث بمنطق الصدق وان يعمل لما فيه جمع شتات المسلمين، لا إلَى ما فيه تمزيقهم وتبديد وحدتهم وانفراط صفوفهم بأتهامَاتٍ باطلة وعصبيَّةٍ جامحة، كما هو الحال فيما قرأناه بتاريخ صاحبنا التدمري، وزميله الشيخ محمد أبو زهرة.

ان الدكتور الرافعي حفظه الله حملته غيرته على الأسلام والمسلمين ومنهم هذه الفئة المظلومة في التَّاريخ، وفي تعامل جيرانها مَعَها، واخوانها في الملّة، ان يدافع عنها، وعمَّا يثيره النَّاس حولها من فساد العقيدة وفساد العلاقة مع اخوانها في الدِّين والعقيدة..

وقد جاءَ رأيُهُ فيهم مخالِفاً لرأي الدكتور التدمري، ومُناقضاً لَهُ تماماً مع انهما ابناء بيئة واحدة، وينطلقان من مرتكز واحد.. قال اكثر الله في الملّة والأمة

من امثاله:

(لم يخرج العلويون عن كونهم فرعاً من فروع الشيعة، تعتمد اصولَ الشريعة الأسلامية، وتطبيقُ أحكامَها وفقاً لمذهب الأمام جعفر الصادق، سادس ائمّةِ أهل بيت رسول الله (ص)، ولقد بَاتَ معلوماً، أنَّ جميع فرق الشيعة، تعرَّضت للتعذيب والتنكيل والذبح والقتل، ابتداءً من العصر الأموي، مروراً بالعَبَّاسي و انتهاءً بالعثماني، بسبب مُعَارضتهم لمذاهِبِ أهل السنَّة، التي كان يدين لها على مرّ تلك العصور، السلاطِين والحكَّام، وكانت هذه الجماعة، المسمَّاة (بالعلويين) في اكثر الفرق الَّتي تعرضت للأضطهاد والأتهام، حتى مِن بعض فرق الشيعة الأخرى، التي تأثرت بما نسبه المؤرخون حولهم، وَمَا نسبوهُ اليهم، من ارتكاب الموبقات، واباحة المحرَّمات، حتى وصموهم بالزندقة والكفر.

ولم يتسن لجماعة العلويين - وعددهم في العالم قليل - ان تهدأ الضجَّةُ حولهم، وان يتنفَّسُوا الصعداء، إلاَّ فترة وجيزة من العصر العَبَّاسِي، وَعلى وجه التحديد أيَّام العلويين الحمدانيين، وفي زمن المستكفي بالله من خلفاءَ بني العَبَّاس، حيث قدِر لشيخهم ابي عبد الله الحسين بن حمدان ان ينهض بالدعوة العلوية بعد ان اتخذ اقامته في مدينة حَلَب الشهباءَ، وذلك بمؤازرة امراء بني بوية، وانتشرت الدعوة العلوية اذ ذاك في العراق والأهواز وبلاد فارس، وكذلك في مصر أيَّام الفاطميين..

ثمَّ قال عن اصلهم:

من المؤرخين من قال: إنَّ العلوية فرقة (سريانية) كانت موجودة على أيَّام الرومان..

ومنهم من قال: إنَّ اصلهم من القرامطة، نسبة إلى حمدان قرمط فنسبُوا اليهم تبعاً لذلك ما ينسب إلَى القرامطة من زَعم أنَّ: لا جنَة وَلاَ نار، ولا بعث، ولا نشور، ولا ميزان، ولا حساب، ولا نعيم، ولا عذاب، وانَّما الثواب

والعقاب، هما في هذه الحياة الدنيا لا غير. .

ومِنَ المؤرخين من زعمُوا انهم فرعٌ من فروع الأسماعيلية، والاسماعيلية كما هو معروفٌ، فرقة من الأمامية تقفُ في تسلسل ائمّتها عند اسماعيل بن جعفر الصادق، الَّذي توفي في حياة ابيه، ولِذا سُمُّوا بالشيعة السبعية أيضاً كما ذكرنا آنفاً. .

ولمَّا كانت فرقة الأسماعيلية، أو السبعية، تعتقد ان لِكل نَصّ ديني معنَيْن، معنىً ظاهِراً، وهو للعامة، ومعنىً بَاطنا لايفهمه إلاَّ الائمَّة، فقد نسب إلَى العلويين القول: بأنّها من الفرق الباطنية من قبيل الخلط بينهم وبين الأسماعيلية، علماً بأن الأسماعيلية السبعية لعبت دوراً بارزاً في خِلاَل العصر العَبَّاسي، وكانت لهم في التَّاريخ اكثر من دولة، منها.

١ ـ دولة عبيد الله الشيعي الَّتي أسَّسَها في المغرب عام ٢٩٦ هـ.

٢ ـ دولة بن حوشب الَّتي اسَّسَها في اليمن عام ٢٧٠ هـ.

٣ ـ دولة جوهر الصقلي الَّتي اسَّسَها في مصر عام ٣٨٥ هـ.

٤ ـ دولة الحسن بن الصَّبَّاح الَّتي اسسها عام ٤٨٣ هـ.

ووجد من المؤرخين من يقول: إنَّ العلويين. اصلهم من الحثيين، ليثبت انّهم ليسوا عرباً، وبالتَّالي يسَهِّل بترهم عن جسمِهم العربي مثل مَا حاول غيره من المغرضين تجريدهم من دينهم الأسلامي.

وجميع هذه الأراجيف التي زَعَمَها المؤرخون بالنسبة لأصل العلويين، لا تستنِدُ إلَى دليل، وليس إلاَّ من قبيل الظَّنَ، وانّ الظَّنَ لا يغني عن الحقِّ شيئاً. .

وقَالَ عن حقيقة العلويين. .

وفي الحقيقة: ان العلويين، هم عربٌ اقحاح، معروفون بأنسابهم ومشهورون، لا كما يزعم المغرضون، وهم مسلمون موحدُون، يؤمنون بالله رَبًّا، وبمحمَّد نبيًاً، وبالقرآنِ منهجاً ودستوراً، ويقيمون الصَّلاة، ويؤتون الزّكاة

ويصومون رمضان، ويحجّون بيت الله الحرام اذا استطاعُوا إليه سبيلاً، وهم منذ ظهور المذاهب الفقهية المعروفة يتعبدون على مذهب الأمام جعفر الصَّادق، وان لفظ علوي، أو شيعي، أوامامِي، أو جعفري، يعني امرأ واحداً، هو أنَّهم احبُّوا عليّاً كرمَ الله وجهه، وعظموهُ لمزايَا لا ينكرها احدٌ مِنَ المسلِمين، من كونه صهر الرسول، وابن عمه، وخليفته، ومِنْ أوّل النّاس اسلاماً، واقواهم ايماناً، وارسخهم عقيدةً، اضافةً إلَى كونهِ، اعلمهم، وأزهدهم، واقضاهم، واشجعهم، حتَّى سمّي سيف الله وانّ هؤلاء العلويين، لم يعبدوا علياً، كما يتوهم الجاهلون بحقيقتِهم اعتماداً عَلَى مجرَّد تسميتهم (بالعلويين)، اذ لو كانت مجرَّد التسمية المنسوبَةَ إلَى انسان تستلزم عبادته، لَلَزِمَ القول: بأن العثمانيين يعبدون عثماناً، والمالكيين يعبدون مالِكاً، والشافعيين، يعبدون الشافِعي. وهكذا إلَى ان نَصَل إلَى أيَّامنا هذه، حيث يلزم القول: بأن الماركسيين، يعبدون (ماركس) والديغوليين يعبدون (ديغول) والنَّاصريين، يعبدون عبد الناصر، وهذا غيرُ حَاصِلٍ البته..

ثمَّ قال عن عِبَادات العلويين:

أمَّا عِبَادات العلويين، فليس من شك في انهم يؤمنون بأركان الاسلام الخمسة الّتي ذكرناهَا آنفاً، ويمارسونها، ولقد شاهدت ذلك بعيني رأسي، عندما كنت اقوم بزيارة بعضهم في المدن والقرى، ولكنّني لا انكر انّهم لم تكن عندهم مساجد كافية لأقامة صلوات الجمعة والجماعة فيها، وان روح التديّن عند الكثيرين منهم، لا سيَّما سكان القرى، كانَ ضعيفاً للغاية، وان الجهل المتفشّي في صفوفهم من جهة، والدَّسَّ الخارجي المقصود، من جهة ثانية، وفوقهما الفقر المدقع، الَّذي كانوا يعيشون فيه، هذه الأمراض الوبيلة الثلاثة التي كانت تنتابهم وتفتُ في عضدهم، وتلقي بهم الى اليأس والقنوط، هِي التي الجأتهم الى ضُعْفِ مُمارستهم الدينية بالنسبة لغيرهم من الفرقِ الأسلامية التي كانت بالنسبة اليهم تتحلّى بغزارة العلم، وتمتاز بوفرة دور العبادة، وتتمتع برخاء العيش، ولقد صدق من قال: (كاد الفقر ان يكون كفراً)..

ولقد صَدَقَ مؤلف كتاب (العلويون النصيريُون) ولم يتعدَّ عن الصواب حين قال مَاحرفيته: الحق يقال: إنَّ النصيريين هم من متطرِّفي الشيعة، غدر بهم الزّمان، وقهرهم التّاريخ، فانطووا على انفسهم، وخشوا من الابادة والفناء، حاربهم اعداؤهم السنيّون، وقهرهم ابناء مذهبهم الشيعيون وغدر بهم جيرانهم الأسماعيليون، واستزلهم الصليبيون، وانتقم منهم الأرمن والعثمانيون، واذلّهم الفرنسيون. فهم بالحقيقة شعب قهر لم يعرفُوا استقراراً في جبالهم الوعرة..

ثم قال عن معتقداتهم:

إذَا اخذنا بعين الاعتبار أنَّ العلوية ظهرت في أيّام الفتن الدينية والخلافات المذهبية، والانقسامَات السِّياسية، وان اكثر المصَادر التي اعتمد عليهَا المؤرخون، هي من وضع خصوم هذا المذهب، فضلاً عن المستشرقين فيما بعد الَّذين كانوا يعبرون عن مشاعِر الاستعمار، ولا سيما في مرحلة الأنتداب عَلَى هذه الدِّيار، والخطط الَّتي انتهجوهَا لسلخ هذه الجماعة المسلمة عن محيطها الأسلامي، كان لا بُدَّ وان تحاك حوْلَ العلويين القصص، وتلصق بهم التُّهم، وتلفق في حقِّهم الأباطيل قصداً إلى تشويه معتقداتهم بأدعائهم عليهم القول: بقدم العالم، وانكار البعث والنشور والجنّة والنار وتناسخ الأرواح، واستحلال الخمرة وتقديسها، وتأليهها ممَّا لا يصدقه العقل السليم.

وتوصَّل بعض العلماء والمؤرخين إلَى تكفيرهم من أمثال ابن تيمية والشهرستاني وابن الأثير وغيرهم.

علماً ان في اتهاماتهم هذه كثيراً من المبالغة، ومجافاة للحقيقة، واذا صَحَّ: ان العلويين، أو بعضهم قال بشيء مِمَّا تقدَّم، فإنهم ليسُوا وحدهم من المسلمين الَّذين قالوا به وهاكم الأمثلة.

١ ـ فيما يتعلق بقدم العالم، قال به اكثر فلاسفة المسلمين، كالفارابي والغزالي، وابن سينا، وابن رشد..

٢ ـ وفيما يتعلق بتناسخ الأرواح، قال به كثيرٌ من الفقهاء والفلاسفة

والأطبّاء من أمثال، ابن سينا، وابن الجوزية، والأمام الشعراني، الَّذي زعم أنَّ الأرواح تتشكل بصور مختلفة، والسعد التفتازاني، الذي اورد في شرح العقائد النسفيّة فيه قدم راسخ، وكذلك الأمام الغزالي، الَّذي يعتبر في كتابِهِ (التهافت) البعث والتناسخ يرجعان الى واحد، بمعنى ان الروح بعد مفارقتها البدن تنتقل إلى جسمٍ آخر..

ولم نسمع أنَّ أحَداً من المسلمين، قال بتكفير هؤلاء الفلاسفة الحكماء والعلماءَ لمجرَّد انهم قالوا ما قالوه.

٣ ـ أمَّا شرب الخمر فقد ابتلي به عَدَدٌ كبيرٌ من المسلمين، وان البعض من المنحرفين قالوا بإبَاحته حتى قبل ظهور (العلويين) كفرقة مستقلة بأمَدٍ بعيد، بل ومنذ عهد الخليفة يزيد بن معاوية، وقد رَوَى ابو الهلال العسكري في كتابِهِ (الأوائل). أنَّ أوّل من بَاعَ خمراً في الاسلام، هو سمرة بن الجندب المتوفى سنة ٦٠ هجرية.

٤ ـ وأمَّا قول (العلوية) بالتقية، هو من معتقدات الشيعة الأمَامية، وكذلك قول العلويين بالرجعة، هو قول الشيعة الأمامية أيضاً، وان كان معظم أهل السنَّة والجماعة يعيبون على من يعتقد بالتقيَّة والرجعة، بل ويستنكرون ذلك منهم، ولكنهم لم يُنَادُوا بتكفيرهم، من أجل ذلك ربّما لأنهم لم يروُا ان هؤلاء في اعتقادهم التقية والرجعة، انكروا امراً في الدِّين بالضرورة..

هَذَا ولا صحَّة لما رميت به هذه الفرقة العلوية في انهم يعتقدون بالثالوث المرتب من (الربَّ والحجاب والباب)، وان عليّاً هو الرب، ومحمد هو الحجاب وسلمان الفارسي هو الباب، لأنَه لم يثبت بالدليل القطعي عنهم، إنما الذي ثبت عنهم في هذا المجال، انهم يبالغون في احترام سلمان وخمسة معه من صحابة رسول الله، هم: المقداد بن الأسود الكندي، وابو ذرٍ الغِفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدُّوسي، هؤلاء الذين قال بعض المؤرخين: انهم يطلقون عليهم لفظ (الأيتام الخمسة)، وهذا القول ـ ان صَحَّ ـ فإنه يعود في رأي العلويين إلى كون سلمان وهؤلاء كَانُوا من

اشدِ المسلمين الأوّلين التِصَاقاً بالأمام عليّ، وقد اعترفُوا بإمامته قبل توليه الخلافة، كما كان قائد المسيرة لهؤلاء الخمسة في حلهم وترحالهم، هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي الذي يروى: ان رسول الله (ص) اشتراه من امرأة يهودية، وادخله بيته، وقال في حَقه (سلمانُ مِنَّا أهل البيت)، فقيل له: من بني هاشم يا رسول الله؟ فأجابهم: (نعم من بني هاشم) كما يروى عن رسول الله قوله: (سيّد العرب أنَا، وسيّد الفرس سلمان) كذلك يروى عنه (ص) قوله: (اخبرني ربّي انه يحبُّ اربعة وامرني بمحبتهم، علي منهم، وسلمان).

لهذه الآثار وغيرها احبَّ العلويون سلمان الفارسي وعظمُوهُ مثل ما نحبُّه ونعظّمُهُ نحن المسلِمين جميعاً، ولشدة التصاق اولئك الخمسة الكِبَار من صحابة رسول الله، بسلمان، وفرط تعلقهم به وانصياعاً لأقوالِهِ، عرفُوا بأيتام سلمان، لا لأنهم يكوّنون تشكِيلاً خاصّاً، كما يحلو لبعض المفرقين والمبغضين للعلويين القول بِهِ ووصفه بأن هَذَا التشكِيل يرمز به العلويون الى الخلاص الأبدي..

أمَّا اعتقادهم بالائمَّة الاثني عشر، عليٌّ ومن بعده الى محمد بن الحسن العسكري، مع اعتقاد العصمة لهم، هو اعتقاد الشيعة الأمَامية الأثني عشرية أيضاً، وهم جمِيعاً، يستندون في اعتقادهم هذا إلى روايات كثيرة، تفيد ان ائمة هؤلاء النقباءَ المحدّد بعدد نقباءَ بني اسرائيل الاثني عشر منصوصٌ عليهم من قِبَلِ الله تعالى، من هذه الروايات ما نقله وهب بن منبه، عن ابن عبَّاس: ان الله خاطب نبيه قائلاً: (يا محمَّد ان علياً هو الخليفة من بعدك، وان امتك يخالفونه، وان الجنّة محرَّمةٌ على من خالَفه وعَاداه، فبشِّر علياً بأن له هذه الكرامة منّي واني سأخرجُ له من صلبه احد عشر نقيباً).

ومهما يكن من شأن تلك المقولات التي تقال بشأن العلويين والشبهات التي تحوم حول معتقداتهم، والتي يتضح من أقوال كبار ادبائهم وافَاضِلِ علمائهم، تعليل بعضها الّذي لا يتعارض مع جوهر الأسلام ونفي البعض نفياً قاطعاً لمجافاته لشريعة القرآن، ثمَّ مِنَ الأمعَانِ في تقصّي اخبارهم ومعاشرتهم في محالِهم ومنازلهم، يتأكد كلَّ منصفٍ أنَّ معظم ما رميت به هذه الجماعة

المسلمة، من حلول وزندقة وغير ذلك هو كذبٌ وبهتان، ولا يفضي بالتّالي الى الحكم عليهم بفسادٍ عقيدتهم وخروجهم من ربقة الأسلام، وانَّ الظروف المأساوية التي عاشتها هذه الجماعة في أيَّام مؤسسها الأوّل، عليٌّ كرّم الله وجهَهُ، وتجنّي النَّاس، جميع النّاس عليهم، وظُلْمُ ذوي القربى لهم، حتى جاءَ الاستعمار البغيض، فأسرف في ظلمهم، وزادَ في تحطيمهم امعاناً، لا لشيء إلَّا لأظهارهم بمظهر المبتعدين عن محيطهم الأسلامي، لكي يفضي بهم وبنا الحال إلَى التّصارع فالتقاتل فالأنحلال. .

ليس ادَل على ذلك من قول الشيخ محسن حرفوش، قاضي المذهب العلوي في بلدة (جبلة) أثناء الانتداب الفرنسي، لأحد ضباط المخابرات الفرنسية الَّذي اراد منعه من اداء صلاة الجمعة في جامعٍ لأهل السنّة، ومحاولة اقناعه بأنه لا يعتبر في نظرهم من المسلمين، بجوابه الرَّصين الحكيم لذلك الضابط: إنَّ الَهنَا واحد، ونبيَّنَا واحد، وكتابنا القرآن، ونحن مسلمون، أرَادَتِ السياسة، أو لم ترد، وان ربَّنا ينادينا بقوله: (يا ايها الذين آمنوا إذَا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فاسعَوْا الى ذكر الله) وليس هناك من يستطيع ان يحول بيني وبين السعي الى ذكر الله. . .

يضاف إلى هذا الموقف النبيل لذلك القاضي العلوي الجليل من ذلك الضابط المغرض، موقفٌ آخر له دلالته ومغزاه، وقَفَهُ المجاهد العربي الكبير الشيخ صالح العلي، وفي أيَّام الانتداب الفرنسي أيضاً، حين سأله ضابط فرنسي آخر عن تاريخ العلويين وديانتهم، فتناول الشيخ بيده القرآن الكريم، واجابَ سائله قائلاً: اذا أردت تاريخ العلويين، فهذا تاريخهم، واذا شئت دينهم فهذا دينهم. .

كما وان العلويين، لو كَانُوا حسبَ ما افترى عليهم المفترون وتعمَّد الإساءة اليهم المؤرخون المغرضون، لا ينتمون إلى الشيعة الأمامية الاثني عشرية، لما كان يسوغ للمجلس الأسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، ان يُسند منصبَ الأفتَاء الجعفري في طرابَلْسَ لشيخ علوي. .

وما دام العلويُّون، يفتون، ويتعبّدون، ويتقاضون في أحوالهم الشخصية، وفقاً للأحكامِ الواردة في المذهب الجعفري، وذلك في سورية وفي لبنان، بل وفي كل مكان، واذا عرفنا من قبل ان مشيخة الأزهر الشريف، افتت بجواز التّعبُّد على مذهب الامام جعفر الصَّادق، كالتعبُّد على مذهب أهل السنَّة والجماعة . .

وإذا عرفنا أيضاً: انَّ من بين فقهائنا من صَرَّح بأنه اذا قامَ تسعة وتسعون دليلاً على كفر انسان، وقام دليلٌ واحدٌ على ايمانِهِ وجب حمل هذا الأنسان على الايمان . . أقول:

إذا عرفنا هذا كلّه لم يبقَ مجالٌ للشك في ان العلويين مسلمون) انتهى . .

تحيّة لك يا رافعي
ولقلمك المنصف

كمثل هذا فليعمل العاملون، وكمثل هذا، فليقل القائلون، وعَلَى مثل هَذَا الاسلام، فليكُنِ المسلمون. .

سبعماية عام والعلويُّون يعانون من ظلم التَّاريخ وتجنيه وسبعماية عام وهم صابرون على ظلم ذوي القربى وغيرِ ذوي القربى وسبعماية عام، ويد التشتت والتمزيق والابادة تعبث فيهم وتتلهَّى بتعذيبهم وتخريب حياتهم، وتدمير أحوالهم وأحلامهم وآمالهم. ورغم كل هَذَا يحاسبونهم على التخلف ويعلمون انهم هم سببه، ويحاسبونهم على ترك العبادات في القرى المنعزلة، وهم الّذين ابعدوهم عن دور العبادة وكانوا يتصيدونهم فيها جماعات جماعات. .

وبالرغم مما اشار اليه الدكتور الرافعي وثبوته تديُّناً وعقيدة وايماناً وتمذهباً، ما زال بعض المؤرخين والفقهاء يصورونهم كفرة مجرمين ويبيحون سلبَ كلّ حقّ لهم في الحياة، حتى كَادُوا يصَدقون انهم كفرة ومجرمين، وما زال بعض المؤرخين والفقهاء يتشدّدون في اخراجهم من الحظيرة الاسلامية، حتى اصبحوا أو كَادُوا يقتنعون: انهم غير مسلمين لأنه مرّت فترة كانت كلمة (مسلم) ترافق كلمة (سِنّي)، وهم يعلمون انهم شيعة، وهكذا ضاعت هويتهم، فلا يعلمون عن انفسهم شيئاً فلا أهل السنَّة يقبلونهم في صفوفهم ولا أهل الشيعة يعترفون عليهم وبين هؤلاء وهؤلاء ضاعت قافلتهم بين القوافل. .

يلتفتون إلَى معتقداتهم، فإذا هِي من صميم الأسلامَ ويلتفتون إلَى تعاملهم، بمقتضى الشرع فإذا هُمْ من صَمِيم الشيعة، ويلتفتون إلى السنّة فيجدون انفسهم يتلاقون معهم حتَى في بعض الأشياء الفقهية الخاصَّة، كتحريم المتعة، وكالأنصبة الأرثية، ورغم كلّ هَذَا، فهم مبعدون، وهم مطرودون من جنّة هؤلاء، وهؤلاء، كلّ ذلك لأن السياسة غضبت عليهم لأنهم لم يوافقوا على ترك الولاء للأئمة، وغضبت عليهم الشيعة لأنهم لم ينكروا بابية أبي شعيب. .

الحاكمون
وأهل العقائد، والتاريخ

شاءَ العبَّاسيون وهم هاشميون ان يبقى الحكم بين ايديهم بعـد ان انتزعَـهُ الفرس لمصلحتهم من أيدي الأمويين، فصانَعُوا أهل السنّة ومالوا اليهم، وعملوا بما تقتضيه مذاهبهم، ليصرفوهم عن الولاء للأمويين وليكسَبَوا جماهيرهم ضد جماهير الشيعة التي تطالب بحق الخلافة للعلويين (السلالة العلوية)، وشاء الـولاة السنيون ان يشجّعُـوا موقف العبَّـاسيين، حتَّى لا تتم اللحمة بينهم وبين شيعة ابن عمهم فيؤلفون غالبية غالبة في المنطقة العراقية ضـدَّهم، فعمِلُوا بما يرضي سياسة الحاكم. وكان موقف الأيوبيين والمماليك من أشدّ المواقف تحيُّزاً ضد الشيعة..

شاءَ صلاح الدين، بعد ان أزهَتْه الانتصارات المتلاحقة بعد معركة حِطين، ان يتحوَّل المسلمون الى مذهَبٍ واحدٍ، وتحقق له ذلك في مصر بعد ان قضى على الفاطميين هناك..

وشاءَ الظَاهر بيبرس ان يكون المسلمون أيضاً في سورية بحدودِهَا المعروفة في ذلك الزمن، على مذهَبٍ واحد فرضه هو ولم يستفت بذلك الشعب، فكانت هذه المشيئة سبَباً لتفاقم الأمور ورَفضُوا هـذا الفرض، فـاستعمل القـوة، وكان النصيريون أكبر حصيدٍ لهذه القوة..

يقول المؤرخون ان (بيبرس) فَرَضَ على هذه الطائفة من الشيعة ـ بعـد ان انكرتها الشيعـة ـ بناء المسـاجد في قـراهَا بعـد ان اخرجـوا من العراق وحلب ومختلف المنـاطق الداخليـة، وفرض عليهم مـذهَباً معيَّنـاً وائمّة من أبنـاء هذا المذهب، فرفضوا ذلك ولم يقبلوا التعبـد على غير مـذهبهم الأساسي مـذهب الامام جعفر الصـادق، فكان كمـا قال بعض المؤرخين، ان خـربت المساجـد وتخلَّى عنهـا الروَّاد، لا سيَّمـا وان المساجـد امكنة تجمـع كانـوا يخشـون من المداهمات الفجائية فيها والملسوع يخاف من جرة الحبل.

وجـاءَ في الربـع الأخير من القـرن الثالث عشـر الهجري، الـوالي التركي ضيا بَاشا،وبالأتفاق مع شيوخ العلويين، ولا يخفى انه عيّن لهذه المهمَّة ـ فقـد اشاد مساجـد ومدارس في القـرى ذات الأهمية، ولكن لـم يتـرك للعلويين حق

اختيـار المـذهب، ولا حق اختيـار الأئمّـة والمـدرسين وكـان العلويـون يتـوجسـون خيفـة من كـل قـادمٍ من المـدينـة، مهمـا كـانت صفتـه، ونستطيع ان نقول: انّ مهمة ضيا بَاشاوان لم تنجح كلّ النّجاح فإنها لم تفشل كل الفشل، وتجاوب معه عددٌ كبيرٌ من شيوخ العلويين ظَلّوا يمارسون الصلوات على المذهب الّذي أراد حتى عصرنا هذا في بيوتهم وفي مساجدهم وقد ادركنا كثيراً من شيوخ محيطنا يمارسونها وقتاً فوقتاً في بيـوتهم لعدم وجـود المساجـد آنذاك..

وما دمنا اشرنا إلى المساجد التي بناهَا الوالي التركي ضيا بَاشا فلا بـدَّ من القول: انه من هذه المساجد ما لا يزال عامِراً حتى الآن في جبال العلويين، وقد زرنَا وصلينا في واحدٍ منها بقرية قرقفتي حيث تتابعت ائمته من آل الشيخ أحمد حسن..

وإذا كان خرب الكثير منها فلأن اكثر القرى كانت محرومة من نعمة القراءة والكتابة والمتعلمين، وكان ابناء القرى جميعاً رجالاً ونساءً واطفالاً يعملون في الحقول لتأمين اود العيش وفي رعي الماشية فلا يتسع وقتهم لا للعلم ولا للصلاة وكل بيت من البيوت يعمل ليأكل وإلاّ فإنه يموت جوعاً ولا يشعر به أحد..

هَذَا من جهة، ومن جهة ثانية، أنَّ تلك المساجد لم يخصص لها اوقـاف تساعد على تعيين ائمَّة أو مؤذنين كما هو الحال في المدن، واعتقد ان مساجد المـدن لولا ان تتعهـدها الأوقـاف الأسلاميـة ولولا ان تصـرف رواتب لـلأئمـة والمؤذنين لأصابَها ما أصاب مساجد القرى..

سقنا هذه المبررات لعلَّ فيهـا ما يسعف من يـريد ان يتحـدث منصِفاً عن العلويين هذه الفئة التي كانت ولا تزال مثار جدل المؤرخين وموضع اهتمـامهم اكثر من كل الطوائف الباطنية، وبالمناسبة، فقد كنا اشرنا ان الطّائفة الأسماعيلية من اعرق الطوائف الباطنية، ونحن نعيش وإيَّاهم متجاورين، وقد طفنا الكثير من قراهم فلم نر جامِعاً ولا مسجداً ما خلا القصبات والمدن كالقدموس ومصيـاف والسلمية، ولم نجد في قراهم شعباً يمارس الصلاة الشرعية، ورغم كـلُ ذلك انصرف عنهم المؤرخون ولم يتعرضُوا لهم عقيدة وتدينا كما تعرضُوا للعلويين،

وفي بعض الأحيّان اذا تناولهم مؤرخٌ يعتـذر عنه من يـأتي بعده ويعتبـرانه خلط بينهم وبين العلويين.

وكذلك اخواننا الدروز وامرهم مكشـوف لكلّ مؤرخ، فلم يتعـرضُوا أيضـاً لسكـاكين المؤرخين، كمـا تعـرض العلويـون، وظـلّ المؤرخـون يجـاملونهم ويسايرونهم..

ولهذا نتساءل مُلَحِّين ماذا يعني هَذَا الموقف من المؤرخين وماذا يعني هَذَا الأهتمام بتشريع هذه الطائفة وتشويه عقيدتها وتصوير مجتمعها بأنه متوحش..

جزى الله الدكتور الرافعي خيراً عن الأسلام والمسلمين، فقد اجاد وافَاد في حديثه عن العلويين، واحسن الله الى جماعة التقريب، فهم الذين جَنَحُـوا في هذا العصر الى التفكير بالأسس الاسلامية واعتبار كل من ينطلق منها فهو مسلم، خلافاً للمفاهيم التاريخية التي كانت سائدة والمعنية بتكفير من لا يعتنق مـذهباً معيناً ولا يردد شعارات معينة..

ونحن لم نقتطع من كتابـه (اسلامنـا) هذا المقـطع إلاَّ ليكون اسـوة حسنة لِلّذين يستقرؤون التّاريخ ويمارسون العمل فيه..

أجل لقد اثبتنَا حَديثه عن العلويين من هذا الكتاب ليطلع عليه المنصفون والمخلصون لملتهم وامتهم وعقيدتهم، فقد شخَّصَ الدَّاء وعرف الدواء، وقال ما يجب ان يقال، وكتب ما يجب ان يكتب، ولو خـطا كخطواتـه هذِهِ مؤرخـو المسلمينَ، وفقهاؤهم، لما تركوا مجالاً للدساسين والمغرضين، بأن يتسللوا الى جمـاهيرهم، وان يشقُـوا صفوفهم، وان يعملوا في بنيـان الأسـلام والمسلمين تقويضاً وهَدْماً، وفي خنادقهم تسغيةً وردماً..

ماذا يقولُ بعد الآن دعاة ابن تيمية، ودعاة شيوخه اصحاب الفتاوى الغبيّـة المدمّرة[1] ماذا يقولون، بعد ان اطّلعُوا على كتاب الدكتور مصـطفى الرافعي،

---

(١) يقول فيليب حتي في تاريخ سورية ج ٢ ص ٢٦١ عن ابن تيمية (مؤلفـات الفقيه السـوري ابن تيمية (١٢٦٣ ـ ١٣٢٨) تزخر بروح العصر الرجعية) فهل نلام نحن إذا قلنا انها غبية مدمرة بعد ان كان ما كان وسلف ذكره من اثرها في شعبنا بلبنان.

وعلى حديثه الصَّريح، وتحدِّيه الجريء لمنطق زميله وابن بلده صاحب تاريخ طرابلس، ومخالفته لكلِّ المؤرخين الـذين تعاملوا مع ابن تيمية وسايروه في منطق الفتاوى المحمومة.

إنَّ حاشية ابن تيمية تتجاهل ما تعرَّض له ابن تيمية من خلال تصرفاته الفقهية، ولكنهم يلوِّحون في كل مناسبة بمن تعرض لهم ويعتبرون ذلك مستنداً وثيقاً للتنديد والتشهير وتبرير سوء المعاملة..

مَا من شك ان كلام الرافعي الَّذي دافع به عن العلويين، واعتبر كلّ ما ورد بحقهم تهمًا باطلة، يشكل ردّاً صريحاً على ابن تيمية الَّذي اعلن أنَّ العلويين، يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاة اهل البيت، ولكنهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله، ولا برسوله، ولا بكتابه ولا بأمرٍ ولا بنهي، ولا ثواب ولا عقاب، إلى آخر المعزوفة التي رددها وتبنَّاها صاحب تاريخ طرابلس..

ولا يقتصر دفاع الرافعي حفظه الله عن الدين والعقيدة عند العلويين، فهو أيضاً يقرر انهم عرب اقحاح وهم معروفون بأنسابهم ومشهورون، وذلك ردّاً على من يشككون بأصلهم..

وانه لمن الغريب جدّاً ان يختلف مؤرخان طرابلسيان معاصران في ارسال المعلومات المتناقضة والتي تكذِّب احداهَا الأخرى. عن أحوال طائفة يساكنان منها عدداً غير قليل في مدينتهما، ويعرفان عنها كلَّ شيء بحكم التعامُل والجوار والعلاقة الشخصية.

يرى صاحب تاريخ طرابلس رأياً، ويرى صاحب كتاب (اسلامنا) غيره، ولم يتلاقيا في نقطة واحدة، فالأوّل على رأي من سبقه يخرج العلويين من حظيرة الأسلام ولو خالَفَ بذلك تسعة وتسعين دليلاً على مصداقية اسلامهم.. والثاني يَرَى ان العلويين مسلمين ولو لم يقم لديه إلَّا دليلٌ واحِدٌ فكيف وقد توافرت لديه الأدلة.



عـــودة
إلى الموضـوع الأسـاسي

لنعد الآن إلى موضوعنا الأساسي، وهو: الصيَّغة الوطنية لوجود العلويين في لبنان وجوداً متواصِلاً خلال خمسماية عام، أي من العام الثالث الهجري، حتى العام السابع الهجري، ونستند بذلك على معلومات صاحب تاريخ طرابلس.

قال في معرض حديثه عن العلاقات مع النَّصيرية في لبنان: (ويبدو ان تجمعات كبيرة من النصيرية استوطنت جبال لبنان الشمالية، والوسطى، أثناء الوجود الصليبي في المناطق الساحلية، وكان النصيرية يختلطون مع الموارنة والدروز في الجبال، والجرود وظَهَر تجمعهم الأكبر في المنطقة المعروفة الآن بـ (الضنية) في الشمال الشرقي من طرابلس، حيث يبدو ان بلدة (بخعون) كانت تمثل قاعدة رئيسية لهم في هذا الأقليم، حتى نهاية القرن السابع الهجري).

نلاحظ ان صاحب تاريخ طرابلس يشير إلى التجمع الأكبر للعلويين في الشمال الشرقي من طرابلس، ويصمت عن أيّ وجود لهم في طرابلس فكأنه يريد ان يقول: ان عسكر المماليك طهَّر المدينة منهم، اذ لا يعقل ان يتواجد العلويون بكثرة إلى جوار طرابلس، ولم يتواجدوا فيها..

وإذا سلمنا جَدَلاً: ان المواطنين الطرابلسيين من العلويين هربوا منها للنجاة بأنفسهم نحو الجبال والجرود، ليعيشوا بأمَانِ مع الشيعة والدروز والموارنة ـ الطوائف التي ذكرها ـ فإنا نلاحظ انهم بعد القرن السابع الهجري انطمست اثارهم في تلك الديار. ولم تنطمس في طرابلس، فهل كان هذا الأنطماس من فعل الأبادة الجماعية التي نفذّتها جيوش اقوش الأفرم سنة ٧٠٥ هجرية، أم بفعل الهجرة إلى الجبال التي يقيمون فيها الآن بين حمص واللاّذقية؟ ام انَّ الّذين بَقوْا من السُّكَّان تحوَّلوا للاحتفاظ بحياتهم الى مذاهِبَ أو اديانٍ اخرى!!

إنَّ حادثة تنصير ستين الف علوي بين طرطوس وطرابلس في عهد غليوم الصوري بالرغم إنّي تعرضت للشك فيها في كتابي المسلمون العلويون وبينت ما لها من أسباب في حال حدوثها، لا تزال تشغل عليَّ تفكيري، فإن هذا التحول السريع من مجموعات كبيرة قاومت كثيراً في سبيل عقيدتها، لا بدَّ له من

أسباب، فيها من الضغط العنيف ما اكرهها على التحول إلى دين آخر لتدخُلَ في حماية ابناء هذا الدّين . .

وإذا كان غليوم الصوري صادقاً في هذه الرواية، فَمَا هي إلاَّ تشهير بالمسلمين الَّذين بلغ فيهم سوء التدبير الى حَدًّ جعل مجموعة كبيرةً منهم تتخلَّى عنهم نكاية بهم، ولأظهار ان المرونة المسيحية جعلت مجموعة كبيرة من المسلمين تنضَمُّ اليهم، وهُنَا تتجلَّى براعة التصرف والسلوك والعمل . .

انا نعلم، حتَّى في أيَّامِنَا هذه عائلات كبيرة في طرابلس من العلويين انضمَّتْ إلى أهل السنَّة قيداً للأستفادة من حقوق أهل السنّة، لا لأنهم يفضلون مذهب اؤلئك على مذهبهم، وان عائلات أخرى انضمت الى الشيعة الأمامية المعتدلة، ليتسنى لها الإستفادة من الحقوق المدنية وعلى ذمة من رَوَى لي : ان بعض الأشخاص سَجَّلُوا قيدهم مسيحيين للأستفادة من الحقوق[1] لأن العلويين - كعلريين - قضى ميثاق الحكم عند اللبنانيين، ان لا يكون لهم نصيبٌ في الدوائر الرسمية، لأنهم من اقليَّات الطوائف، وكأن الأقليات ممنوع عليها الحياة الكريمة وهي من حق الأكثرية.

فإذا كان الحصول على الحقوق، أدَّى في ظروف معينة إلَى تغيير المذهب فكيف الحال، اذا كانت الغاية من التحوُّل إلَى دين آخر الحصول على الحياة أو الابقاء على النفس . .

ونعود إلَى تاريخ طرابلس فنجدُ صاحِبه يبررُ بطش نائب الشام اقوش الأفرم بالعلويين النصيرية، ومشروعية ذبحه ايَّاهم بما يلي . .

قال :

(وفي سنة ٧٠٤ هجرية / ١٣٠٤ / م ارسل النَّائب إلَى النصيرية، علماء

(١) علمت ان اديباً علوياً كبيراً لكي يستطيع الحصول على الجنسية اللبنانية سجل نفسه مسيحياً كذلك اديباً سنيًاً هو السيد سعيد حورانية من دمشق سجل نفسه في لبنان مسيحياً باسم (نايف بيطار) للإستفادة من الجنسية (راجع العدد الثقافي الثالث سنة ١٩٨٧ من مجلة دراسات اشتراكية).

الشّام وعلى رأسهم ابن تيمية[1] وتحدَّثوا معهم في الرُّجُوع إلى الطاعة فلم يستجيبوا إلى ذلك، وازاء فشل المحاولات السلمية، واستنفاد كلّ السبل، فقد نادى النائب الأفرم في دمشق بخروج العساكر، واصدر امراً صارماً بأنّ من تأخر من الأجناد والرجالة شنق) واجتمع نحو الخمسين ألف رجل، فزحف بهم في الثاني من محرّم سنة ٧٠٥ هجرية / ١٣٠٥ / م وهاجم جبال الجرد وكسروان من الشرق. .

وجاءَ الأمير (سنقرجاه المنصوري) نائب صَفَد فقطع عليهم الطريق في الجنوب. .

أمّا من الشمال، فقد خرج الأمير (اسندمركرجي) بعساكر طرابلس وكان متّهماً بأنه قد نسب الى مباطنتهم (يعني علوي) فجرَّد العزم واراد ان يفعل في هذا الأمر، ما يمحو عنه اثر الشناعة (انظر) التي وقعت وطَلَع إلى جبل كسروان، من اصعب مسالكه. .

وبذلك اطبقت العساكر الاسلامية على بلادهم، واحتوت عَلَى جبالهم، ووطئت أرضاً، لم يكن أهلها يظنون ان احداً يطأها. .

وفَرَّ امراء الجرد وكسروان الى غارٍ يعرف بمغارةِ (نيبية) فوق انطلياس، شمالي بيروت، واعتصموا فيه، ولكن نائب الشام بذل لهم الأمَان، فلم يذعِنُوا، وعند ذلك أمر ببناء جدار على باب الغار واهال عليه تَلاًّ من التراب، وأقام حارساً عنده مدة اربعين يوماً حتى تأكّد من موتهم. .

وصعدت عساكر طرابلس إلى جبال كسروان، فخربت القرى وقتل من العصاة عددٌ هائل، وتمزَّق من بقي منهم في البلاد، وقتل في هذه الموقعة المعروفة بوقعة كسروان، تقي الدين شادي بن داوود بن شيركوه، أحد امراء

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، النميري الحراني الدمشقي الحنبلي الإمام شيخ الاسلام المولود سنة ٦٦١ والمتوفى سنة ٧٢٨ هـ.

دمشق في الثاني من صفر، واستخدم (اسندمر) جماعةً من النصيرية بطرابلس، فأدخلهم في الديوان، ووضع لهم رواتب من الأموال الديوانية، فأقامُوا على ذلك سنين واقطع بعضهم اخبازاً من حلقة طرابلس، واختفى بعضهم في البِلَاد وتفرَّقوا. .

وعاد نائب دمشق إلى دمشق، ومعه ستماية اسير، وكتبت البشائر بذلك، واحسن ما وقع فيها كتاب كتبه الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني افتتحه بقوله تعالى: (ويسألونك عن الجبال، قل: ينسفُهَا ربّي نَسفاً) وجعل بهاء الدين قراقوش ناظِراً على بلاد بعلبك، وجبال الكسروانية فقام بإخلاء من بقي في جبال كسروان من النصيرية. .

ثم اقطع السلطان النَّاصر محمد جبال كسروان في شهر جمادي الاخرة للأمير علاء الدين بن معبد البعلبكّي، وسيف بكتمر، عتيق بكتاش الفخري وحسام الدين لاجين، وعزّ الدين خطاب العراقي فزرعها لهم الجبلية. .

إلاَّ ان المطران الدّبس في تاريخه الديني والدنيوي عن سورية، يذهب إلى أنَّ وقعة كسروان تشمل الدروز والموارنة فقط، ولا علاقة لها بوقعة جبال الضنِّية، وهو يرى: ان نائب الشام الأفرم، بعد ان فتح كسروان واخضَعَهَا، ذهب إلَى جِبال الضِنّية، وهو أي الدبس بهذا المنطق يخالف سائر المؤرخين، المتقدِّمين والمتأخرين، حتى من الذين يستند اليهم كصالح بن يحي صاحب تاريخ بيروت، والبطريرك اسطفانس الدويهي وهو يرفض ان يكون سكّان تلك الجبال من غير الموارنة، وانهم هم الّذين تحملُوا وقاومُوا وثبتوا في مواقعهم على الرغم من قسوة الحملة والظُّلم والتدمير والقتل. .

ويذهب في استنتاج ذلك الى عبارتين، احداهما للدويهي وفيها يقول: انه بعد وقعة الدَّامور رفعت الشكوى إلَى نائب دمشق من الجرديين والكسروانيين. فيفسِّرُهَا الدبس، ويقول: ويظهر ان الدروز الجرديين، والموارنة الكسروانيين. .

وان صَالح بن يحي سَمَّاهم: الجبليين[1].

وتعليقنا على المؤرخ الدبس انه اخذ العبارات المبتسرة المبهمة الواردة على ألسِنَة البعض وبنى علْيها تاريخاً، وتجاهل كلَّ الصراحات التاريخية المتعلقة بتلك الحوادث، فلم يشر إلى واحدة منها عند مؤرخ قبله..

ويا ترى ايكون سيادته هو الوحيد الَّذي يسطر الحقيقة ويؤرخ لَهَا، ويقول: عنّي خذوا وبي اقتدُوا، ودَعُوا ما قاله الأخرون، فهو محض افتراء وتزوير واختلاق وقائع.

ونعود إلى المتابعة مع صاحب تاريخ طرابلس، قال: وفي سنة ٧٠٦هـ ١٣٠٦/ م، وضع نظام جديد لحراسة السواحل من غارات قراصنة الصليبيين، ومُنِعَ اتصالهم بمن بقي من حلفائهم الذين اعُطُوا الأمَان، واقامُوا بالقرب من بيروت، فأقطعت جبال كسروان للتركمان من سكَّان الكورة القريبة من طرابلس، والحق بهم ثلاثماية فارس، مهمتهم حراسة السواحل والمواني والطرق البرية بين بيروت وطرابلس، وقد استمر التركمان، على اقطاعهم هذا طوال عصر دولة المماليك، حتَّى اشتهروا: بتركمان كسروان من آل عسَّاف، وعرفُوا به، واذ كان عليهم حراسة السواحل، والاقامة في مراكز على البحر، فقد اعفيت النيابة بكورة طرابلس وانفه والبترون من دفع الضرائب، غير ان تلك السواحل، والأقامة على البحر سُدَّت بعد ذلك بعسكر السلطنة، وظلَّت جبال كسروان، خاليةً من النَّصارى الموارنة حتى عَادُوا اليها ايَّامَ الدولة العثمانية، في عهد الأمير فخر الدين المعني سنة ١٦١٧م.

أمَّا النصيرية فلم يعد لهم وجود يذكر في جبال لبنان وظَلَّ موطنهم في قلاع الدعوة عند مصياف وافامية من جبال البهرة).

---

(١) المؤرخ صالح بن يحيى ينتسب إلى اسرة آل بحتر الذين تولوا الدفاع عن بيروت ضد الغارات البحرية أثناء حملة الملك الناصر سنة ١٣٠٦ التي كان من شأنها تخريب وتدمير لبنان وابادة أهل كسروان ابادة تامة واحلال الاكراد والتركمان محل الشيعة (فيليب حتي ج ٢ ص ٢٦٠.

توقُّف، واستتباع

وقفنا عند هذه المعلومات التَّاريخية يفيض علينا بها صاحب تاريخ طرابلس من مختلف المصادر التَّاريخية، وتتبعنا جولته فيها وعرفنا ماذا يريد منها، ولكنه عن غير قصد اثبت لنا منها، ان العلويين النصيرية كانوا حتى سنة ٧٠٤ هجرية الموافقة /١٣٠٤/ ميلادية، هم العدد الغالب بين سكان جبال كسروان، إذا لم يكونُوا، هم كلّ سُكَّانِها، وكانُوا هم امراء الجرد، ويستدل على ذلك من ان الواقعة التي رواها عن المؤرخين قبله كانت تستهدف النصيرية بالذات، وليس تجنيد خمسين الف مقاتل من عساكر الشام بالأضافة الى عسكر صفد وعسكر طرابلس واطباق هذه الكمَّاشة من كلّ الجهات، ليس ذلك من أجل شرذمة قليلة مستعصية، وكلّ هذه الشدة ليس لأخماد ثورة يقوم بها نفر قليل. وان الحديث عن واقعة كسروان ينصبُّ على هذه الطَّائفة وان الأمراء الَّذِين اهيل عليهم التراب في مغارة (نيبية) وقتلُوا فيها صبراً هم أمراء من العلويين وان ما جاء على لسان بعضهم: (ان النَّائب بذل لهم الأمان فلم يخرجُو) جاءت لرفع المسؤولية التاريخية عن جريمة ارتكبها مجرم، بقي ان نقول: إنَّ ارسال علماء الشام وعلى رأسهم ابن تيمية، لم يكن لدعوتهم إلى الرجوع للطاعة، هذا اذا لم يكن الخبر من أساسه وضع أيضاً لتبرير المذابح، وان عدم استجابتهم ـ إذا صَحَّ ـ لم تكن للاستمرار بالعصيان ـ كما يزعمون ـ وانما كانت الدعوة لترك عقيدة معينة يدينون بها، وان عدم الاستجابة، كانت لرفض هذه الدعوة.

ومن يرجع الى فتاوى ابن تيمية لا يخفي على أحد موقفه الصلب المتعنِّت من كل مذاهب الشيعة وليس من النّصيرية فحسب.

ويؤيد رأينا هذا ما ورد أيضاً في تاريخ التدمري تحت عنوان (ثورة النصيرية) حيث قال:

في شهر شوّال سنة ٧١٧هـ /١٣١٧م اصدر السلطان النَّاصر، محمد بن قلاوون مرسوماً يقضي بأن يبنى في كلّ قرية من قرى النصيرية مسجد ويفرد للمسجد اراضٍ من القرية، وان يمنع النصيرية من الخطاب.

ان هذا المرسوم صدر بعد حوادث سنة ٧٠٥ بـ /١١/ سنة يعني انه جاء

هَذَا المرسوم بعد اجراء حوادث القهر والتدمير، بحيث صار من الممكن فرض الأمور عليهم في جبالهم بعد ان تمت ابادتهم من لبنان، وكنَّا اشرنا فيما تقدم إلى ان سبب خراب المساجد في بلادهم هو هذا الاكراه على التمذهب المفروض، وربما يستطيع الانسان فرض اغلب الأمور إلاَّ الايمان والتدين فهو قناعة خاصة بالقلب قبل ان تكون ممارسة وعملاً بالجوارح، وانَّ الله سبحانه قال في كتابه الكريم: (لا إكراه في الدين) فكيف يكون الأكراه في المذاهب!!

بقي ان نقول: انه تمَّ للنَّائب الأفرم جَلَّاد ابن تيمية ما يريد من اعمال الأبادة والذبح والقتل، وتخريب القرى وتمزيق شعبها، ولكن ماذا نسمِّي نحن وماذا يسمِّي كل من يرتفع عن صفة الوحش من يقوم بمثل هذه الأعمال، ومن يرتكب الاجرام هل يقال عنه ما يخالف فعله..

وبعد ان تمَّ لِهَذا البطل كلّ ما يريد من التنكيل بالنصيرية ماذا حَصَل؟!

الَّذي حَصَل انهم خربُوا البلاد فحرمُوا الدولة من واردات الخزينة وذبحوا العباد، فخسرت الدولة رجالها، وشرّدوا من بقي ومن فَرَ من وجه الطغيان فبقيت الأرض بعد ان سلبوها ما جَاءت به من خيرات وموارد خيره من خلال كرومها واشجارها المثمرة وبقيت الخرائب والأطلال تنعي من بناها..

انها الأرض والخرائب والأشجار التي لم تمت على اقدامها، بل بعد ان هوت بها آلات القطع، بقيت وحدها تشهد على شناعَةِ ما رأت وعلى قبح ما فعل السفهاء بها..

أيَّ فائدة استطاع ان يجنيها منها بهَاء الدين قراقوش، هذا النَّاظر المجنون، الَّذي ما زالت تروي الحكايات الأسطورية عن حكمِهِ الأبلة..

ان هذا النَّاظر المجنون، لم يكتف بما فعله سيده الأفرم، بل قام بإخلاء من بقي في جبال كسروان من النصيرية، امعاناً منه بالاضطهاد والظلم، وان هذا النَّاظر عندما اخلى الجبال من سكانها بقيت معطلة بدون حراثة، فتخلَّى عنها مكرهاً، واقطعت للأمير علاء الدين البعلبكّي، وسيف الدين بكتمر، وحسام

الدين لاجين وغيرهم ممن ذكره التّاريخ، فجلَبُوا لها مزارعين جبليين . .

وجواباً، ونستطيع ان نقول: احسن جواب على أحسن ما وقع في كتاب كتبه الشيخ كمال الدين الزملكاني في واقعة كسروان الّذي افتتحه بقوله: (ويسألونك عن الجبال، قل ينسفها ربي نسفاً).

إنّنا نقول للمعجبين بهذا الكتاب، انما احسن ما يقع جواباً عليه، قول العزيز العَليم، في الذّكر الحكيم: (قُلِ اللهمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء، وتعزُّ من تشاء وتذِلُّ من تشاء، بيدك الخير انك على كل شيءٍ قدير) . .

لو تأمَّل أهل البصيرة من المسلمين لوجدوا ان كارثة واقعة جبال كسروان لم تكن على النصيرية العلويين إلاّ في حينها، أمّا على المدى البعيد، فقد وقعت كارثتها على مسلمِيّ لبنان، وهم الآن يحصدون نتائجها من مواقف الطوائف الأخرى التي حلّت محل العلويين في تلك الأصقاع . .

يجب أن يعرف المسلمون انه لولا النِزاعات الطّائفية الّتي اثارها أعداؤهم من الخَارج قصداً، لما وجدوا انفسهم الآن من الدرجة الثانية بين شعب لبنان . .

وكان من الغباء ان لا يدركُوا، ان الوثيقة الّتي كتبها لويس التّاسع اثناء حملته على مصر ٢١ ايّار سنة ١٢٥٠م كانت أساساً وتمهيّداً لما حصل عليه لبنان سنة ١٩٢٠ . .

وما كان استبدال النُصيرية بالتركمان لعمارة تلك الجبال مجدياً اذ لم يكن من السهل، ان تعيش عوائل قليلة من التركمان في منطقة ليس لهم فيها جوار يتساعد معهم، أو يأوون اليه، ولو جعلوا من آل عَسّاف في كسروان أهل وجاهة وزعامة على التركمان . .

يا ليت قومي يعلمون، بما دبروا بأنفسهم ضد انفسهم وهم غافلون.

البعد بين سياستي
قراقوش البعلبكي واسندمر الكرجي

بعد كل مَا مرَّ بقي علينا ان نشير إلى الفارق الأسلوبي في التَّعامل بين سياسة قراقوش البعلبكّي الَّذي ولاه نائب دمشق المجرم اقوش الأفرم نظارة كسروان، وبين سِياسة(اسندمر) نائب طرابلس. . .

ينقل الينا المؤرخون ان قراقوش بعد ان تسلَّم نظارة كسروان من نائب دمشق واسند اليه امرُهَا، بدلاً من ان يسير بسياسة الإرضاء والتعمير والبناء، قام فأخلى من بقي في جبال كسروان من النصيرية امعاناً منه في الأضطهاد والظّلم. .

في حين ينقل الينا التَّاريخ ان (اسندمر الكرجي) نائب طرابلس الّذي افحش في القتل والتخريب أثناء قيادته لعسكر طرابلس عاد بعد الحملة وقرَّب اليه النصيرية ورتب لهم رواتب ديوانية واقطعهم اخبازاً من حلقة طرابلس. .

هذه هي السياسة الحكيمة التي يستعملها الثوار الحكماء الَّذين يعرفون كيف يُوجعون اذا ضربُوا، وكيف يشبعون إذا أطعموا .

ليس من المستغرب ان يقوم قراقوش بالاجهاز على من بقي من النصيرية هناك تطبيقاً لسياسة سيده الأفرم ولكن المستغرب ان يقوم نائب طرابلس (اسندمر) بعد كل ما نسب اليه من عنف، ووصف به من استعمال الشراسة ضد هؤلاء حتى ان المؤرخين لم يعتبروا ذلك منه مواقف رجولة لوجه الرجولة وانما اعتبروا ذلك لدفع تهمة المباطنة عنه، بعد كل ذلك يعمل عَلَى تقريب هؤلاء، ويُسند الى جماعة منهم في طرابلس وظائف ديوانية فيدخلهم في الديوان ويخصص لهم رواتب من الأموال الديوانية. وقد اقامُوا على ذلك سنين دون ان يخاف من انتقامهم منه أو يخشى تآمراً منهم عليه، وان عبارة اقامُوا على ذلك سنين تدلُّ على اخلاصهم وكفاءتهم لشغل المنَاصِب التي كلفهم بها، وتقديراً لهذا الأخلاص، وهذه الكفاءة اقطع بعضهم اخبازاً من حلقة طرابلس.

ولا استبعد ان يكون تقريبه لجماعة من النصيريين هو الَّذي جعل بعض المؤرخين يقول: كان ـ اي اسندمر ـ متهماً بأنه قد نسِبَ الى مباطنتهم. .

وهكذا نجد كل ذي تدبير حكيم أو كل ذي رأي سديد، يطعن عليه بسبب هذه الحكمة، وبسبب هذا السداد، ويتهم بالانحراف والتحيُّز..

واخيراً ماذا جرى؟

بعد عام ١٦١٧م اعيد الموارنة الى جبال كسروان بإدارة العثمانيين ولم يعد للنصيرية شأن يذكر..

هكذا يقول صاحب تاريخ طرابلس بالأستناد إلى غيره مِمَّن تشفي مرضهم هذه النتيجة التي انتهى بها كلُّ شأن يذكر للنصيرية في جبال كسروان وجرودها، وطوبى للمستفيد من هذه النتيجة..

أمَّا في طرابلس بالذَّات، فَمَا كان لَنَائبها (اسندمر) ان يعين موظفين في الديوان من النصيرية، لو لم يكن فيها شعبٌ منهم غير قليل العدد يهمُّه ان يسترضيه حتى لا يكون عوناً للذين ينتفضون ضده..

وانّ كلمة. (اقامُوا على ذلك سنين) فهذا يعني انَّ النصيرية بقيت كثرتهم في طرابلس مدّة طويلة بعد حوادث كسروان، وان كلمة (اقطعهم اخبازاً من حلقة طرابلس) يعني ملكهم فيها من املاك الدولة، وذلك تعبيراً عن ثقته بهم، وتقديراً للجهود التي كانُوا يبذلونها في سبيل مصلحة الشعب والدولة..

وهذا يُهمنا ان نورده تكذيباً لِلّذين يصمونهم بعدم الأخلاص لأمتهم ولبلدهم..

وما كان لهذا النَّائب ان يحتفظ بهؤلاء الموظفين من النصيرية في ديوانه مدة سنين، لو كان لا يجد فيهم الكفاءة العالية والمزايا الرفيعة، والأخلاص المتناهي في العمل. ودقة في معرفة الأصول في الادارة والتعامل والاستقامة في السلوك..

ان ديوان طرابلس بمثابة مجلس وزراء في هذه الأيَّام وكانت صلاحيَّات موظفيه، كصلاحيَّات الوزراء الآن، ينفذون المراسيم والقرارات، ويشرفون على أُصول تطبيقها..

ولو كان هؤلاء اساؤا استعمال وظائفهم، وكانت تصرفاتهم غير مفيدة للدولة وللشعب، لما ابقى عليهم نائب طرابلس، ولما رضي عنهم. ولَمّا كان اقطعهم اخبازاً في حلقة طرابلس، ولما ابقاهم في وظائفهم تلك المدة الطويلة من السنين. وكان اخلا من بقي منهم كغيره..

يمر المؤرخون في مثل هذه الألماعات التّاريخية، فَلاَ يعيرونها اهتماماً، ويصرفون النّظَر عنها، حتّى لا يتركون مجالاً للتفسير الأيجابي عمَّا تنطوي عليه هذه الثقة من نائب طرابلس بموظفيه من العلويين النّصيرية لأنهم لا يريدون ان يعترفُوا بشيء من مظاهرهم المدنية والحضارية والاجتماعية..

ويمر بهم مؤرخ كجرجي يني، وآخر كفيليب حتي، ويااليتهم يكتفون بما يطمسونه من آثارهم التّاريخية، بل يعمدون إلى التشهير بأوضاعهم واحوالهم وعقائدهم، ويلوّحون بانحرافِهِم عن الأسلام وبجهلهم التمدّن، وعدم مراعاتهم لواجبات الاجتماع الأنساني، وقطع السبيل، ونهب القرى، والقاء الفتن في البلاد.

أمَّا سوء معاملتهم من قبل الآخرين فلاَ يعرّجون عليها ولا يلوِّحون بها، ويؤسفُنَا اننا لا نعلم الى اية غاية يهدفون بذلك وكأن من مصلحة هؤلاء المؤرخين ان يظلَّ العلويُّون عرضَةَ للتنكيل والقهر والظلم..

لقد بَرَّرَ المؤرخون همجيَّة الصعاليك، واعتبروهم ثوَّاراً في سبيل لقمة العيش، واحدّثك عن الصعاليك، فهم فئة من النَّاس كانوا يعيشون عَلَى الفوضى واللامبالاة، ومنهم عروة بن الورد، وتأبّطَ شرّاً الشاعران، ويقول مؤرخوهم: انهم كانُوا يعيشون على النَهب والسلب ومطاردة القبائل..

أمَّا هؤلاء النصيريون، وكأن الجوع وحجب الرغيف عنهم لم يكن سَبَباً في كثيرٍ مِمَّا نسب اليهم، وكأنَّ احتقار السلطة لهم ولكرامتهم، لم يكن سَبَبا لأيَّة حادثة فيها ثأرٌ لكرامتهم..

وحتى هذه الأيَّام يعتبر بعض المؤرخين، ما قام به اقوش الأفرم ضد

الكسروانيين والظنّيين في حوادث سنة ٧٠٥هـ وما قام به راشد باشا في بلاد الساحل من تدويخ الأهالي في بحر القرن التّاسع عشر عملاً بطولياً يَدلّ على الأدارة الحكيمة حتى لكأن البطولة دائماً في سفك الدماء، وتخريب البيوت، وقتل الأبرياء الآمنين. .

لقد ذهب السلطان سليم، واقوش الأفرم، وراشد باشا، وكل اولئك الطغاة الجبّارين، ولكن الشعب بقي يتذكرهم بكثير من الألم وعدم الاستغفار[1] وبقي التّاريخ يذكرهم، ولكن بما يقبّح ذكراهم، وينقل صورهم الينَا انسانية المرأى، ولكن وحشية الفعل والتصرُّف، والسلوك، فهل من يعتبر يَا ترى!!

---

(١) راجع المعلومات التاريخية التي دوّناها على الصفحة /٢٤/ من هذا الكتاب.



منطق الفتاوى وأثرها

قبل الدخول إلى عالم الفتاوَى، واثرِهَا في زعزعة العَالم الاسلامي لابدَّ من الوقوف عند خبر ارسـال علماء دمشق، وعلى رأسهم ابن تيميـة من قبل نـائب الشام اقوش الأفرم. .

الخبر يحدثنا انه في سنـة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م ارسل النَّـائب إلى النصيريـة علماء الشام، وَعَلَى راسهم ابن تيمية، وتحدثوا معهم في الرُّجوع إلَى الطَّاعة، فلم يستجيبُوا إلى ذلك، وبسبب فشل المحاولات السلمَيَة صار تجريد العساكر والهجوم عليهم بالشكل الَّذي وصَفَه المؤرخون. .

وقد استند صاحب تاريخ طرابلس في ايراد هذا الخبر عَلىَ ثلاث مصادر:

١ ـ السلوك ج/٢/ق ١٥٨.

٢ ـ نهاية الأرب ٣٠/٢٨.

٣ ـ خطط الشام ٢/١٤٠.

ومن الرجوع إلَى خطط الشام الَّذي هو من المراجع الأخيرة، استطعنـا ان نعلم، أنَّ تأصل العداوة بين التنوخيين في غرب لبنان، والكسروانيين هو الَّذي أدَّى إلى تلك الحملة المدمِرة. .

ويقول صاحب الخطط: ان نائب دمشق اقوش الأفرم، ارسل إلَى الجبليين والكسروانيين، الشريف زين الدين عدنان، يأمـرهم بأن يصلِحُـوا شؤونهم مَعَ التنوخيين، وان يدخُلُوا في طاعتهم. .

ثم ارسل اليهم الأمام ابن تيمية في صحبة بهاء الذين قراقوش فلم يحصل اتفاق، فأفتى العلماء حينئذٍ بنهب ديارهم، بسبب استمرارهم على العصيان. . انتهى.

ومن الرُّجوع إلَى فَتَاوَى ابن تيمية، وما تضمنته من أسباب موجبه، فلم نجد بهـا أيـة اشـارة الى تـدخُلِهِ هـو بـالـذات في الـوسـاطـة بين التنـوخيين وبين الكسروانيين، ولـم نجد في الفتاوى سَبَباً أساسياً إلاَّ خلاف الشيعة مع اخوانهم

أهل السنّة، وانَّ الأسباب التي اوردَهَا صاحب الخطط لم تتعرض لها الفتاوى . .

وها نحن نورد ما جاء في واحدة من تلك الفتاوى:

قال ابن تيمية في نَصِّ رسالته إلَى السلطان الملك النّاصر:

إنَّ السلطان، اتَمُّ الله نعمته، حَصَّلَ لـلأمّـة، بيمن وِلاَيته وحسن نيته، وصحةِ اسلامِهِ وعقيدته، وبركة ايمانه ومعرفته، وفضل همته وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدِّين وشرعته، ونتيجة اتباعِهِ لكتاب الله وحكمته، مَا هو شَبيهٌ بما كان يقصده اكابر الأئمّة العادلين، من جهاد اعداء الله، المارقين من الـدِّين، وهم صنفان: أهل الفجور والطغيان، وذوو البغيّ والعدوان، الخارجون عن شرائع الايمان، طلباً للعلوّ في الأرض والفساد، وتركاً لسبيل الهُدى والرشاد، وهؤلاء هم: التّتَار ونحوهم من كلِّ خارجٍ عن شرائع الاسلام وان تمسَّكَ بالشهادتين، أو ببعض سياسة الأنام . .

والصنف الثاني:

أهـل البدع المـارقون، وذوو الضّـلال المنافقـون، الخارجـون عَنِ السنَّـةِ والجماعة[1]، المفارقون للشرعية والطّاعة، مثل هؤلاء الّذين غزُوًا بأمر السلطان من أهل الجبل والجرد والكسروان، فـإنّ مَا مَنَّ الله بـه من الفتح والنّصر على هؤلاءِ الطغـاة هـو من عـظائم الأمـور التي انعم الله بهـا على السلطان وأهـل الاسلام . .

وذلك لأنّ هؤلاء، وجنسهم، من اكابر المفسدين في أمر الدنيا والدّين، فإنَّ اعتقـادهم: ان أبَا بكـر وعمر وعثمـان وأهل بـدر، وبيعة الـرّضوان، وجمهـور المهاجرين والأنصار والتّابعين لهم بـإحسانٍ وأئمّـةِ الأسلام، وعلمـاؤهم، أهل المـذاهِبِ الأربعة وغيـرهم، ومشـائخ الاسـلام، وعُبّـادُهُم، وملوك الاسـلام واجنادهم وعوام المسلمين وافرادهم، كلُّ هؤلاء عندهم كفّارٌ مرتدون، اكفرُ من

(١) هذا النص يثبت ان الخلاف غير ما ذكره صاحب الخطط وانه قائم على خلاف الشيعة مع السنّة

اليهود والنَّصَارى، لأنهم مرتدون عندهم، والمرتدّ شرٌّ من الكافر الأصلي، ولهذا السبب، يقدِّمون الفرنج والتتار، على أهل القرآن والأيمان، ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد، فَعَلُوا بعسكر المسلمين مَا لَا يُحْصَى من الفساد، وارسَلُوا إلَى اهل قبرص، فملكُوا بعض السَّاحِل، وحَمَلُوا راية الصليب، وحملوا إلى قبرس من خيل المسلمين وسلاحهم واسراهم ما لا يُحصِي عدده إلَّا الله، واقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً، يبيعون فِيه المسلمين والخيلَ والسّلَاح على أهل قبرس، وفرحُوا بمجيء التَّتَار، هم وسائر أهل هـذا المذهب الملعـون مثل جِزِّين وَمَا حواليها، وجبل عاملة ونواحِيه[1] ولمَّا خرجت العساكر الاسلامية من الديار المصرية. ظهر فيهم من الخزي والنَّكال ما عرفه النَّاس منهم، ولمَّا نَصَرَ الله الأسلام النصرة العظمي عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعَزاء، كلُّ هـذا واعظم منه عند هذه الطَّائفة التي كانت من اعظم الأسباب، وخروج جنكيز خَانَ إلى بِلَاد الاسلام، وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومِهِ إلى حلب، وفي نهب الصَّالحية، وغير ذلك من أنواع العداوة للاسلام واهله، لأن عندهم ان كلّ من لم يوافقهم عَلَى ضلالهم فهو كافر مرتد، ومَن استحلَّ الفقاع فهو عندهم كافر مرتد، ومن مسح الخفين فهو عندهم كافِرٌ مرتد، ومن حرَّم المتعة فهو عندهم كافِرٌ، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو كافر، وهذا المنتظر صبي عمره سنتان، أو ثلاث، أو خمس، يزعمون انَّه دَخَلَ السرداب بسامرا منذ أكثر من اربعماية سنة، وهو يعلم كلَّ شيء، وهو حجة الله على أهل الأرض، فمن لم يؤمن به فهو كافر وهو شيءٌ لا حقيقة له، ولم يكن في هذا الوجود قط[2] وعندهم من قال: الله يُرى في الآخرة فهو كافر، ومن قال: انّ الله تكلَّم بالقرآن

---

(١) هذه هي مناطق الشيعة في لبنان وبذلك نؤكد ان الخلاف كان على التشيع والتسنن.

(٢) نسأل الدكتور التدمري الذي يزعم ان الخلاف بين الشيعة والسنّة في لبنان هو فرعي وليس اساسي وان الخلاف بين النصيرية والشيعة هو أساسي وليس فرعي، نسأله: هل هذا الّذي ذكره ابن تيمية هو خلاف اساسي ام فرعي، وهل المقصود به العلويون ام الشيعة الامامية بسائر فرقها..

حقيقةً فهو كافِرٌ، ومن قال: إنَّ الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمَنَ بالقضاء والقدرِ، وقال: انّ الله يهدي من يشاء، ويضـلُّ من يشاء، وان الله يقلب قلوب عباده، وانّ الله خالق كل شيء، فهو عندهم كافر، وعندهم: أنَّ من آمن بحقيقة اسماء الله وصفاتِهِ التي اخبر عنها الله في كتابه، وعلى لسانِ رسولِهِ، فهو عندهم كافر.

هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم مثل (بني العود) فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الَّذِين كَانُوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويفتونهم بهذه الأمور، وقد حَصَلَ بأيدي المسلمين عدة من كتبهم تصنيف (ابن العود) وغيره، وفيها هَذَا واعظم منه، وهم الَّذِين اعترفوا لنا بأنّهم الّذين علموهم وامروهم، ولكنَّهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم، وهَكَذَا كان عادةُ هؤلاء الجبلية، فإنما اقامـوا بجبلهم لما كـانُوا يـظهرونـه من النّفاق، ويبذلون من البرطيل لمن يقصدهم، والمكان الَّذِي لهم في غاية الصعوبة، ذكر ذلـك أهل الخبـرة انّهم لم يروا مثله، ولهـذا كثر فسـادهم، فقتلُوا من النفوس واخذوا من الأموال ما لا يعلمه إلاَّ الله، إلى ان قال:

وهؤلاء القوم كانُوا اقلّ صلاة وَصِياماً، ولم نجد في جبلهم مصحَفاً وَلاَ فيهم قَارِيءٌ للقرآن، وانّمَا عندهم عقائدهم التي خـالَفُوا فيها الكتاب والسنّة، واستحلُّوا بِهَا دماء المسلمين..

ثم قال:

وهؤلاء خرجُوا عن شريعة رسول الله، وسنَّتِهِ، وهم شرٌّ من التَتَار من وجوه متعددة، لكن التَّتَار أكثر وأقوى، فلذلك تظهر كثرة شَرّهم، وكثيرٌ من فساد التتر، فهو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن غازَان، وهولاكو وغيـرهما، وأيضـاً فإنهم اخذوا من أموال المسلمين اضعاف مَا اخذ من أمـوالهم وارضهم فـيءً لبيت المال، وقد قال كثيرٌ من السّلف: أنَّ الرافضة لا حق لهم في الفيء، لأن رسول الله، انما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار..

ثم قال في جواز قطع الشجر وتخريب البيوت[1]:

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر عند الحاجة اليه فليس ذلك بأولى من قتل النفوس..

الغاية من قطع الشجر، اليأس من الاقامة. فإن القوم لَمْ يحصر كلّهم من الأماكن التي اختفوا فيها، ولم ييأسوا من المقام في الجبل إلاّ حين قطعت الأشجار، وإلاّ كانُوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما امكن ان يسكن الجبل غيرهم، لأن التركمان انّما قصدهم الرعيّ، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلاّحين لا يتركون عمارة أرضهم ويجيئون اليه..

ثم قال:

وأيضاً فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق، ما يرفَعُ الله به درجات السلطان ويعزّ به أهل الايمان.

ثم قال في تمام هذا الفتح:

تمام هذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان لحسم مادَّةِ أهلِ الفَسَاد واقامة الشريعة في البلاد، فإن هؤلاء القوم، لهم من المشائخ والأخوان في قرىً كثيرة من يقتدون بهم، وينتصرون لهم، وفي قلوبهم غِلّ عظيم وابطال معاداة شديدة، لا يؤمنون مَعَها على ما يمكنهم، ولو انه مباطنــة العدو، فإذا امسك رؤوسهم الذين يضلّونهم مثل (بني العود) زال بذلك من الشر مَا لا يعلمه إلاّ الله، ويتقدم إلى قراهم، وهي قُرى متعدّدة بأعمالِ دمشق وصَفَد وحمص وحماه وحلب بأن

---

(١) ان ابن تيمية بهذه الفتوى يطبق شريعة اليهود: فاليهود يقولون: بأنه امرٌ من ربهم (يهوة) أمرهم اذا فتحوا بلداً، لا يكتفون بالتسلط عليه، بل يقتلون محاربيه ولو كانوا مدافعين لا مهاجمين وان يستأصلوا كل نسائه وأطفاله وشيوخه، ثم جميع غنمه وحميره، وسائر حيواناته، فإذا بلغوا به غاية التقطيع والنكال احرقوا المباني والقصور فتصير انقاضاً ويباباً (بروتوكولات حكماء صهيون).

يقام فيهم شرائع الإسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذنون كسائر قرى المسلمين، وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية، وتنشر فيهم التّعاليم الإسلامية، ويعاقب من عرف منه البدعة والنفاق، بما توجبُه شريعة الإسلام، فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم، قالوا: نحن قومٌ جهَّال، وهؤلاء كانوا يعلمونا، ويقولون لَنَا: إذا قاتلتم هؤلاءِ تكونون مجاهدين، ومن قتل منكم فهو شهيد، وفي هؤلاءِ خلقٌ كثير، لا يقرُّون بصلاةٍ، ولا صيام، وَلَا حجّ، ولا عمرةٍ، ولا يحرمُونَ الدَّمَ، والميتة، ولحم الخنزير، وَلَا يؤمنونَ بالجنَّةِ والنَّار، من جنس الاسماعيلية والنصيرية، والحاكمية، والباطنية، وهم كفَّارٌ، اكفر من اليهود والنَّصارى بأجماع المسلِمين، فتقدم المراسيم السلطانية باقامَةِ شعائر الاسلام من الجمعة والجماعة، وقراءة القرآن، وتبليغ احاديث النبي (ص) في قرى هؤلاءِ من أعظم مصالح الاسلام، وابلغ الجهاد في سبِيل الله).



تعقيبنا
حول هذه الفتوى

يكتنف الغموض مقاصد هذه الفتوى، ويحار القارىء في معرفةِ من هُمُ المقصودون بها، لأن المفهوم السائد عند النَّاس ان النصيرية العلويين هم المعنيون بها، في حين أن المتمعِّن في قراءتها يراها أولاً فأولاً تركِّزُ على الشيعة الأمامية وعلى شيوخها بني العود وفيها من السخرية بالإمام الثاني عشر ومن الإعتقاد به ما لا يخفى على أحد.

وفي مقاطعها الأخيرة تعريضٌ بالإسماعيلية، والنصيريَّة، والحاكمية (الدروز).

ولكن المؤرخين صرفوا النَّظر عن كل تلك الفرق وحصروا غايتها في العلويين النصيرية، وتغافَلُوا عن كل ما سواهم.

إنَّ في هذه الرسالة الَتي يبارك فيها ابن تيمية أعمال السلطان النَاصر منطق ولغة كُنَّا نتمنَّى ان يعف قلمُهُ عنها، وكُنَّا نتمنَّى عليه أن يأخذ من القرآن ما يتفق مع مصلحة الإسلام والمسلمين، وان يتقيد بمنطق الأية القرآنية القائلة: (ادعُ إلى سبيل رَبِّك بالحكمة والموعظة الحسنة) وان يعلم: أنَّ الله خاطب رسوله الكريم بقوله: (لو كنت فَظًّا غليظ القلب لا نفضُّوا من حولك) فإذا كان هذا حال الرسول الَّذِي خاطبه الله سبحانه بقوله (اصدع بما تُؤمر) فكيف حال من هو قابِلٌ للغَضَب، كما هو قابِلٌ للرضا.

ان منطق التحريض للقتل، والتخريب واسباغ صفة الشرعية عليه ليكون القاتل في مأمَنٍ من غضب الله في مخالفة شريعته، لا يكسبه صفة الشرعية، ويظلُّ العمل به امراً منكراً عند الإنسان الَّذِي كرّمه الله، وإذا كان ينعي على الَّذين يهاجمهم بهذه الرسالة انّهم لا يقولون: ان الله يهدي من يشاء، ويضِلُّ من يشاء، فلماذا هو لم يترك ذلك لله؟!!

ومن قال لشيخ الإسلام: ان الإسلام ينحصر في المذاهب الأربعة، أو في واحد منها، وانَّ كلَّ من يتعبَّد الله بغير ذلك فهو كافِرٌ. ومتى كان أصحاب المذاهب الأربعة خيرٌ من عليّ وجعفر، ولماذا يصح الأخذ عنهم ولا يصحُّ

الأخذ عن سواهم وكلهم يستقون من منبع واحد القرآن والحديث . .

من قال له ذلك ومن علّمه ذلك ، اليس الإسلام والقرآن والرسول والصحابة والتّابعون كلّهم جاؤا قبل أصحاب هذه المذاهب وقبل تحديد هذه المذاهب ، ولم يَضعُوا نَصّاً على وجوبِ اتباع هذه المذاهب دون غيرها؟

وإذا كان أصحاب هذه المذاهب كلّهم مصيبين ، فلماذا بقيت اربعةً؟ ولماذا لم تجتمع في واحِدٍ منها وتلغي البقيّة ، كما جرى الحال بالمصَاحف في عهد عثمان ، حيث الغيت جميع نسخ القرآن وبقيت نسخة واحدة هي مصحف عثمان ، ولم يعترض على ذلك أحدٌ من المسلمين ، وبقي مصحف عثمان هو المتداول بين ايدي المسلمين بدون أيّة ضجّةٍ أو خلاف .

وَهكذا كان يجب ان يتفق علماء الإسلام وفقهاؤهم ومجتهدوهم على مذهب واحد ينضمُّ تحت لوائه جميع المسلمين ولو فعلوا ذلك لكان ذلك احجى واصوب ولحالُوا بين هَذَا التشتيت والتمزيق بسبب الفقه والاجتهاد وبين جميع طوائف المسلمين .

وفي يقيني لو عالج شيخ الإسلام أمور الكسروانيين بغير هَذَا المنطق المصبوغ بالدم ، والمتعطش للقتل والتخريب ، ورُؤية الأحياء امواتاً ، والعمران خراباً ، والأخضر يابساً ، والجموع اشتاتاً ، لو عالج الأمور بغير هذه النزوة الّتي تتبنّى منطق اليهود في حروبهم ، لَمَا وَجَدَ في التّاريخ من يطعن أو يزري . .

ولو اتبَع سيرة كبير الصحابة أبي بكر ووصاياه لجيوشه المحاربة ، أن لا يذبحُوا شأة إلاّ لمأكله ، وان لا يتبعُوا فارّاً ، وان لا يجهزوا على جريح ، وان لا يقطعوا شجرة . . الخ . . لكان تفادَى كثيراً من الأمور التي جعلته يتعرض لأقلام النقاد وأهلِ البصيرة . .

ولو انه عرف من يعني في رسالته هذه الى السلطان الملك النّاصر لهان علينا الأمر ، ولكن شيخ الإسلام ، على ما هو عليه من جلال القدر وسعة الإطلاع ، ومعرفة لطوائف المسلمين ، يجعلك تحار في تحديد المقصود في

تهجمه ورسائله وفتاويه، حتى ليكاد يقول كلّهم اعداؤنا فليقتلهم السلطان. .

نراه يسمِّي النصيرية، ويتحدث عن المتاولة والدروز والإسماعيلية، والقرامطة. .

ويسمِّي النصيرية وينقضّ على الشيعة الأمامية بمعتقداتها وبأقوالها، وبأئِمتها، حتى وبإنكار وجود الإمام الغائب، ويعتبر ان ذلك ضرباً من الوهم، ويسمّيهم أصحابَ المذهب الملعون، وحتى لا يتوهم القارىء انه لا يقصد الشيعة، فقد اشار إلى مواطنهم في (جزّين) و (جبل عاملة) ونواحيه، ممَّا لا يدع مجالاً للشك، ولا تخيُّلاً للريبة. .

ووصفهم فقال:

(وهؤلاء القوم كانُوا أقلَّ صلاة وصِيّاماً، ولم نجد في جبلهم مُصْحَفاً، ولا فيهم قارىء للقرآن، وانّما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنّة واستحلُّوا بها دماء المسلمين).

واعتقد أنَّ جماهير المسلمين اصبحت تدرك ان هَذَا القول فيه الكثير من المبالغات المفتعلة، لأن العلويين أو النصيرية، اولئك الذين يصفهم شيخ الإسلام بهذا الوصف قد تكون خليت بيوتهم من كل شيء إلاَّ من القرآن الكريم وانهم تهاونُوا إلاَّ بقداسة القرآن، فقد بقي وحده هو وسيلة التديُّن عندمَا فرضت عليهم العزلة.

ويرى شيخ الإسلام بصراحته المعهودة أنَّ هؤلاء ـ واظنه يشير إلى العلويين وكلِّ طوائف الشيعة ـ خرجُوا عن شريعة رسول الله وسنته. وهم شرٌّ من التّتار من وجوهٍ متعددة، من هذه الوجوه ان التّتار اكثر وأقوى.

وبعد هذا التصنيف ينصرفُ إلى حقِّهم في الفيىء، فأسند إلى السَّلَف انهم قالوا: (ان الرافضة لا حق لهم في الفيىء) لأن الله جعله للمهاجرين والأنصار. وبذلك الإسناد يكون حرمهم من الفيىء. .

وهنا لابد من الإشارة ان كلمـة (الرافضـة) لا تعني العلويين فحسب وانما تعني كل الشيعة، وسبق لنا تعريف هذه التسمية وأسبابها فيما مرّ. .

هذا فيما يتعلق بالأشخاص. . أمّا في قطع الشجر وتخريب العامر فقد جاء في فتواه: ليس قطع الشجر وتخريب العامر، بأولى من قتل النفس واضاف الى هـذه الحجة حجـة أخرى فقـال: حتى لا يبقى للقوم أمـلٌ في الإقامـة ولا مـا يحملهم على البقاء في تلك الأماكن. .

جاءَت هذه الفقرة من الفتوى بتبرير قطع الأشجار لتبقى الأرض مراعيَ فقط لقبيلة التركمان التي استوردوهَا للحلول محل السُكان المبادين. .

وأضاف: ان نتائج هَذَا العمل في جِبال كسروان يمتد اثرهَا على كلٍّ اهل البـدع. والنفاق، بـالشام، ومصـر، والحجـاز، واليمن، والعـراق، ومن هـذا نستشف ان المقصود بهذا الكلام، هم الشيعة الأمامية لأنهم هم المنتشرون في تلك الأصقاع، وليس النصيرية. .

كلُّ هَذَا يفرغ مَزَاعم الدكتور التدمري من محتواهَا، ويجعل مقولة الخلاف الفرعي بين الشيعة الأمامية في لبنان وأهل السنّة شيئاً أساسيّاً وليس فرعيّاً.



آخر الاقتراحات في الفتوى

وَهُنَا ننتهي في آخر هذه الرسالة إلى اقتراحاته الفريدة، هذه الاقتراحات الّتي لا تريد للفتنةِ انتهاء ولا للظّلْمِ حدّاً فقال: هؤلاء القوم، لهم من المشائخ والاخوان في قُرىً كثيرة (انظر إلى عبارة قرى كثيرة فإنها تشير إلى كثافة قراهم في تلك المنطقة) من يقتدون بهم، وينتصرون، وفي قلوبهم غلّ عظيم، وابطال معاداة شديدة لا يؤمنون مَعَها عَلَى ما يمكنهم، ولو انه مباطنة العدوّ، فإذا امسك رؤوسهم الذِين يضلونهم مثل (بني العود) زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلاَّ الله، ويتقدم الى قراهم، وهي قرى متعدّدة بأعمالِ دمشق، وصفد وحمص وحماة وحلب بأن يقام فيهم شرائع الاسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذنون، كَسَائر قرى المسلمين، إلى آخر ما ورد في تمام فصل رسالته للسلطان. إلى ان يقول في وصفهم، وفي هؤلاءء خلقٌ كثيرٌ، لا يقرُّون بصلاة ولا صيامٍ ولا حج ولا عمرة، ولا يحرمون الدَّم والميتة ولحم الخنزير ولا يؤمنونَ بالجنَّةِ والنَّار من جنس الإسماعيلية والنصيرية والحاكمية والباطنية، وإذا عرفنا ان (الحاكمية) هم الدروز فمن هم (الباطنية) يا ترى..

ويقرر مصارحاً بحق هذه الطوائف المذكورة، فيقول: وهم كفَّارٌ، اكفر من اليهود والنَّصَارى بإجماع المسلمين، فتقدم المراسيم السلطانية باقامة الجمعة والجماعة، وقراءة القرآن وتبليغ الأحاديث النبوية..

هذا مجمل اقتراحاته، بقي ان نعلم، كيف حصل هَذَا الإجماع واين؟ ومن هم المجمعون على ذلك غيره من المسلمين، ومن حقِّنا ان نتساءل؟ من هم هؤلاء القوم؟ إذا لم يكونوا الشيعة الامامية، بحيث جعلهم من جنس الإسماعيلية والنصيرية والحاكمية والباطنية.

إن ذكر النصيرية هُنَا، بالإضافة الى فرقةٍ اخرى، جعلنا نفهم ان المقصود بهذا القول غيرهم، وان كانوا حملُوا نصيباً أوفر من هذه الرسالة..

وعييت ان اعرف من هم (بني العود) اولئك الشيوخ الذين بالَغَ في خطرهم، واعتبرهم رؤوساً للشر، فإذا ازيلُوا ازيل شرٌّ كبير، وافاض بالتحريض

عليهم، ودَعَا للتخلّص منهم بالتصفية الجسدية..

يقول صاحب الفتوى، انه اطَّلَع على كتبهم، وهم الذين كانُوا يفتون لأبناء تلك القرى بقتال المسلمين كما اعترف له بذلك ابناء تلك القرى، ولكن حتى هذا التَّاريخ لم نسمع بهذه العائلة ولم نعرف لها اثراً، ولم نقرأ لأحد منهم كتاباً خاصّاً كان أو عَاماً ولا علاقة للعلويين بها من قريبٍ أو بعيد سواء في لبنان أو في سورية إلاَّ انا أثناء تحرياتنا الخاصة عثرنا في الجزء الرابع من كتاب الغدير للسيد الأميني على قصيدة طويلة تربو على المئة بيت من الشعر موضوعها احتجاج على التَّاريخ الَّذي ينكر حق الأئمَّة في التقدم على غيرهم، وعلى خلافات شرعية وفقهية أخرى مطلعها: (متى يشتفي من لاعج الشوقِ مغرم) وهي قصيدة جميلة وجيدة الصياغة وقوية الحجة، وهي لشاعر يدعى الربيب أبو المعالي، سالم بن علي بن سلمان بن علي (المعروف بابن العود).

فهل هَذَا الشاعر من أسرة (بني العود) الَّذين تصدى لهم بعنف ابن تيمية في رسائله؟ وطلب القضاء عليهم حتى يقضي على بقية سكّان جبل كسروان وجبال الضنّيه.

ولكن هذا الشاعر لم يذكر صاحب الغدير أنّه من لبنان، بل ذكر أنه من بلدة النيل، على نهر النيل المستمدّ من الفرات الممتد نحو الشرق الجنوبي، وكانت ولادته بها سنة ٤٧٨ هجرية، وأقام بواسط مدة من الزمن.

ويقول صاحب الغدير أنه لم يقف على سنة وفاته، إلاّ من رواية عماد الدين الأصفهاني له سنة ٥٥٤ المذكورة بل لا أراه جاوز سنة ٥٥٨ هجرية، فانّها تجعل عمره ٨٠ سنة وذلك من نوادر الأعمار في هذه الديار.

ويذكر صاحب الغدير، أنّ مُحبّ الدين محمد المعروف بابن النجار البغدادي يقول في ترجمة ابن العودي أنه كان رافضيّاً خَبيثاً يهجو الصحابة.

ولعلّ هذه العبارة من محبّ الدين الخطيب هي التي جعلت ابن تيمية يضمّ بني العود إلى قائمة النصيرية، ويصبّ جام غضبه عليهم وأصبح معروفاً عند

كثير من المؤرخين أن ابن تيمية كان يتخبط في معرفة الفرق الباطنية فينسب إلى طائفة ما هو عند غيرها.

ونعود ـ ونحن نبحث عن تاريخ بني العود ـ لنقول: هل حصدتهم جميعاً يد الفتنة حتى لم تبقِ منهم أحداً، وقضت على كتبهم أيضاً كما قضت عليهم، هذا ما يمكن أن يكون قد حدث.

جاء على لسان بعض من كتب في هذا العصر أن مراسلات حصلت بين شخصٍ يسمّى (العودي) من إخواننا (المتاولة) في لبنان وبين أحد شيوخ النصيرية المقيمين بجوار مصياف. ولكن لم نجد ولم نعثر في الكتب المعتمدة على ما يؤيّد ذلك.

بقي أن نستوضح الايماآت التّاريخيّة التي يفهم منها وجود ابن تيمية على رأس الحملة العسكرية التي غزت كسروان، وقامت بالفتح الكبير الّذي أُعجب به الشيخ الزملكاني وابن تيمية واعتبروه أعظم من فتح القسطنطينية على يد محمد الخامس وأعظم من فتح القدس على يد صلاح الدين.

لقد بقيت هذه الرواية موضِعاً للإنكار والتصديق، لأن الأقوال فيها غير واضحة، ونحن نودّ ان نتثبت من هذه الواقعة من صاحب الفتوى ومن أقوال المؤرخين..

إنَّ صاحب الفتوى قال ـ وهو يصف الجبال المفتوحة ـ (والجبال الّذِي لهم بغاية الصعوبة، ذكر ذلك أهل الخبرة)..

وما من شك ان اعتماد ابن تيمية على رواية أهل الخبرة معناه انه لم يعتمد على خبرته هو،لأنه لم يختبر ولم يشاهد بنفسه وهذا يجعلنا نتحفظ في قبول رواية صاحب خطط الشام الذي يقول: ان ابن تيمية حضر مع عسكر النائب اقوش الى جبال كسروان، ونتحفظ أيضاً في قبول رواية (السلوك) و (نهاية الأرب)..

غير ان تاريخ ابي الفداء (المختصر) يشير الى ذلك بشيءٍ يحمل على

الأخذ به لأنّ عهدهُ قريباً من عهد ابن تيمية، فهو يقول في حوادث سنة ٧٤٩ هجرية: إنَّ قاضي القضاة، نور الدين، محمد بن الصَّائغ توفي بحلب، وكان رحمه الله من اكبر اصحاب ابن تيمية، وكان حامل رايته في واقعة الكسروان المشهورة).

فهل يستفاد من هذه العبارة عبارة (وكان حامل رايته في واقعة الكسروان المشهورة) انَّ ابن تيمية كان على رأس المحاربين؟ ام أن قاضي القضاة المذكور كان منفِّذاً لفكرة ابن تيمية في تلك الواقعة فقط هَذَا ما لم يتوضَّح في اذهانِنَا بعد، ولم ينجل صراحة في رسائل ابن تيمية وتبقى عبارته: (هم الّذين اعترفوا لَنَا بأنهم هم الذين علموهم وامروهم) أثناء حديثه عن (بني العود) وجماعتهم، مبهمة التفسير حيث يمكن ان يكون الذين اعترفُوا له بذلك هم الأسرى الستماية الذين اخذهم النَّائب معه إلى دمشق، قد يكون هؤلاء اعترفُوا له أثناء التحقيق معهم في دمشق، وما يمنع ابن تيمية فيما لو كان حضر فعلاً الى جبال الكسروان أن يشير إلى ذلك في رسائله الى الملك الناصر.

هذا ـ وفي معرض ما اشار اليه من التحليل والتحريم عند القوم، فإنّنا نقول بجرأة من هو على ثقةٍ مِمَّا يقول: انه لا يوجد في كلِّ طوائف المسلمين من سنّة وشيعة، من يستحل الميتة والدَّمَ ولحم الخنزير، ولا من يجوز وصفُهُ بهذه الصفات التي عددها صاحب الفتاوى في رسالته، واعتقد انه اصبح واضِحاً في هذه الأيَّام ان الطوائف التي ذكرها من اسماعيلية ونصيرية وحاكمية وباطنية، اصبح واضحاً انها بريئةً من هذه التُّهم، وتستطيع ان تتمثل بقول الشاعر:

صبرنا وفي الصَّبْرِ النَّجاحُ وربَّما ... تعجَّلَ ذو رَاي فأخَطا ولم يُصِبَ

ومما تجدر الاشارة اليه للعبرة والتَّاريخ، ان تقي الدين ابن تيمية صاحب الفتاوى، استدعي في نفس السنَةَ التي حدثت فيها واقعة كسروان وهي سنة ٧٠٥هـ من دمشق إلى مصر، واودعَ رهن الاعتقال بسبب عقيدته فإنه كان يقول بالتجسيم، عَلَى مَا هو

منسوبٌ إلى أحمد بن حنبل[1]. .

أورد هذا الخبر اسماعيل أبو الفداء صاحب كتاب المختصر في تاريخ البشر جزء / ٤ / صفحة ٥٢ . .

ونتساءل: هل كان استدعاؤه الى مصر فعلاً بسبب عقيدته المشار اليها؟ ام ان استدعاءه كان بسبب ما احدثت فتاويه المدمرة في جبال الكسروان، وما تركت من اثار سيئة في المسلمين، لأن مسؤولية تلك الحوادث تقع على عاتقه، لِمَا فيها من عدم التروي والحكمة. .

---

(١) جاء في كتاب «الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم» لمؤلفه صِدّيق بن حسن القنوجي المولود سنة والمتوفي سنة ١٣٠٧ هجرية الموافق ١٨٨٩ م ان صفة العلم له سبحانه قوله: (وقد احاط بكل شيءٍ علماً) وعلمه قد تعلق بكل شيءٍ من الأشياء من الجائزات والواجبات والمستحيلات، فيجب شرعاً ان يعلم ان علم الله غير متناه من حيث تعلقه، أمّا بمعنى لا ينقطع فهو واضح، وامّا بمعنى لا يصير بحيث لا يتعلق بالمعلوم فإنه يحيط بغير ما هو غير متناه كالأعداد والأشكال ونعيم الجنة فهو شامل لجميع المتصورات سواءً كانت واجبة كذاته وصفاته العليا أو مستحيلة كشريك الباري تعالى أو ممكنة كالعالم بأسره الجزئيات من ذلك والكليات على ما هي عليه من جميع ذلك وانه واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وان تعددت معلوماته وتكثرت. الكلام لابن تيمية.

رسالة أخرى
على نمط ما تقدّم

يبدو من رسائل ابن تيمية واهتمامه الكبير في حوادث الكسروان انه يعتبر النصرة فيها هي نصرة له ولعقيدته التي يدعو اليها، ولذلك نراه يكثر من الكتابة حول هذه الحوادث وما رافقها من نصرٍ مؤزر وفتح مبين هو من ورائه ومن قوادِهِ، وقليلٌ من النَّاس الَّذين ينتصرون في اية جولة في ميدانٍ من ميادين الحياة العامة والخاصة، لا يأخذهم العجب والزَّهو والبطر، وهذه المظاهر هي الخطر الأكبر على هؤلاء.

وشئنا ان نثبت هذه الرسالة التي كتبها ابن تيمية الى ابن عزّ الدين، عبد العزيز بن تيمية وهو بدمشق في أول سنة ٧٠٥هـ وكي نتحاشى التطويل اقتطعنا منها ما يلي، ليدرك القراء مدى اهتمام هذا الرجل بما نتجت عنه هذه الحوادث وسروره الكبير بهذه النتائج المخزيّة، قال:

(أمَّا بعد، فقد صدق الله وعده، ونصر عبده، واعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، وحقق من قوله: (هو الَّذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً) ما اقرَّ به عيون المؤمنين، واعزَّ به دينه، الَّذي هو خير دين، واذَلَّ به الكفَّار والمنافقين، ونصر به عباده المعتصمِين بحبله المتين، على المارقين من دينه، الخارجين عن شريعته وسبيله المنسلخين من سنّة رسوله، المفارقين للسنَّةِ والجماعَة المعتاضين بشتات الجاهليَّة. عن عصمة الطَّاعة، المستبدلين مقال أهل الاسلام بقتال الكفَّار الموالين على معاداة أهل الاسلام للفرنج والتتار، المقدمين لِلَّذين كفروا، وأهل الكتاب، على خواصِّ امَّة محمد، المتتبعين لما جاء به من الكتاب والسنّة، المكفرين لجمهور المسلمين كفراً اغلظ من كفر سائر الكفَّار المنجِّسين لهم، ولما عندهم من المايعات التي لامستها الابشار المرجحين لشعر أهل الأفك والبهتان، على احاديث الرسول التي اتفق على قبولها أهل العرفان، المستحلين لدماء المسلمين واموالهم المتعبدين بقتلهم وقتالهم، المكذِّبين بحقائق اسماء الله وصفاته، المنكرين ان يراه المؤمنون بأبصارهم في جَنَّاتِهِ، المكذِّبين بحقائق كلماته، وآياته المشبهين له بالمعدوم والموات، من انه لم يتكلم بكلام قائم به

وانما خلقه في المصنوعات الجاحدين لأن يكون الله فوق السموات، المنكرين لقضائه وقدره في بلاده الزَّاعِمين انه لا يقدر ان يهدي ضالاً، ولا يضلُّ مهتدياً، ولا يقلِّب قلوب عباده، بل يزعمون انه يكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، وهو عاجزٌ عمَّا عليه العباد قادرون، المعادِين لأهل بيت الرسول (ص) وصحابته الطَّاعِنِين في ازواجه، وأهل قرابته، السافِكين لدماء عترته وامته في القديم والحديث، المعاونين عليهم لكلِّ عدوٍّ خبيث، الَّذِين تعجز القلوب والألسنة عن الادراك والصفة لمخازيهم، وَمَا احدثوا في هذه الأمَّة من مساوئهم ويخرج من الاجمال إلى التفصيل فيقول:

لا سيَّما هؤلاء المعتصمين بالجبال التي اتفق على صعوبتها اصنافِ الرجال لاشتمالها من القلاع والأوعار والأودية والأنهار، واصنافِ الملتف من الأشجار، والأماكن المعطشة العالية، وما لم يسلكه الخيل في العصر الخاليّة وما لا تضبط الصفات، من مَبَاعث الطرقات ما رَجَّح أهل الخبرة صعوبته على ما رأوه من الجبال الشامخات، وكانُوا كما قال الله تعالى، فيمن ضاهوه في كثير من الوجوه: (مَا ظننتم ان يخرجُوا، وظنُّوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسِبُوا، وقذف في قلوبهم الرعب. يخربُون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) وكانت قلوبهم قويَّة بهذه الأماكن المضرة، لا سيما وقد غزاهم النَّاس كما ذكر أهل الخبرة اكثر من عشرين مرَّة، ولا يرجعون عنهم إلَّا بالخيبة والخسار، حتى قصدهم المسلمون والافرنج جميعاً في سالِفِ الأعصار، فقتلوا من الفريقين من بقيت عظامهم عندهم في الديار، وقد سفكُوا من دماء الأمَّةِ المحمدية من لا يُحصِي عدده إلَّا الله، وفعلوا فيهم ما لم يفعله أعظم النَّاس معاداة واخذوا من الأموال مَا لَا يقوم ببعضه ثمنُ ما في الجبال، واستحلُّوا من الفروج وقتل الأطفال، وفرط الانتقام والاستحلال، ما يتبينُ منه انَّهم شرٌّ من التَّتار بطبقات واطوار فأعزَّ الله دينه وجنده بفتح بلادهم واجلائهم عنها بالذل والصَّغَار (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار، ذلك بأنهم شاقُّوا الله ورسوله، ومن يشاقي الله فإن الله شديد

العقاب) وذلك بعد ان قتل الله منهم من لم يُحصَ عدده إلى الآن، وذَلَّ جماهيرهم، وطلبُوا الدخول في الأمان فأومِنُوا على ان ينزلوا إلى بلاد الاسلام، ويقومُوا بالواجبات، التي تجب على الأنام، ويلتزموا حكم الله ورسوله الشاهد به كتابه وسنّةُ رسوله، ويكونُوا من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، ومن خرج عن ذلك، أو عن شيءٍ منه، فقد برئت منه الذمة التي حصلت من أهل السنّة اليهم، وفُرِّقوا في البلاد بين أهل السنّة والجماعة بحيث لا يكون لأهل البدعة اجتماع على خلافِ الطّاعة، وخرِّبت واحرقت مساكنهم والدّيار، وقطعت زروعهم والأشجار من العنب الكثير، والتوت الغزير والجوز واللوز وغير ذلك، وكان ذلك بإذن الله من ابلغ المسالك آيسهم من سكني الجبال، واوجب أن استيأس من كان تخلّف راجياً لحسن الحال، واخزى الله الفاسقين، وقطع دابر القوم الذين ظَلَمُوا والحمد لله رب العالمين، واتبع في ذلك ما فعله رسول الله (ص) ببني النضير اذ كان بين هؤلاء وبينهم شبهٌ كبير، حيث يقول الله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموهَا قائمة على اصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) وقد ثبت في الصحاح، أنَّ النبي (ص) قَطَّع نخل بني النضير وحرق.

وسطّر هذا الكتاب ليلة الاثنين سلخ المحرم وغرة صفر وعامّة بلدهم قد دثر، واستأمن عامّة من فيه من البشر، وخرب الجرد والكسروان ودخل في خبر كان. ثم قال مزهوّاً:

وكان هذا فتحاً أقام الله به عمود الدين، وقمع به طوائف أهل البدع المنافقين من جميع الأجناس والأصناف في جميع النواحي والأطراف، يسير فيه بسيرة الخلفاء الراشدين الثابتة بالكتاب وسنّة سيد المرسلين..

ـ اعتذار ـ

ثم يعتذر انه كتب هذا الكتاب عجلان بالليل لكون حامله اراد السفر بليل..

هَذا ما اردنا اقتطافه من هذه الرسالة التي افاض بها شيخ الاسلام في الحديث عن واقعة الكسروان وفي الحديث عن التفظيع في سكّان تلك الجبال،

وفي امـوالهم وزرعهم، ونراه يفيض في وصف اولئـك السُّكان وتقبيحهم إلى حدٍّ يجعلنا نتصوره ذئباً مفترساً ظفر بقطيـع كبير من النِّعـاج، ويزف كـلّ ذلك بشرى الى ابن عمه في دمشق..

وشيخ الاسلام هذا ليته ـ وقد افتى بقتل الأبرياء من النَّاس ـ لم يفتِ بقتل وقـطع الأبريـاء من الأشجار والـزروع والعنب الكثير والتـوت الغزيـر، والجوز واللوز، وتركها يستفيد منها اخوانه التركمان الَّذين اقترحَ احلالهم محل الشعب المباد الَّذي يتغنى بإبادته وقطع دابره انتصاراً لله وكأن الله عجز ان ينتصر لنفسه إلَّا عن طريقه وطريق حاملي رايته، ويفتخر صاحب الرسالة انه سار بذلك على سيرة الخلفاء الراشدين وسنّة سيد المرسلين.

بقي ان نشير الى انه يستفاد من الاعتذار في آخـر الكتاب، انـه كتبه وهـو خارج دمشق، وان حامل الكتاب اختار الليل لسفره، فمن أي مكان ارسل ابن تيمية لابن عمه في دمشق هذا الكتاب، لعله كتبه وهو في غرفة العمليات، إذا صح انه كان مع الفاتحين لأن تاريخ الكتاب أول سنة ٧٠٥ هجرية.



مَرسُوم ضَبط شـؤون طـائفـة النصـيريّة

هذا المرسوم اثبته صاحب كتاب السلوك (المقريزي) ننقله ليكون هناك ربط فيما استنتجناه من القضية العنيفة ضد هذه الطائفة كان سَبَبّها غير العصيان والخروج على الطاعة كما ورد على لسان الكثير من المؤرخين وهو يُعطينا التفسير الأقرب لمعرفة اسباب الحوادث التي شوّهت وجه التّاريخ بفظائعها وجناياتها من المعتدين ومن المعتدى عليهم، وهذا المرسوم تنفيذ لما أمر به ابن تيمية . .

وهذا نص المرسوم . .

رسم السلطان. بروك المملكة الطرابلسية وَمَا اضيف اليها من الأعمال والقلاع والحصون سنة ٧١٧ هجرية الموافق /١٣١٧/ م لضبط شؤون طائفة النصيرية، ووصف أحوال هذه الطّائفة في تلك السنة . .

وقد اضافها المؤرخ التدمري الى تاريخه في الملحقات تحت عنوان ملحق رقم /٤٣/ قال:

وفي سنة سبع عشرة وسبعماية رسم السلطان بروك المملكة الطرابلسية، وما اضيف اليها من الأعمال والقلاع والحصون والثغور فكشفت النواجي ونصب لتحرير ذلك واتقانه القاضي شرف الدين يعقوب ناظر المملكة الحلبيه، فحضر الى طرابلس، حسب الأمر الشريف، وانتصب لتحرير ذلك وفي خدمته جماعة من الكتاب، ولم يعتمد فيه على ناظر المملكة الطرابلسية شرف الدين يعقوب الحموي . .

ولما تكامل ذلك حضر القاضي شرف الدين يعقوب ناظر المملكة الحلبية، ومعه المكتوب إلى الأبواب السلطانية، وجلس القاضي فخر الدين ناظر الجيوش، ومن معه من المباشرين، وانتصبوا لقسمة الأقطاعات وتقرير الخواص، وافراد جهات القلاع والحصُون، وكلف المملكة فكمَّل ذلك في شهر رمضان سنة ٧١٧، وتوفر بسبب هذا الروك ما اقيم عليه ستة امراء اصحاب طبلخانة ،وثلاث امراء اصحاب عشرات، وخمسون نفراً من البحرية والحلقة ورسم بأبطال جهة الأفراج والسجون، وغير ذلك بالمملكة الطرابلسية فأبطلت وجملة ذلك نحو مئة الف درهم وعشرة آلاف درهم في كلِّ سنة . .

ورسم بأن يبنى في قرى النصيرية في كلِّ قرية مسجداً، ويفرد من اراضي القرية رزقه، وتُمنع النصيرية من الخطاب.

ملاحظة: هَذَا المرسوم من انشاء القاضي كمال الدين ابن الأمير..

وبعد أن وصف ما اتصل بعلمة ما بالمملكة الطرابلسية من اثار سوء ليست في غيرهَا، قال:

ومنها: إنَّ بالأطراف القاصية[1] من هذه المملكة قُرىً سكانها يعرفون بالنصيرية لم يلج الاسلام لهم قلباً، وَلاَ خالط لهم لُبّاً، ولا اظهروا له بينهم شِعاراً، ولا اقامُوا له مَنَاراً، بل يخالفون احكامه، ويجعلون حلاله حرامهُ، ويخلطون ذبائحهم بذبائح المسلمين، ومقابرهم بمقابر اهل الدِّين، وكل ذلك مِمَّا يجب ردعهم عنهُ شرعاً، ورجوعهم فيه الى سواء السبيل اصلاً وفرعاً..

وبعد أنْ عدد ما ابطله بالمملكة الطرابلسية في هذا المرسوم عاد إلى النصيرية الَّذين شملهم هَذَا المرسوم، فقال:

وكذلك رسمنا أيضاً بمنع النصيرية المذكورين من الخطاب، وانْ لا يمكَّنُوا بعد مرسومنا هَذَا من الخطاب حملة كافية، وتؤخذ الشهادة على اكابرهم، ومشائخ قراهم بأن لا يعود أحدٌ إلى التظاهر بالخطاب، ومن تظاهر قوبل اشدَّ مقابلة..

هَذَا مجمل ما تضمنه هَذَا المرسوم والغريب انه فرض على العلويين وحدهم ولم يفرض على غيرهم من الطوائف الباطنية مثله ورحم الله الشاعر:

(ليس يرضى بغير ذامنكَ سُلْطَانُكَ فأشدُد فإن رفقك عار)..

(١) يحتمل ان تكون الأطراف القاصية من المملكة الطرابلسية، هي منطقة جرود صافيتا الآن، وقراهَا هي المعنية بهذا الكلام، وهناك في تلك القرى طُلِبَ من شيخها الشيخ (مسلَّم البيضا) تنفيذ هذه الاقتراحات ومرسوم السلطان بذلك، حيث استدعي الى طرابلس وابلغ ذلك وقد اشار إلى ذلك الشيخ علي بن منصور شاعر ذلك الجبل بقصيدة جميلة معروفة في تلك الأوساط.



وأخيرًا سقط القناع
واصفرّت الوجوه

كانت رسالة ابن تيمية للسلطان النّاصر ولابن عمه عزّ الدين بن تيمية بمثابة تمهيد لما سيكون، لأنهما تتعلقان بوصف الحوادث وأسبابها ودواعيها والبواعث اليها..

أمَّا الفتوى ذات الوقار الشرعي فقد جاءت بناءً على سؤال ويأبى صاحب تاريخ طرابلس إلّا ان يحلي بها تاريخه وإلّا ان يتبنى موقف ابن تيمية ضد طائفة لم تسيء اليه..

قال التدمري:

وقد كانت كتبت فتيا في أمرِ النصيرية، وتضمنت اعتقادهم وَمَا هم عليه، وأجاب عن ذلك الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقد رأينا ان نذكر نص الفتيا والجواب في هذا الموضوع لما في ذلك من بيان ما تعتقده هذه الطّائفة الملعونة (انظر هذا المؤرخ الذي يجيز لنفسه هذه العبارة في هذا العصر) والذي كتب هذه الفتيا التي تذكر، شهاب الدين أحمد بن محمود بن ميري الشافِعِي، ونسختها بعد البسملة..

نصّ السؤال:

ما تقول العلماء ائمَّته الدِّين، رضي الله عنهم اجمعين واعانهم على اظهار الحقِّ المبين، واهمال شغب المبطلين في النصيرية القائلين، باستحلال الخمرة، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم وانكار البعث والنشور، والجنّة والنّار في غير الحياة الدنيا، وبأن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة اشخاص وهي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها. وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رَجَلاً، وثلاثين امرأة يعدُّونهم في كتبهم، ويضيق هذا الموضع عن ايرادهم وبأن الههم الَّذي خلق السموات والأرض، هو علي بن ابي طالب (رضه) فهو عندهم الاله في السماء، والأمام في الأرض، وكانت الحكمة في ظهور اللاّهوت بهذا النّاسوت على رأيهم انه يؤنس خلقه

وعبيده ويعلمهم كيف يعبدونه ويعرفونه، وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيرياً مؤمناً، يجالسونه، ويشربون معه الخمر ويطلعونه على اسرارهم، ويزوّجونه من نسائهم حتى يخاطبُهُ معلمُهُ، وحقيقة الخطاب عندهم، انهم يحلفونَهُ على كتمان دينه ومعرفة شيخه، واكابر أهل مذهبه، وعلى ان لا ينصح مسلماً، ولا غيره، إلّا من كان من أهل دينه وعلى ان يعرف ربه وإمامه في اكواره وادواره، فيعرف انتقال الأسم والمعنى في كل حينٍ وزمان، فالأسم في اوّل النّاس آدم، والمعنى شيت، والأسم يعقوب والمعنى يوسف، ويستدلون على هذه الصورة كما يزعمون، بما في القرآن العزيز حكاية عن يعقوب ويوسف (ع)، أمّا يعقوب فقد كان الأسم، فما قدر ان يتعدى منزلته، فقال: (سوف استغفر لكم ربي) وامّا يوسف، فإنه كان المعنى المطلوب فقال: (لا تثريب عليكم اليوم) فلم يعلق الأمر بغيره لأنه علم انه هو الاله المتصرف، ويجعلون موسى هو الأسم ويوشع هو المعنى، ويقولون: يوشع رُدَّت له الشمس لَمَّا امرها، فأطاعت امره، وهل تُردّ الشمس إلّا لربها، ويجعلون سليمان هو الأسم، واصف هو المعنى، ويقولون: سليمان عجز عن احضار عرش بلقيس، وقدر عليه آصف، لأن سليمان كان الصورة، وآصف كان المعنى القادر المقتدر، وقد قال قائلهم:

هابيلُ شيتٌ يوسف يوشعٌ آصف شمعون الصَّفَا حَيْدَرُ ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً واحداً على هذا النمط إلى زَمَنِ رسول الله (ص)، فيقولون: محمد هو الاسم، وعليٌّ هو المعنى، ويوصلُون العدد على هَذَا الترتيب في كل زمان إلى وقتنا هَذَا، فمن حقيقة الخطاب والدين عندهم، ان يُعلم أن علياً هو الربّ وان محمَّداً هو الحجاب، وان سلمان هو الباب..

وانشدنا بعض اكابر فضلائهم لنفسه في شهور سنة سبعماية فقال[1].

---

(١) يعني ان هذا الإنشاد جرى قبل حوادث الكسروان بسنتين أو ثلاثة وقد تكون هذه الحادثة هي التي اثارت شيخ الاسلام.

اشـهَـدُ أن لاَ إلَـهَ إلاَّ	حـيـدرَةُ الأنـزعُ الـبـطيـن
ولا حـجـابُ عَـلَيْـهِ إلاَّ	مـحـمَّـد الـصَّـادِقُ الأمـيـن
ولا طـريـقٌ إلَـيْـه إلاَّ	سلمـان ذو الـقـوَّةِ الـمـتـيـن

ويقولون: ان ذلك على هَذَا الترتيب لم يزل ولا يزال، وكذلك الخمسةُ الأيتام، والأثني عشر نقيباً، واسماؤهم مشهورة عندهم في كتبهم الخبيثة، فإنهم لا يزالون يظهرون مع الربّ والحجاب والباب في كُل كورٍ ودورٍ أبداً سرمداً على الدوام والاستمرار، ويقولون: ان ابليس الأبالسة هو عمر بن الخطَّاب (رضي) وتلاه في رتبة الأبليسية أبو بكر، ثم عثمان رضي الله عنهم اجمعِين وشرَّفهم واعلا رتبتهم على أقوال الملحدين، وانتحالِ أقوالِ الغالين والمفسدِين، فلا يزالون موجودين في كلِّ وقت دائماً حسب ما ذكر مِنَ الترتيب، ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ترجعُ الى هذه الأصول المذكورة. . .

وهذه الطَّائفة الملعونة، استولت على جانب كبير من بلاد الشام[1] فهم معروفون مشهورون، يتظاهرون بهذا المذهب، وقد حقق أحوالهم كلُّ من خالطهم، وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم، ومن عامَّةِ المسلمين أيضاً في هَذَا الزّمان، لأن احوالهم كانت مستورة عن أكثر النَاس وتحت استيلاء الفرنج على البلاد الساحلية، فلمَّا صارت هذه البلاد الساحلية بلاد الاسلام، انكشف حالهم وظهر ضلالهم، والابتلاء بهم كثيرٌ جدّاً، فهل يجوز للمسلمين ان يزوِّجوهم أو يتزوَّجُوا منهم، أو يحل اكل ذبائحهم والحالة هذه ام لاَ!! وما حكم الجبن المعمول من انفحة ذبيحتهم، وما حكم اوانيهم وَمَلاَبسهم، وهل يجوز دفنهم بين المسلمين؟ ام لا؟ وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين، وتسليمها اليهم، أو يجب على ولي الأمر قطعهم أو لم يقطعهم، هل يجوز له

(١) كلمة (استيلاء) لها دلالة خاصة، فكيف كان هذا الاستيلاء وفي اي جانب من جوانب بلاد الشام حصل؟.

صرف أموال بيت المال عليهم، وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة واموالهم حلال؟ ام لا؟! واذا جاهدهم وليّ الأمر ايّده الله تعالى بأبطال باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين وتحذير أهل المسلمين من مناكحهم، واكل ذبائحهم، وامرهم بالصوم والصلاة،ومنعهم من اظهار دينهم الباطل، وهم يلونه من الكفّار، هل ذلك افضل واكثر اجراً من التصدّي والترصّد لقتال التتر في بلادهم وهجم بلاد سيس وديار الفرنج على أهلها! ام هذا افضل. وهل يعدُّ مجاهِدُه النصيرية المذكورين مرابطاً ويكون اجره كأجر المرابط في الثغور عَلَى ساحِلِ البحر خشية قصد الفرنج؟ ام هذا اكثر اجراً، وهل يجب عَلَى من عرف المذكورين ومذاهبهم ان يشهر امرهم ويساعد على ابطالِ بَاطلهم، واظهار الاسلام بينهم، فلعل الله تعالى ان يهدي بعضهم إلى الاسلام، وان يجعل من ذريتهم واولادهم نَاساً مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم؟ ام يجوز التغافُل والاهمال؟ وَمَا قدر اجر المجتهد على ذلك، والمجاهد فيه، والمرابط له، والغارم عليه، وليبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين، ان شاء الله تعالى، إنَه على كل شيءٍ قدير، وهو حسبُنَا ونعم الوكيل) انتهى.

ـ ملاحظات ـ

من قراءة نَصِّ هَذَا السؤال يتبين انه وُجه الى السادة العلماء ائمة الدين بدون تحديد المكان والأشخاص، أمَّا الجواب على هذا السؤال فقد تصدَّى له شخصٌ واحد، والسؤالُ محصورٌ في طائفة واحدة، أمَّا الجواب فقد شمل اكثر من الطَّائفة موضوع السؤال، أو ان المجيب كما قال صاحب تاريخ طرابلس عنه لم يحسن التفريق بين المسؤول عنهم وبين غيرهم لعدم الاطلاع..

والَّذي لا بُدَّ من ملاحظته، هو انه: لماذا انفرد ابن تيمية وحده بالجواب على هذا السؤال، وسكت عنه بقية العلماء؟ اليس يعني هَذَا أنَّ العلماء لم يتوحّد رأيهم في هَذَا الموضوع؟

ومن العجب ـ ويد الله مع الجماعة، كما هو شعار القوم ـ ان يكون

الجماعة في هذا الأمر وهم العلماء قد رفعت من بينهم يد الله، وبقيت مع الفرد الواحد، هو ابن تيمية..

والأكثر عجباً، ان يؤخذ هذا الفرد متَّهماً بسوء عقيدته ويبقى رأيه في عقائد الآخرين معمولاً به.

من يرجع إلى تاريخ اصدار فتاوى ابن تيمية والى تاريخ استدعائه إلى مصر واعتقالِهِ هناك واتهامه بفساد العقيدة، يجعلنا في موقفٍ يسمح لَنَا بالاستنتاج، أنَّ خلافاً حصل بين ابن تيمية وبين بقيَّة العلماء حول الجواب على السؤال المطروح، وان هَذَا الخلاف أدَّى ببقية العلماء إلى رفع امره للسلطان، فاتخذ بحقه الاجراء المناسب.

لم يهمل المؤرخون أمر ابن تيمية، واشاروا الى انه منع من الكتابة ومنعُوا عنه وهو في السجن ادوات الكتابة، ولكنهم لم يهمِلُوا الأخذ بأخطر ما كتب لغاية في نفس يعقوب..

إذَا كان لرأي شيخ الإسلام كلُّ هَذَا الترجيح لماذا مُنع من الكتابة؟! ولماذا حاسبوه وفصلوه عن ممارسة اختصاصاته الفقهية؟ انها أمور بقيت في معزلٍ عن المعالجة الفكرية وليست مجهولة السبب...

لم يتحدث النَّاس عن كتاب (السياسة الشرعية) لشيخ الإسلام كما تحدثُوا عن الفتيا مع انهما لا يختلفان من حيث الرأي، إلاَّ ان الكتاب موضوعٍ عام والفتيا موضوع خاص، ذاك للعمل به بين الناس وهذه لضرب فئة من النَّاس، وقد ثبت أنَّ النَّاس اكثر ميلاً الى ترويج الشر واقلُّ ميلاً الى ترويج الخير..

يتسابق أصحاب الغايات إلى تجديد نشر الفتيا، ولا يتسابقون إلى تجديد نشر كتاب السياسة الشرعية، لماذا؟ الجواب: ان هناك مآرب اخرى ليست في صالح المسلمين..

إنَّا على مثل اليقين، ان جمهور المسلمين في هذه الأيَّام، اصبح يدرك: أنَّ في هَذَا السؤال ما لا يجوز قوله على العلويين، مثل انكار البعث والنشور والجنَّة

والنَّار في غير الحياة الدنيا، فهذا قولٌ لم يرد مطلقاً في عقائد العلويين.

أمَّا خمس صلوات بخمس اشخاص فهذا من عقائد الشيعة الإمامية ومن يرجع إلى (مشارِقِ انوار اليقين) لرجب البرسي المعدود برأي الشيخ محمد رضا الحكيمي من اكابر علماء الشيعة، يدرك ذلك.

وأمَّا استحلال الخمرة، فلا يقولون بها إلاَّ مقالة الصوفية، فإذا كان شيوخ الصوفية يحللونَها، فهم يحللونها، رغم أننا نعرف جيداً انها ليست حلالاً عندهم، وان تعاطَاهَا بعضهم، كما يتعاطاهَا كثيرٌ من المسلمين مَعَ علمِه بتحريمها، بالاضافة الى انه معروف انه اختلف عند أصحاب المذاهب على نوع الخمرة المحرمة..

وأمَّا غير ذلك من تناسخ الأرواح، وقدم العالم وَمَا يضاف اليهما من اتهامات باطلة، فقد كفانا مؤونة الردّ على هذه الأقوال، الدكتور مصطفى الرافعي في كتابه (اسلامنا) فقد اجاد وافاد احسن الله إليه وأكثر في المِلَّة من امثالِه:

وممَّا لا يدخل في الحسبان، ولا ينتظر عند أصحاب الأذهَان أنَّ مؤرِّخاً في هَذَا العصر كصاحب تاريخ طرابلس يتخلى عن تهذيبه بهذه السهولة، ويتساهل مع نفسه، ويتجاهل كلَّ لياقات قلمِهِ وادبه، فيردد هذه العبارة (الطَّائفة الملعونة) وهو يعني النصيرية نحن نغفر لصاحب السؤال ايراد مثل هذه العبارة، ونغفر لصاحب الجواب ايرادَهَا لأنهما قالاهَا تحت وطأة توتر الأعصاب وفي زحمة الأحداث في ذلك الزمن، الأحداث التي ما زالت ذُيُولها تشغل التَّاريخ..

أمَّا صاحبنا التدمري، وليته تخلَّى عن قليلٍ من حنقِهِ، هذا الذي يكتب تاريخاً سياسيًّاً وحضارياً عبر العصور لبلدٍ معيَّنٍ احبه، كتبه وهو يحسو القهوة المرة ويدخن السيكار الأجنبي، وراء منضدة مريحة مالِكاً لأعصابه بعيداً عن كل ما يثير، يتخلَّى بهذه السهولة عن المرونة السياسية، ويتخلَّى بهذه السهولة عن الظاهرة الحضارية بهذا الكتاب، انه لممَّا يؤسف له..

يقتضينا المقام ان نتساءل، هل من واجب المؤرخ ان يشتم من يؤرخ لهم، وهـل يقضي الذوق الحضـاري ان يكون شتّـاماً لَعّـاناً، ولمـاذا (هذه الـطائفـة ملعونة)! لأنها تؤمنُ بالله تعالى رَبًّا وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن كتابا وبعليّ إمَـاماً، وبالحج منسكاً وبالصلاة فريضة، وبالصيام صوناً وبالزكاة طهارة.

إذا كان الايمان بهذه الأصول يوجب اللعن، فماذا بقي من المسلمين، لم اجد مؤرِّخاً قبل هَذا المؤرخ اجاز لنفسه مثل هذا. ولعله يعود فيدرك انـه اساء الى تهذيبه اكثر مِمَّا اساء إلى الآخرين..

إلى هُنَا، واكتفي بإيراد السـؤال دون ايراد الجواب، لأنَ فتيا شيخ الاسـلام ابن تيمية اصبحت معروفة على كلّ شفـةٍ ولسان، وادرك حتى صـاحب تاريـخ طرابلس المتعاطف معه مدى تخبـطه فيها، ومن الـطبيعي ان نقول ان الفتـوى جاءت متراكنة مع النص، وبأعنف ممَّا يقتضيـه الجواب، ولكن يكفينـا للدلالة على ما فيها من اراء غير سليمة، وخلط بين الطوائف والعقائد، يكفينا للدلالـة على ذلك، أنَّ جمهور المسلمين لم يأخذ بها، وان تشبَّث بها حتى الآن بعض المتزمتـين، وتبنَّاها لأثارة الشغب بعض المـوتورين..

إنَّ الوعي الاسلامي، اصبح يدرك، وبكثيرٍ من الألمعية والتعقـل أنَّ امثال هذه الفتيا، ليست في صالح المسلمين، وان المسلمين بعد ان اصبحت الحياة المشتركة بينهم وبين جيرانهم واخوانهم من مختلف الـطوائف الاسلاميـة وغير الاسـلامية، يعرفون ان الأمور غير ما نقل اليهم وغير ما كتبه المؤرخون. وَلَنَا كبير الأمل ان يتزايد عدد الأحرار من أهل الكلمة وروَّاد القلم والفكر امثال الـدكتور الرافعي، ومن حَذَا حذوه من جماعـة التقريب، وان يتنـاقص عدد المفـرقين، والممزقين باسم الإسلام وباسـم المذاهب تعصُّباً لمذهب، أو تجاوبـاً مع فتـوى املتها ظروف قلقة لا تـسمح وَلاَ تساعد على التأمُّل والتروِّي..

رحم الله الدكتور طه حسين، فقد كان رشيداً وحكيماً عندما ارشد محمود ابو رية في اضوائه على السنَّةِ المحمَّدية لاتباع الاسلوب الموضوعي في كتـابه

المذكور، حيث قال: وكان المؤلِّف يستطيع ان يسجل هَذا (أي ملاحظاته عليه) تسجيلاً موضوعيّاً كما يقال دون أن يقحم فيه غيظاً، أو موجدة، فهو لا يكتب قصة، ولا يكتب ادباً، فيظهر شخصيته بما ركب فيها من الغضب والغيظ والموجدة..

ثم قال عميد الأدب العربي رحمه الله.

واخَصُّ مزايا العلماء، وَلَا سيّما في هذا العصر، انّهم ينسوْنَ انفسهم حين يكتبون العلم، وانهم يبحثون ويقررون بعقولهم لا بعواطفهم..

ليت صاحب تاريخ طرابلس استفاد من هذا الرأي، وهذا التوجيه فكتب وبحث وقرر بعقله، لا بعاطفته، وتخلّى عن عبارة (هذه الطّائفة الملعونة) واكتفى بموضوعية الأسلوب التّاريخي كما ينبغي، وكما يجب ان يكون لأن اسلوب التحريض والشتيمة لم يعد صالحاً في هذا العصر..

لقد حاسب كتَّاب مصر وغيرهم في العالم الإسلامي محمود ابو رية، لأنه في رأيهم كان شديداً عَلَى المحدِّث المطعون بحديثه أبي هريرة، ولم نجد حتَّى في هذا العصر من ينكر شدة المؤرخين ضد طائفة مسلمة مؤمنة، ما عدا مؤرخ واحد هو الدكتور مصطفى الرافعي هذا الطرابلسي المسلم المؤمن الموحد فقد استطاع ان يكون موضوعيّاً بعكس صاحبنا التدمري.



العلويّون في أعماق لبنان

اضافةً إلى ما تقدم من أخبار تاريخية نثبت تواجد العلويين النصيرية في أعماق لبنان، واضافةً الى ما كُنا اشرنا اليه في المخطوطات التي توفر لنا الاطلاع عليها، والى لقاء ابي سعيد الطبراني بأبي الحسن أحمد بن محمد الجهميدي في مدينة طرابلس الشام بتاريخ ٢٨ ذي الحجة سنة ٣٩٨ هجرية وما نقل عنه من روايات صريحة الإسناد، نورد هذه القصيدة للشاعر منصور بن عذيبة المعروف بالخبَّاز الصوري رحمه الله، يمدح ابا سعيد الميمون بن القاسم الطبراني ويودِّعُه بها حين ازمع الممدوح الرحيل عن مدينة صور ويشير بها الى خلاف وقع بين المذكور وبين أحد علماء عصرِه. قال:

إن كنت من صورِ عزمتَ رَحيلاً ... لا تتركنَّ القلبَ منك عَليلا
اسمَعْ وعِ اني بعهدك موثَقٌ ... ما كَانَ من صَدَقَ الحكيمَ جهولاً
إنّي ،وان اصبحتُ (صوراً) موطني ... فالقلبُ في (طبريَّة) مشغولاً

إلى ان يقول:

عرِّج على (طبرية) وانزل بها ... تظفر هناك، وتبلغِ المأمولاً
وزُرِ السعيدَ أبَا سعيدٍ شيخَنَا ... وفقيهنا، وحسامَنَا المسلولا
بلِّغ اليه إذَا وصلتَ رسالتي ... والثم يديه ووجنتيه طويلا
واذكر له شكري لَهُ ولفضلِهِ ... وكذاك شوقي بكرةً واصيلا
واذا انتهيت إلى الحديث، فقل لَهُ ... قولا صحيح الفعْلِ فيه جميلا

لولاك يا شيخ الأمانة والتُقى ... من كان رَدَّ الوغْد اسماعِيلا
مَنْ كان نغصه بطيب حديثه ... من كان صيَّر عرضه مهزولاً
مَنْ كَانَ فرَّقَ جمعه من حولِهِ ... من كان رَدَّ حسامَهُ مغلولا

لله جُـلِّيُ الـزَّمـان جـليـلُنَـا | مـا زال في كـلّ العلوم جَليـلاَ
مـا زَالَ في حلب ونشـر علومَهـا | حتى تحـوَّلَ علمُـهـا تحـويـلا
خـذهَـا من الخبَّـاز واقبـل عـذرَهُ | والعـذرُ في امثـالِهَـا مقبـولا

إنَّ القصيدة تشير بوضوح الى وجود النصيرية العلويين في صور وفي طبرية بكثافة ذات شأن في زمن معيّن يبدأ مع بداية القرن الرابع الهجري فما فوق، وانهم لم يكونوا مواطنين هامشيين، فقد ساهمُوا في الحكم واسندت اليهم مسؤوليات ديوانية كما مرَّ مَعَنَا في الصفحات السابقة.

هَذَا اذا استثنينا بني عمَّار ودورهم التاريخي في طرابلس كَمَّا وان القصيدة تشير بوضوح الى تأثير (الجـلـيّ) الذي هو خليفة الخصيبي في حلب، وانه كان له تأثيره في نشر العلوم التي استقاها من شيخه فيها، كما هو واضح في بعض ابيات القصيدة.



وبعد ...
هل الأسباب صحيحة؟

مَرَّ مَعَنَا في صفحات سابقة من هذا الكتاب، أنَّ من أهم الأسباب التي دعت الى التنكيل (بالنصيرية) العلويين في كسروان، وجرود كسروان هو خروجهم على الطاعة، والتصدي لقوَّات السلطة التي كانَت تأتي لتأديبهم.

وعلى هذه الأسباب نبني، فنقول:

إنَّنا مع استنكارنا الشديد لمثل الأمور المعزوّة اليهم، والتي نشكُّ في صحتها، ونميل إلى الاعتقاد بأنها مختلقة، الغاية منها تبرير الجرائم التي ارتكبت بحقهم لا بُدَّ لنا من مناقشة هذه الأسباب، مناقشة هادئة عقلانية، بعد مقارنتها بما حدث في أيَّامنا هذه، حتى في لبنان، هَذَا البلد الحضاري، الَّذي كان ولا يزال زمردة الشرق العربي، وموطن الإشعاع الأوّل بين الدول العربية في الوطن العربي، في هذا الزَّمن بالذات، وخلال الأحداث الدامية، كنَّا نسمع بين الحينِ والآخر، أنَّ جماعاتٍ من النَّاس، كانوا ينصبون الحواجز للتصدّي للمسافِرين، وانهم كَانُوا يذبحون النَّاس على الهويَّة، بدون شفقة ولا رحمة، ولو كانُوا مسالِمين وأبرياء..

وكنت اتمنَّى ان لا أسوق الوصف الذي وصفه (جونَّاثان رندل) مراسل (الواشنطن بوست) في كتابه (حرب الألف سنة) لوحشية بعض الطوائف في استعمال الفتك بمختلف الأنواع، اثناء الهجوم على مخيَّمات الفلسطينيين في بيروت، انه وَصْفٌ اعفُّ عن ايراده هنا، لما فيه من بشاعة وهمجيَّة، تقشعر منها الجلود، ورغم ذلك يبقى شعب هذه الطائفة شعباً حضارِيَّاً والتاريخ معه..

وهذه الحالة، حالة التصدِّي للأخرين في لبنان لا تقتصر على طائفة من طوائفه، فكلٌّ طائفة فيه كانت تتصدى للأخرى، عَدَا عن حالات القنص، وتخريب البيوت، ونهب المتاجر، وما إلى ذلك من الجرائم التي لا يبررها مبررٌ مهما كان نوعهُ، ورغم ذلِكَ كله لم تصدر فتاوى مدمِّرة كالتي صدرت في القرن السابع الهجري، ولم نسمع إلاَّ صيحات الاستنكار من أهل العقل والحكمة، ولكنَّها صيحات كانت تضيعُ في كلِّ واد..

إذا كان عصرنا هذا عصر النور وعصر الحضارة، وفي ارقى بلد يزعم ابناؤه انهم هم ورثة الحضارة في هذا الشرق، وقد حدثت به هذه الأحداث، فكيف نحاسب عصور الإنحطاط والتخلُف على ما جرى فيها، ونحاسب فئة من النَّاس، عملت كل العوامل القاهرة العاتية على قهره وتجريده من كرامته، وإذا دافع بما يملك من وسائله الخاصَّة عن وجوده، قالوا عنه: خارج على الطاعة، ولأنه لم يمتثل لمن ارادوا تسليط جيرانه عليه، واخضاعِهِ لهم بالقوَّة، حكَّمُوا فيه السيف، وحشدوا لقهره أقوى وأضخم قوة عسكرية في بلاد الشام. وعملُوا فيه تقتيلاً وذبحاً، وفي بيوته تخريباً وفي اشجار بساتينه تقطيعاً وتحريقاً، مستندين بذلك على اراء الفقهاء الذين يزعمون انَّهم يسيرون على سنة الرسول. .

إنَّ هذه المفارقات العجيبة بين تقدير ما حدث في الماضي، وَمَا يحدث اليوم لمِمَّا يثير العجب. .

الجرائم بالأمس عقوبتها لا تقتصر على معاقبة المجرمين وحسب وانما تنسحب على جميع ابناء الطائفة التي ينتسبون اليها، فيقضي بإبادتها.

أمَّا الجرائم اليوم، ولا سبب لها. إلاَّ حب الجريمة، فلا عقوبة عليها وهي لا تنزل على أهل الاساءة، وانما ترتكب بحقِّ الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالسياسة، ولا شأن لهم فيما يجري هناك، ورغم ذلك لا نجد من يحاسبهم على الخروج على النظام والشرعية، وتعجز يَدُ العدالة، أو يَدُ غير العدالة ان تمسَّهم بسوء، أو تشير اليهم: انهم مجرمون. . .

لقد استطعنا ان نستخرج من كلِّ ما دُوِّن من مأخذ بحق (النصيرية) (العلويين) في لبنان انه ليس سببه الخروج على الطَّاعة، أو قطع السبيل كما يزعمون، وانَّما سببه الاخضاع المذهبي، والَّذي يتأمل نص السؤال الموجه الى العلماء وائمَّة الدين يدرك ذلك، وما اثبتناه بنصه في هذا الكتاب إلاَّ لنلفت النظر إلى دراسة التَّاريخ من جديد، فالسؤال لا يشير من قريب ولا بعيد إلى سلوك العلويين الاجتماعي وَلاَ إلى تصرفاتهم مع الناس أو مَعَ المظهر الحضاري الذي نعاه عليهم المؤرخ (يني)، وانما اقتصر على المبدأ العقائدي، شرح شيئاً مما

يعلمه عنهم، وارسل سؤاله بمقتضى هذه المعلومات، وكذلك الفتوى جاءت مثقلة بهذا الخصوص واذا كان ذلك على ما استخلصناه من خلال الآثار والأخبار التاريخية وكانت الفتوى صادرة بشهور سنة السبعماية هجرية تكون هذه الفتوى المبنية على سؤال شهاب الدين الشافعي، هي سبب خروج العلويين ونفرتهم وهي سبب اثارتهم لأن التّاريخ يحدد الفترة التي انفجرت فيها هذه الأمور وتفاقمت هذه الحوادث وهي تبدأ من عام السبعماية وثلاثة هجرية وبلغت ذروتها عام السبعماية وأربعة واخمدت عام السبعماية وخمسة واستقرت عام السبعماية وسبعة عشر، وإذا كان هَذا قد وضح جليّاً فهل يجد المؤرخون الآن باباً للدخول في معالجة انصاف هؤلاء القوم واخراجهم من العزلة التّاريخية، ونريد ان يعلم الجميع ان العلويين ما كانوا ولن يكونوا عنصر شرٍّ ولكن أيريد المؤرخون ان يفتي بذبحهم ولا يصرخون.

إجـــراء مقصُـــود

نلاحظ ان كثيراً من المؤرخين، اذا لم نقل كلّهم، يتحاشون التحدث عن طائفة معينة، بما يريب من عقائدها وعلاقتها بالإسلام، أو بما يسيء الى كرامة معتقدها، مع صراحة ما هي عليه من عقيدة باطنية في بعض السلالات الهاشمية، ومع ما هم عليه من تمسكٍ بكتاب خاصّ هو من وضع احد فقهائهم . .

وكذلك يتحاشون التعرض للأخوة الإسماعيليين بما يرونه يتنافى مع صورة الشريعة، ومع استمرار تمسكهم بتسلسل الإمامة، حتى أيَّامنا هذه تمسُّكاً ينصرفُ الى معنى العبادة، وقد حضرنا حفلاً اقامه اخواننا الإسماعيليون لإمامهم الحاضر كريم اغا خان، وقد انشد بعض شعرائهم بهذه المناسبة شعراً جميلاً علق بنا منه هذا البيت:

(آمنت انك انت سِرُّ عقيدتي امنت انك انت جوهَرُ ديني)

ورُغم ذلك نجد من يحترم فيهم هَذَا السرّ وهذا الجوهر، ولا يصمونهم بما يصمون به العلويين اذا قالوا مثل ذلك بالامام الأكبر علي بن أبي طالب.

إنَّ ما نسب إلى العلويين، لم يكن فوق ما نسب الى غيرهم، اذا لم يكن دونه، ولكنّهم خصُصُوا بالتحامل دون غيرهم، واتهمُوا بمجافاة الإسلام والانحراف عنه أكثر من غيرهم، وحتّى هذا الزمن الّذي كثر فيه حُجّاجهم، ومشيدوا المساجد فيهم، ينعى عليهم ما كان ينعى من قبل، ولولا خوف الإطالة لذكرت الحجّاج الّذين ادوا الفريضة في هذا الزّمن بالذّات من علويي طرابلس ومنهم من حجَّ أكثر من مرَّة ممن نعرفهم بينما لم نجد في الطوائف الأخرى التي يزعمون ان (المقريزي) (وابن تيمية) خلط بينها وبين النصيرية، من قام بشيء من تلك الشعائر، ورغم ذلك لم يكن التصدِّي لهم بنفس الحماس الَّذي تعرض له النصيريون).

اللهمَّ انا نعوذ بك من مضلّات الفتن وما ظهر منها وما بطن . .

الخـــائن خـــائف

ذكرت هذه العبارة، وأنا أقرأ ما نقله صاحب تاريخ طرابلس عن كتاب الوافي، في الوفيات، وهو انه حين مات الأمير قبجق نائب حلب في جمادي الأول سنة /٧١٠/ هجرية وعزل السلطان (اسندمر) عن نيابة حماه، فتحول إلى حلب بعد وفاة نائبها، ووافق السلطان عَلَى توليته مرغماً، ثم مات بعد قليل الأمير (بهادر) نائب طرابلس، ففرح السلطان بموته فرحاً عظيماً، إذ كان يخافه، وعرض على (اسندمر) العودة إلى طرابلس، فأبى فنقل اليها الأمير جمال الدّين اقوش الأفرم، وقال له: لا تدخل دمشق، وكان يخشى ان تنشب اظفارُه فيها، ويقوم اهلُها معه لمحبتهم له، فتوجَّه إلى طرابلس على مشاريق مرج دمشق، واقام بطرابلس وهو على وجل، فكان يخرج بعد العشاء مختفياً هو ومن يثق اليه من دار السلطنة كل ليلة إلى مكانٍ ينامون فيه بالتناوب وخيلهم معهم، وربَّما هوَّمُوا على ظهور الخيل)...

إنَّ هذه الحكاية، حكاية ارسال اقوش الأفرم إلى نيابة طرابلس على غير ارادته، لم تكن لمقتضيات المصلحة، وانّما تبطن امراً ليس فيه مصلحة هَذا النائب، ويؤخذ من هذا ان ارساله إلى طرابلس المدينة الساحلية التي يتشكل سكَّانها من أغلبية الشيعة إذا لم نقل على رأي ناصِر خسرو جميعهم شيعة، ان ارساله الى هذه المدينة ـ وهو مجرم جبلها ـ لم يكن إلاَّ للتخلص منه، لإنّ السلطان الملك الناصر يعرف ما هي سمعة هذا النائب في طرابلس وضواحيها الشمالية والشرقية، واقوش نفسه يعرف مَدى ما ارتكبه في تلك المناطق من فظائع ترتعد لها فرائصه، وقد اقسر على قبول هذه النيابة، وان عدم قبولها يكلفُهُ رأسه، ولذلك قبل وتسلم مهام عمله، ولكنه بقي خائفاً عَلَى رأسِهِ من اعدائه الّذين نكلَّ بهم بالأمس فهجر مضجعه، وعاش حياة الخائف طوال حياته فيها، حتى خرج منها ومات في همذان في الربع الأول من القرن الثامن الهجري..

إنَّ حكاية مجيء اقوش الأفرم الى طرابلس، وحياة الهلع والتخوف الَّتي عاشها فيها تعطينَا مؤشَّراً واضحاً على وجود النصيرية اعدائه فيها، وإنَّ خوفه كان من بقاياهم هناك، لا سيَّما وانه مرَّ معنا: أنَّ نائب طرابلس السابق اسندمر

الكرجي كان اتخذ منهم موظفين في ديوانه، واقطعهم اخبازاً، وانه رفض مؤخراً العودة إلى طرابلس، لأنَّه يعلم انه اخرج منها بأسباب يمكن ان يكون منها عطفه عَلَى النصيرية وتقريبه ايّاهم بإتخاذ موظفين في ديوانه منهم، وفي حوادث جبال الكسروان، وموقفه الشجاع فيها، لم يفسروا ذلك حرصاً منه على الانضباط واشاعة الأمن وسيادة النظام، وانما فسروا ذلك ليدفع التهمة التي تشير عندهم إلى مباطنة هؤلاء الجماعة..

فما انكد حظ هؤلاء القوم، الَّذي يعمل منهم لصالح السلطان والنظام يقولون عنه مراءٍ، والَّذي يدافع منهم عن كرامته وانسانيته يقولون عنه خارج على القانون.

وانَّ الَّـذي بيني وبيـن بنـي أبي	وبين بني عـمّي لـمخـتلفٌ جـدًّا
إذا اكلُوا لحمي وفـرتُ لحـومهم	وان هَدَمُوا مجدي بنيت لهم مجدَا



مؤشّرات جديرة بأن لا تُهمل

اطّلعنا على تحقيق برسم نوّاب طرابلس، ومفتي طـرابلس ورئيس الوزراء اللبناني منشورٍ في مجلة اللواء اللبنانية، هَـذَا التحقيق يتعلق، بقلعة طـرابلس اجرته المجلة المذكورة:

تقول مجلة (اللواء):

اكتشفت (اللواء) في قلعة طرابلس مؤامـرة لتزويـر معالمهـا التّاريخيـة عن طريق تغيير الآثار الإسلامية فيها، حيث ان الشيخ طه الولي البحاثـة المعروف والمسؤول عن الصحافة والدراسات الإسلامية في دار الكتب الوطنية، زار بدوره القلعة وثار على محاولة تـزوير التّـاريخ الإسـلامي، ونقل مشـاهداتـه عن هذا التزوير إلى سماحة الشيخ نديم الجسـر مفتي طرابلس، ونـائبي المدينـة رشيد كرامي، وسالم كبَّارة.

وقد طلبنا إلى الشيخ طه الولي بالمناسبة ان يدلي بالمعلومات التي يملكها عن هَذَا الموضوع. وكان التحقيق التالي:

قلعة طرابلس، هي الأثر المتبقي بعد المعارك التي خاضتها المدينة الباسلة عبر تاريخها الطويل في صراعها مع المغيرين عليها، فمن المعروف ان مدينـة طرابلس لم تكن في الماضي حيث هي اليوم، بل كانت فرضة بحرية، تحيط بها أمواج المتوسط من جهاتها الثلاث، حيث تقوم الميناء اليوم. وكان يتولّى شأنها آل عمّـار[1]، وهـم قُضَاتُهـا في الأسـاس عَلَى مـذهب أهـل البيت، اذ كـانت طرابلس وما جاورها بلاداً تدين بعاطفتها إلى العلويين نسبةً إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا تزال الجبال المطِلّة على طرابلس من جهة الشرق تحمل الاسم المذهبي لسكّانها وهو (الضّنّية) وهذه الكلمة هي لفـظة (الظّنِّيـة) نفسها، وهو اللقب الذي كان يطلقه أهـل السنّة والجمـاعة على الـذين اخذوا بالمذهب الشيعي العلوي».

(١) راجع الكلام عن بني عمّار في هذا الكتاب في الصفحة ٣٤ وما يليها.

وكان آل عمّار معنيين بأمر مدينتهم، سواءً من النّاحية القرآنية أو النّاحية العلمية، وتقول كتب التّاريخ عن مدينتهم بأنها كانت منيعة الجانب ذات اسوار وخنادق وحصون.

وقد تملكها حوالي القرن العاشر للميلاد، القاضي (حسن بن عمّار) وحَسَّنَها فارتفعت واغتنت، وصارت مستودعاً كبيراً للتجارة، وداراً للعلم بمدارسها ومكاتبها.

على أنَّ آل عمّار ما لبثوا ان تفرَّقُوا فيما بينهم، فجاءت الموجة الصَّليبية وهم عَلى حالهم من الفرقة والاختلاف، وانقضَّت على مدينتهم بجحافلها الغازية في طريقها الى بيت المقدس..

ولكن هذه الموجة صادفت صخرة صمّاء في أهل طرابلس وحكّامِها المسلمين فانحسرت لتتربَّص في جوار المدينة، فوق تلة تقع إلى شرقيها، عرفت فيما بعد (بتلة الغرباء) كما عرفت عند الفرنجة (بهضبة الحجَّاج) و (الغرباء) لقب اطلقه المسلمون على الغزاة، وأمَّا الحجَّاج، فأسم اطلقه الفرنجة على انفسهم لأنّهم كَانُوا يقصدون الحجّ إلى بيت المقدس..

وكان عَلَى رأس الغزاة الصيلبيين أحد الأمراء الفرنسيين المدعو (ريمون سان جيل) (كونت دو تولوز) وهو المسمَّى بالتّاريخ العربي (صنجيل) عندما وجد هَذَا الأمير صعوبة في اختراق حصون طرابلس، اتخذ لنفسه مقاماً بين جماعته في (تلة الغرباء)، وشرع في بناء قصرٍ له على طريقة القرون الوسطى في بناء القصور التي تشبهُ القلاع، ما لبث هذا القصران تحوّل بالفعل إلى قلعة تتحكم بالمدينة المحاصرة ريثما تنهار مقاومة المحاصرين داخلها ولبث في حصاره لطرابلس زهَاء سبع سنوات وبضعة شهور وبضعة أيام اظهر في خلالها أهل طرابلس من المسلمين اسمى ضروب الشجاعة والصبر والبلاء حتى انهم خرجُوا مرة إلى ظاهرِ مدينتهم، واقتحموا على (صنجيل) حصنَهُ وهدّموه واضرمُوا فيه النيران التي امتدت منه إلى بقية مساكن جنود الصليبيين فأحرقتها واحرقتهم،

واحرقت معهم (صنجيل) نفســه الذي خـرج متفقداً خـراب معسكره فهـوى به سقف أحد البيوت، والتهمته نار الدنيا قبل نار الآخرة، وكان قائد هـذا الهجوم الطرابلسي الموفق (فخر الدولة) ابن عمَّار المعروف باسـم ابو علي بن عمَّار وهو الَّذي اعطى اسمه للنهر الخالد (أبو علي) إلَّا إنَّ طرابلس ناءت أخيراً تحت وطأة الحصار الصليبي الثقيل ولم يُجدِها ما ارسلته من نداءات الإستغاثة إلى فاطمي مصـر الذين كَـانُوا يشكِّلُون خـطراً على سلطة الفـاطميين في الـوقت نفسـه لا يعترفون بسلطة خليفة القاهرة، بل كان دعاؤهم لخليفة بغداد.

ونعود إلى طرابلس التي دخلها الصليبيُّون بأمرة (ريمون برتراند دي تولوز) ابن (صنجيـل) الَّذي سبق ذكـره، وذلك في ٣ ذي الحجـة سنة ٥٠٢ هجـرية الموافق ٤ تموز سنة ١١٠٩ م بعد حصارٍ مُضْنٍ استمرَّ سبعة اعوام وأربعة اشهرٍ واثنان وعشرونَ يوماً بالضبط..

وبعدَ أن استمرَّ المقام بالصليبيين في طرابلس أتَوْا على مَا بها من مساجد ومـدارس ومكاتب، حتَّى قـدَّر التَّاريـخ الكتب الَّتي احرقـوها بمئـة ألف مجلَّد مخطوط كانت في مكتبه آل عمَّار الخاصَّة.

وبقيت طـرابلس في يـد الصليبيين حـوالي /١٨٦/ سنـة إلى أن تحـرك السلطان الظَّاهر بيبرس، وهو أحد حكَّام المماليك المعروفين فاحتل انطاكيـة، واقبل قادماً منها إلى طرابلس التي امتنع بها الصَّليبيون وجَرَّبُوا ان يحافِظُوا عليها بأيِّ ثمن مما جعل الملك الظاهر يلجأ للحيلة لكي يـطلع على أسـرار حصـونها تمهيداً لمهاجمتها والدخول اليها، فألَّف وفداً لمفاوضة حاكمها الصَّليبي، وكان يعرف باسـم القمس (الكونت) ريموند السابع.

وعنـدما اجتمـع وفد الهـدنة الإسـلامي مع (ريمـون) بهـذا كـان أعضـاؤه يخـاطبون الصليبي يلقبـه كحاكم عَلى طـرابلس وهو (الكـونت) وكـان مقـامُـه بالقلعة..

إلَّا إنَّ ريمون السابع، وقد كان يعتبر نفسه سليل امـراء انطاكيـة، وان من

حقِّهِ الاحتفاظ بلقب الإمارة دون الكونتية رغب إلى الوفد الإسلامي ان يخاطبه بصفته (بُرِنْسَا) مما جعل اعضاء الوفد يتبادلون النَّظر فيما بينهم. ثم يقررون النزول عند رغبة (ريمون) ويخاطبونه بلقب (أمير)، والصنجهية أمرٌ معروف عند الفرنسيين من قديم الزمان، فلمَّا انتهت المقابلة، أراد ريمون ان يؤكِّد لخصومه مَنَاعة حصونِهِ، فاستعرض أمَامهم بعضَ خيَّالتـه، وجال بهم في ارجاء القلعة بقصد تخويفهم، ليعودوا متاكدين من مناعة حصونِ عدوِّهم . .

وكانت هذه البادرة غاية ما كان يرجوه (بيبرس) الَّذي كان متخفِّياً في عداد وفد المهادنة، إذ قال لجماعته وهو خارج من حضرة (ريمون) بلهجـة السَّاخِـرِ المتهكِّم:

قولوا له (كونت)، قولوا له: أمير. . سيصيبه الخزي على كـل حال، وقـد حقق امنيتـه الأساسيـة، فاطَّلَعَ على حقيقـة الوضـع العسكري في بلد خصمِـهِ الصليبي، كما كان قد هيَّأ من قبل.

ولكن بيبرس مع الأسف لم يتحقق له خط الدُّخول إلى طرابلس لأن جيشه طُعِنَ من الخلف من قبـل اعـداء الصليبيين المقيمين في جـوار طـرابلس، ثم اعتقل هو نفسه، وقتِلَ في القاهرة من قبـل خصمِهِ قـلاوون الألفي الَّذِي تـولَّى مكانه أمر طرابلس، فاقتحمها اخذاً بالسيف سنـة ٦٨٢ هجريـة، وان كان أبـو الفـداء يقـول سنـة ٦٨٦، وَعَلَى اثـر دخـول (قـلاوون) إلى طـرابلس، انهـزم الصليبيون بفلولهم من قلعتها إلى المدينة التي كانت تقوم يومئذٍ في مكان الميناء اليوم، فتبعهم المسلمون، فتـابع الصليبيـون انهزامهم من وجـه المسلمين إلى البحر، مستقبلين ماءه، قاصدين إلى جزيرة تقع في مواجهة البحر ملتجئيين فيها إلى كنيسة يعرفها المؤرخون المسلمون باسم (سانت مايلي) ويعرفها المؤرخون النَّصارى بإسم (سـان تومَـاس)، ولكن هَرَبُ الصليبيين لم يجـدهم نفعاً أمـام اندفاع الجحافِلِ الإسلامية التي لحقت بهم سباحةً وعلى ظهـور الخيل، حتى ادركتهم في الجزيرة، وداهمتهم فِي الكنيسة، وقضت عليهم ما خَلاَ العَاجزين من الرجال والأطفال والنساء، حتَّى لم يبق للمحاربين الصليبيين من أثر يخفق

في الحياة، ثمَّ عَادَ المسلمـون إلى المدينـة نفسها، فـدمَّروهَـا، ودكُّوا ابنيتهـا واطلقُوا بالمدينة قلعتها عَلَى هضبة الحجَّاج حتَّى ساووا هذه القلعة بالأرض.

وفي ذلـك يقول المؤرخ العـربي المشهور أبـو الفداء مـا نَصُّهُ: (وحصـار طرابلس هو أيضاً مِمَّا شاهدته، وكنتُ حاضِراً فيه مَـعَ والدي الملك الأفضـل، وابن عمِّي الملك المظفَّر صاحب حماه، ولمَّـا فرغ المسلمـون من قتال أهـل طرابلس ونهبهم أمر السلطان فهدمت ودكت إلى الأرض..

وانصرف المسلمون الى بناءِ مدينة جديدة بعيدة عن مكان المدينة القديمة وهي قد اقيمت حيث تنهض طرابلس اليوم، وتبارى سلاطين المماليك في تعميرهـا وتزيينها بالمسـاجد والقصور والحمَّامات مما لا يزال باقياً حتَّى الآن. وأمَّا القلعة فيقول احمد بن عبـد الوهـاب بن عبد الـدَّائم النويـري الذي تـوفي سنة ٧٢٣ هجرية /١٢٣٣/ م والَّذِي تولَّى نظارة الجيش في طرابلس بـرهَةً من الـزَّمن ما نَصُّهُ: (وفي سنة سبعماية فوَّضت نيابة السلطنة إلى الأمير سيف الدِّين اسنـدمر الكرجي المنصوري[1]، فاستمرَّ بها إلى سنة ٧٠٩ هجـرية، وعمـرَّ بِهَا حَمَّـاماً عـظيماً، وعمَّـر أيضاً بعض القلعـة وأقام أبـراجاً، وهـذه القلعة مجـاورة لـدار السـلطان في طـرابلس، وكان سَـلاَطين المماليـك ونوَّابهم في طـرابلس الشام يزيدون في بناء هذه القلعـة كما في عهـده وحسب مقتضيات مصـالحه، حتى انتهت أخيراً إلى حكم الدولة العثمانية، وذلك أيَّام السُّلطان سليمان الأول، أمر بتجديد البرجين الشماليين بالقرب من الباب الكبير، ويشاهد الدَّاخلُ اليها اليوم على مدخلها الرسمي كتابة على الرُّخَام الأبيض هذا نَصُّهَـا (بسم الله الرحمن الرَّحيم، رسم بالأمر الشريف العَالي السلطان الملكي المظفَّر، سلطان سليمان شاه لا زالت اوامره الشريفة مُطاعة في الأمـرا ء بأن يجـدد هذا البـرج المبارك ليكون حصناً منيعاً على دوام) وكان الفراغ من عمارته في شهر شعبـان المبارك سنة ٩٢٧ هجرية..

(١) هذا الأمير سبق ذكره في هذا الكتاب وقد اعتبر محسـوباً على النصيرية.

واقدم نقوش هذه القلعة الَّذِي يدُلُّ على أن بناءها كان بيد المسلمين، وفي زمانهم بعد استعادة طرابلس من الصَّليبيين هو محفور في الرُّخَام الأبيض، ويرجع عهده إلى زمن السلطان شعبان بن السلطان النَّاصر، محمد بن السلطان المنصور قلاوون أي سنة ١٣٤٥ ميلادية..

وهناك نقوش أخرى تؤيد اسلامية القلعة هي أحدث مما ذكرناه قبلاً ويرجع عهدها الى سنة ١٢٨١ هجرية..

وهذه النقوش موجودة فوق مدخل المقام بجوار البرج الثالث عشر (قد شاد بكَباشِي افندي ذا البناء، عيسى الَّذي قد فاق كل فارس اعني بِهِ برنجي طابوراني دور دنجي في اللواء الخامس..

وهذه الكتابة وضعت على مدخل المقام حيث دفن احد المجاهدين من المسلمين وهو سليمان العريان الَّذِي كتب على ضريحه ما يشير إلى اسمه وتاريخ وفاته).

إلى هنا، ونكتفي بهذا القدر من هذا المقال الأثري للعالم البحاثة طه الولي. على اننا لا نتجاوز هذا المقطع الَّذِي انهى به حديثه هذا العالم: حيث قال: (وقبل ان ننتهي من حديث القلعة، نرجو اولئك الذين يحاولون ضرب معاول التزوير في هيكل القلعة الجبَّارة ان يعودوا الى كتاب لبنان الذي اصدرته منظمة (الأونيسكو) سنة ١٩٤٨ ميلادية وتكلفت عليه الحكومة اللبنانية مبلغ ثلاثين ألف ليرة لبنانية ليقرأوا في الصفحة /٦٢/ منه مقالاً للمرحوم ابراهيم عبد العال يقول فيه:

(على ضفاف قاديشا ينهض عَلَى قمم الصخور صرح القلعة التي بَنَاهَا سنة ١٢٠٧ م و ٧٠٧ هجرية الأمير اسندمر الكرجي الَّذِي كان حاكماً على ولاية طرابلس من سنة ٧٠٧ هـ إلى ٧٠٩ هـ (اعتقد خطأ الرقم) لأنه مر معنا انه تولى النيابة سنة ٧٠٠) وهذه القلعة تقوم على انقاض القصر المنيع الذي بناه (ريمون دو سانجيل) كونت دي تولوز حاكم طرابلس.

وفي ذلك كفاية إذا كان المعنون بالأمر يريدون فعلاً المحافظة على الآثار.

اثبتنا هذه الوثيقة لأنَّها من الوثائق التي نعتمد عليها وبما فيها من إشارات:

١ - إلى تاريخ بني عمَّار في طرابلس وتملك بني عمَّار لها في القرن العاشر الميلادي.

٢ - إلى ان طرابلس كانت من عواصم الشيعة وان الجبال التي تحيط بها شمالاً وشرقاً كانت مواطن للعلويين.



اكتشفت «اللواء» في قلعة طرابلس مؤامرة لتزوير معالمها التاريخية عن طريق تغيير الاثار الاسلامية فيها..

تبينت ان الشيخ طه الولي البحاثة المعروف والمسؤول عن الصحافة والدراسات الاسلامية في دار الكتب الوطنية، زار بدوره القلعة، وثار على محاولة تزوير التاريخ الاسلامي فيها، ونقل مشاهداته عن هذا التزوير الى سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس، ونائبي المدينة رشيد كرامي وسالم كبارة!.

وقد طلبنا من الشيخ طه الولي بالمناسبة ان يدلي بالمعلومات التي يملكها عن هذا الموضوع..

العلويّون الطرابلسيّون

لم تخلُ طرابلس، عاصمة الشمال اللبناني من العلويين النصيرية قديماً وحديثاً بالرغم من وطأة الظروف التي مروا بها في لبنان، والتي كانت موضوع الصفحات السابقة من هذا الكتاب، كما خليت (بخعون) وجبال (الضنّية) و (جرد كسروان) وغيرهَا من المناطق اللبنانية، فقد بقي بها عائلات قليلة ترتبط ارتباطاً مباشراً بعلويي سهل عكار اللبناني وسهل عكار السوري الّذي لا يفصل بينهما إلاَّ مجرى النهر الكبير..

إنَّ هذه العائلات قصرت همها على العمل التجاري والأعمال الحرفية، وغيرها من الأعمال الَّتي ليس لَهَا علاقة بالسياسة، أو شؤون الدولة، ولم يعرف ان علويًّاً في لبنان بعد (اسندمر الكرجي) تولّى أيَّ عملٍ حكومي، صغيراً كان هذا العملُ، ام كبيراً وخلي لبنان من زعاماتهم وكبرائهم، ولكنّهم ظَلُّوا عَلَى علاقتهم بزعماء الجبل بحسب التقسيمات العشائرية التي كان معمولاً بها في ذلك الزمن، ولأن جبل العلويين الَّذي تجمعوا فيه بعد عوامل التهجير تبدأ حدوده من هناك من بوابة طرابلس..

ولم يكن شأن العلويين في سورية، يختلف كثيراً عن شأنهم في لبنان لولا أنَّ هُنَا في سورية، كانُوا يشكلون تجمُّعاً قوياً موحَّداً على رقعة واسعة في الشريط الساحلي منها وهو الجانب الكبير من بلاد الشام الَّذي اشار اليه شهاب الدين الشافعي، وكان منهم حكَّام مناطق، أيَّ متسلمون في العهد العثماني..

وجاءت الحرب العالمية الأولى لتكون خاتمة العصور المظلمة عصور الانحطاط والتخلّف، وفاتحة لعصر جديد يتنفس به النَّاس، وبدأ الانسان فيه يشعر انه اصبح صَالحاً ان يكون انساناً، وآن له ان يرتفع عن مستوى الحيوان، فتقاطر النّاس إلى المدن المجاورة لممارسة الأعمال الحرة، وركب الآخرون البحار وغير البحار للدُّول النائية طلباً للرزق، وفتحت الحياة ابوابها لكلِّ ذي همَّة، وذي عزم، فانتعشت بذلك الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وكان من ذلك ان اتجهت الأنظار الى طرابلس لقربها من الجبل ولما تتميز به من خيرات وفيرة وسكَّان وُدعاء وطبيعة مناخية جيدة..

وكانت محلة باب التبانة في طرابلس والجبل الذي يعلوها ابرز مكان لتجمع التجار والعمال المهاجرين الى طرابلس من مناطق سورية ومن مختلف الطوائف، وتشكل من العلويين مجموعة لا يستهان بها في منطقة باب التبانة والجبل المتصل به تمارس مختلف النشاطات، ولم يكونوا في تجمعهم هذا عنصر شغب ولا ادوات فساد في المجتمع الطرابلسي، ولم يؤخذ عليهم أية شائنة مما كان التاريخ السابق يصمهم به، ولم يسجل عليهم جماعات وافراداً أي تصرف يسيء إلى الحياة الاجتماعية أو إلى الاخلال بالأمن، بينما نجد ان طرابلس امتلأت بحوادث الرعب من أفراد بعض الطوائف الأخرى في بحر الأربعينات، وبعض الخمسينات، ورغم هذا يظل العلويون، هم الذين يشار اليهم عند ذكر امثال هذه الحوادث المثيرة..

في منتصف الثلاثينات من هذا القرن بدأ العلويون في طرابلس يشعرون بمجتمعهم هناك، وبحاجتهم الى التنظيم الاجتماعي كبقية الطوائف الأخرى لاثبات وجودهم وتثبيت كيانهم الطائفي وضبط احوالهم المدنية فشكلوا منهم هيئة اختيارية من بينهم بعد ان كانوا ملحقين بهيئات ليست منهم كما قاموا بتشكيل جمعية خيرية كانت تشتمل على فرقة فنية مجهزة بالآلات الموسيقية يديرها شباب علويون وعندما تشكلت نقابة للحرفيين بطرابلس انتخب منهم نائب لرئيس النقابة..

وهكذا بدأ الحس الحضاري يتحرك في هذه الفئة من النّاس بشكل يدعو إلى التفاؤل، وبإمكانيات غير مستحيلة، إلاّ ان الحرب العالمية الثانية في اوائل التاسعة والثلاثين، اوقفت كلّ تحرك فيهم وفي غيرهم فأصيبوا بالجمود، واقتصرت الاهتمامات على تأمين الأقوات ومكافحة الجوع والمرض..

كانت الحرب العالمية الأخيرة محطة زمنية توقفت فيها كلّ حوافز النشاط الاجتماعي بانتظار ما ستتمخض عنه هذه الحرب.

واذن الله فوضعت الحرب اوزارها ورجعت الحياة الطبيعية الى جاري عادتها، وتنفس النّاسَ الصعداء وخرجت دولة الانتداب من سورية ولبنان،

واعطي البلدان استقلالهما، فبدأ النشاط يدبُّ في النفوس من جديد واخذ التفكير بالعمل الجدي لصالح الطائفة يتنامى في اذهان الشباب الطرابلسيين بشكل مرتب ومدروس قائم على منهاج سياسي واجتماعي اسوةً ببقية الطوائف اللبنانية. .

وتصدى للمسؤولية شبابٌ متحمسون للأنطلاقة الحضارية مستفيدين من حقوقهم الطبيعية التي اعطاهم ايَّاها القانون اللبناني بالقرار التشريعي رقم /٦٠/ تاريخ ٩٣٦/٣/٣٠ بصفتهم احدى الطوائف اللبنانية، حيث جاء في قانون الأحوال الشخصية بعد ان ذكر الطوائف المسيحية ما يلي:

الطوائف الاسلامية، وتشمل:

١ ـ السنية.

٢ ـ الشيعة الجعفرية.

٣ ـ الشيعة العلوية.

٤ ـ الاسماعيلية.

٥ ـ الدرزية.

إنَّ هذا القانون كرَّس اعتبار الطائفة العلوية من طوائف الشيعة الاسلامية، وكرّس لها كطائفة ذات كيان مستقل حقوقاً على الأرض اللبنانية، على اعتبارها جزأ من الشعب اللبناني تمارس هذه الحقوق كما تمارس حقوقها بقية الطوائف الأخرى بمقتضى هذا القانون وهي الفرقة الثالثة من طوائف المسلمين اللبنانيين.

وبدافعٍ من هذا الوعي الاجتماعي تشكلت منهم طبقة واعية من الرجال المخلصين، اخذت تتابع اتصالاتها برجال الشيعة في لبنان على أساس التلاقي في منعطف الولاية، وكانوا يعودون بآمال غير مخيبة، وآخر لقاءٍ بينهم كان في عهد الإمام موسى الصدر عطر الله ذكره، وكان هذا يريد ان يفعل شيئاً ووعد

بإدخال عضوٍ من العلويين في المجلس الشيعي الأعلى.

ويبدو انه اصطدم ببعض المتزمنين الذين يعيشون على تزمت التاريخ، فأعتذر عن عدم استطاعته تنفيذ هذا الوعد.

وهنا ايقن العلويون أنّ رغبتهم بالانضمام الى اخوانهم الشيعة باءت بالفشل، فاستقرَّ رأيهم على أن يطالبوا بحقوقهم كطائفة مستقلة فنظموا عريضة وقع عليها أهل الريف والمدينة من طرابلس وعَكّار، ضمت عشرة آلاف توقيعاً وذهب بها وفدٌ من مثقفيهم ووجهائهم، وتقدموا بها إلى رئيس الجمهورية، وكان يومئذٍ السيد سليمان فرنجية وهو من مدينة زغرتا المجاورة لطرابلس، ولكن رئيس الجمهورية احالها إلى وزارة الداخلية صاحبة الصلاحية المباشرة، وبعد الدراسة المقتضية على ضوء الأنظمة والقوانين سُمِحَ لهذه الطائفة ان تمارس حقوقها اسوة بغيرها، فتشكلت هيئة ادارية قوامها فريق من الشباب الطرابلسيين من أبناء هذه الطائفة، فأجمعوا امرهم واتفقوا على تشكيل حركة تنظيمية سمَّوها (حركة الشباب العلوي)..

ووصل خبر تشكيل هذه الحركة الى الإمام الصدر فتحرك من جهته لتلافي الأمر، وبدأ اتصالاته برجالات العلويين وقدم لهم حلولاً أولية لاسترضائهم، كان من بينها تعيين مفتٍ جعفري لهم من بينهم، وقاضٍ على المذهب الجعفري وفعلاً فقد عيّن مفتياً جعفرياً من العلويين، وعين قاضياً جعفرياً من الشيعة، ولكن هذا الأخير مع الأسف لم يكن على المستوى المطلوب فقد كان اداة تنفيذ اكثر منه اداة تقريب وتشجيع، وبدلاً من ان يساهم هذا القاضي في رأب الصدع، ساهم في بعد الشقة وتنفير ابناء الطائفة عن فكرة الانضمام، فنشطت حركة الشباب، وتولى رئاسة هذه الحركة شابٌ نشيط جريء في مقتبل العمر هو الاستاذ علي يوسف عيد..

من الحق ان نقول: أنَّ هذا الشاب صبر على تخطي الصعاب وتحمُّل المشاق، وآمن بقدسية الخط الذي سار عليه والمبدأ الّذي التزم به، فقاد شباب حركته قيادة منظّمة واستطاعت هذه الحركة بقيادتِهِ ان تفعل كثيراً لصالح الطائفة

العلوية في لبنان، فقد صمدت بقوة أمام التيارات المتنازعة كما تعرض رئيسها لنسف منزله من الأساس خاصًة في المحنة التي ما زال يعاني منها لبنان وكان لها كغيرهَا قرابين على مذبح هذه المحنة تربو على خمسماية ضحية، وعندها انطوت جميع الجمعيًات والمؤسَّسات تحت لواء قائد هذه الحركة. بخطى ثابتة وموحّدة.

وكان بودًنا ان نشير الى ما قامت به هذه الحركة من انجازات وأعمال على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي - الحقوقي - وهي كثيرة وتشكل مرتكزات هامة في البناء الاجتماعي وفي سبيل تحقيق مطالب هذه الطائفة اسوة ببقية الطوائف على الأرض اللبنانية ولكنا اثرنا ان نخرج هذه الإنجازات وهذه الأعمال في كتاب مستقل يتسع لجميع اغراضها..

بَيان توضيحي

من اراد التبسُّط في الوثائق والأحداث الَّتي اوردناهَا في هذا الكتاب فليرجع إلى هذه المصادر الهامّة التي تشير اليها بالأرقام.

١ ـ أبو الفداء حوادث ٧٠٥ ـ ٧١٧ هـ ج ٣ ص ١٤٨.

٢ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٥ وحوادث سنة ٦٥٥.

٣ ـ السلوك ـ للمقريزي، حوادث سنة ٧٠٥ هـ ج ١ ص ٤٢٧.

٤ ـ تاريخ سورية ولبنان للمطران الدبس، ج ٦ ص ٣٨٣ وج ٩ ص ٢٢٠ وج ٣ ص ٤٣ وج ٢ ص ١٢٣.

٥ ـ خطط الشام لمحمد كرد علي ج ٢ ص ٣ وحوادث سنة ٤٩٨ وج ٣ ص ٧٧ ـ ١٠٦ ـ ١١٣.

٦ ـ السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧.

٧ ـ ابن خلدون ج ٥ ص ١١ و ٣٠ و ٣١ و ١٨٦ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٢ و ٢١٧ و ٤٠٢.

٨ ـ سهيل زكار الحروب الصليبية ص ٨٠ و ٨٨.

٩ ـ فيليب حتي تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٣٢ وج ٢ ص ٢١٩ و ٢٥٩، ومحمد علي مكي في كتابه (تاريخ لبنان من الفتح العربي

الى الفتح الإسلامي).

١٠- ولاية بيروت ص ٩٨ و ٩٩ و ١٨٢ و ٢٤٠ و ٢٣٥ وج ٢ ص ٧٧.

١١- ابن الأثيرج ١٢ ص ٣١٥.

١٢- الدكتور محمد يوسف موسى ابن تيمية ص ٩٠ و ٨٩.

١٣- أحمد محمد دهمان عصر المماليك حوادث سنة ٧١٢ هـ.

١٤- المطران الدويهي حوادث سنة ٧٠٤ و ٧٠٥ هـ.

١٥- تاريخ بيروت لصالح بن يحي حوادث سنة ٧٠٥ هـ.

١٦- النويري حوادث سنة ٧٠٥ هـ.

١٧- الصَّلاح الكتبي حوادث سنة ٧٠٥ هـ.

١٨- تاريخ الحروب الصليبية لستيفن رسمان ص ٣٧٧.

وهناك مراجع نشير اليها بدون ذكر ارقام الصفحات ومنها مختصر ابن الوردي، والتبصر في الدين للاسفراييني، والشهر ستاني والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبي، ونشأة الفكر الفلسفي للدكتور علي سامي النشار، وابن بطوطة وابن سباط وابن الحريري. وكلّ هذه المصادر توثق كتابنا هذا وتدعمه.

المؤلفان

الفهـــرس